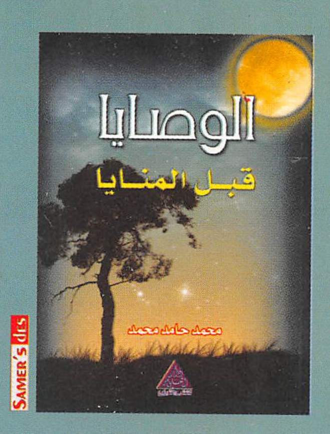
الوصايا

قبل المنايا

محمد حامد محمد





الوصايا قبل المنايا

هـذا الكتاب...

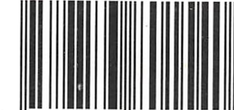
قد جمعت فيه دُرّيرّ من الوصايا والحكمة، وجاء على أقسام سبعة.

- وصايا الصحابة رضوان الله عليهم.
- وصايا التابعين.
- وصايا الشعراء والحكماء.
- وصايا الملوك والأفراد.
- وصايا الآباء.
- وصايا النساء.
- وصايا متفرقة.

المؤلف



ISBN 977-380-154-3



الوصايا قبل المنايا

محمد حامد محمد

١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م



محمد /محمد حامد

الوصايا قبل المنايا/تأليف محمد حامد محمد

ط١ - القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.

١٧٦ ص، ٢٤سم .

تدمك ٣-١٥٤-٣٨٠-٩٧٧

١ - الوعظ والإرشاد

أ- العنوان

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/١٩٩٢٤

٢٢٩,٣

الناشر



دار العلوم للنشر والتوزيع - القاهرة

هاتف : ٢٥٧٦١٤٠٠(٢٠٢) فاكس: ٢٥٧٩٩٩٠٧(٢٠٢)

الموقع الإلكتروني:

www.dareloloom.com

البريد الإلكتروني:

daralaloom@hotmail.com

daralaloom2002@yahoo.com

مُقَدِّمَة

مقدمة

الحمد لله الصادق في وعده، الموثوق بعهده، لا خالق سواه، عهد أن لا نعبد إلا إياه، له المثل الأعلى والأسماء الحسنى، وصى عباده بالتقوى، وجازى كلاً بسعيه الجزاء الأوفى.

أحمده على ما قدره وقضاه، وأشكر له سيبه ونعماه، وأسأله التوفيق للعمل بعهوده ووصاياه، وأشهد أن محمدًا رسوله الأواه، خصه الله بأفضل سلام وأزكاه، صلى الله عليه وعلى آله الذين سيماهم في الوجوه والجباه، ما أمر الكتاب عبدًا ونهاه، ودحر الحق باطلاً ودجاه.

ثم أما بعد.....

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ (البقرة: ١٨٠) . وجاء في الأثر: من مات من غير وصية مات ميتة جاهلية. وأنا ذاكر منها ما تعلق به أثر أو تضمن أدبًا وحكمة أو بيانًا وبلاغة؛ وما خرج عن ذلك فلا فائدة تحته.

وأما وصايا التأديب والارشاد ففي الكتاب العزيز منها الجم الغزير، فمما جاء بلفظ الوصية قوله تعالى: ﴿...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ... ﴿١٣١﴾﴾ (النساء: ١٣١)، وقوله ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا... ﴿٨﴾﴾ (العنكبوت: ٨)، وقوله ﷻ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا

فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ (الأنعام:١٥١ -١٥٣).

وما جاء بغير لفظ الوصية «هو في معناها فكثير، وخطبة الوداع هي في معنى الوصية من الرسول ﷺ، وقد كتبت في موضعها. ووصاياه لأصحابه وأمته المرشدة لهم والموقظة لغافلهم والدالة على حدود شريعته أكثر من أن تحصى، وأشير هنا إلى شيء منها قيامًا بشرط هذا الكتاب، والله الموفق للهداية والصواب.

قال أبو ذر: أوصاني خليلي ﷺ بسبع: حب المساكين والدنو منهم، وأن أنظر إلى من هو أسفل مني ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأن أصل رحمي وإن جفاني، وأن أتكلم بمر الحق، وأن لا أخاف في الله لومة لائم، وأن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأن لا أسأل الناس شيئًا.

وقال أبو ذر أيضًا: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فجلست إليه واغتنمت خلوته فقال: يا أبا ذر، إن للمسجد تحية وتحيته ركعتان، فلما صليت قلت: يا نبي الله، إنك أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟ قال: خير موضوع فاستكثر أو استقل، قلت: فأي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله وجهاد في سبيله. قلت: أي المؤمنين أكمل إيمانًا؟ قال: أحسنهم خلقًا. قلت: فأي المسلمين أسلم؟ قال: من سلم الناس من لسانه ويده. قلت: فأي الهجرة أفضل؟ قال: هو هجر السيئات. قلت: فأي الليل أفضل؟ قال: جوف الليل الغابر. قلت: فأي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت. قلت: فأي الصدقة أفضل؟ قال: جهد من مقل يمشي به إلى فقير. قلت: يا نبي الله، فما الصيام؟ قال قرض مجزي وعند الله أضعاف كثيرة. قلت فأي الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده وأهريق دمه. قلت: فأي آية أنزلت عليك أعظم؟ قال: آية الكرسي. قلت: يا نبي الله، كم كتاب أنزله الله؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب: أنزل الله على شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. قلت: فما كان صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالاً كلها، وكان فيها: قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى. بل تؤثرون الحياة الدنيا. والآخرة خير وأبقى. وفيها: لا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى إلى آخر السورة. وفيها: أيها الملك المسلط المبتلى المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعصتك لترد عني دعوة المظلوم،

فإني لا أردها ولو كانت من كافر. وفيها: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أن تكون له ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يتفكر في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال في المطعم والمشرب. وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنًا إلا في ثلاث: تزود لمعاد أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم. وعلى العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه، مقبلاً على شانه، حافظًا للسانه. ومن حسب الكلام من عمله أقل الكلام إلا فيما يعنيه. قلت: يا نبي الله، فما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبرًا كلها: عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب وهو لا يعمل. قلت: يا نبي الله، أوصني. قال: أوصيك بتقوى الله فإنها رأس أمرك. قلت: يا نبي الله، زدني. قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه ذكر لكفي السماء ونور لك في الأرض. قلت: يا نبي الله، زدني. قال: عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي. قلت: زدني. قال: عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطردة للشيطان وعون على أمر دينك. قلت: زدني. قال: انظر إلى من هو تحتك، ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أ ، لا تزدري نعمة الله عليك. قلت: زدني. قال: صل قرابتك وإن قطعوك. قلت: زدني. قال: لا تخف في الله لومة لائم. قلت: يا نبي الله زدني. قال: ليردك عن الناس ما تعرف من نفسك ولا تجد عليهم في ما يأتي. ثم ضرب يده على صدري فقال: يا أبا ذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق.

وفي ما وصى به ﷺ عائشة ﵂: إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبًا.

فهذا الكتاب قد جمعت فيه دُرَرٌ من الوصايا والحكمة، وجاء على أقسام سبعة.

- وصايا الصحابة رضوان الله عليهم.
- وصايا التابعين.
- وصايا الشعراء والحكماء.
- وصايا الملوك والأفراد.
- وصايا الآباء.
- وصايا النساء.
- وصايا متفرقة.

والله أسأل أن ينال حسن القبول وأن يجعله في ميزان أعمالي يوم القيامة.

المؤلف

وصايا الصحابة

وصايا الصحابة

لم أر فيما طالعته من هذا المعنى أجمع للوصايا ولا أشمل من عهدٍ كتبه عليّ ابن أبي طالب ﷺ إلى مالك بن الحارث الأشتر حين ولاّه مصر، فأحببت أن أورده على طوله وآتي على جملته وتفصيله، لأن مثل هذا العهد لا يهمل، وسبيل فضله لا يجهل، وهو: هذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاّه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها، أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمره به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا بالعدول عنها؛ وأن ينصر الله تعالى بيده وقلبه ولسانه، فإنه جلّ اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه؛ وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات، فإن النفس لأمارةٌ بالسوء.

ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول من قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمر الوُلاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم.

وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده. فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح. فاملك هواك وشحّ بنفسك عما لا يحل لك؛ فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت.

وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم؛ والطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم؛ فإنهم صنفان: إما أخٌ في الدين، وإما نظيرٌ لك في الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ؛ فأعطهم من صفحك وعفوك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك؛ والله فوق من ولاّك؛ وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم، فلا تنصبن نفسك لحرب الله، فإنه لا قوة لك بنقمته، ولا غنى بك من عفوه ورحمته.

ولا تندمنّ على عفو، ولا تبجحنّ بعقوبة، ولا تسرعنّ إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولنّ: مؤمّر آمر فأطاع، فإن ذلك إدغالٌ في القلب ومنهكةٌ للدين وتقرب من الغير.

فإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبّهةً أو مخيلةً، فانظر إلى عظم ملك الله تعالى فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكفّ عنك من غربك ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك.

. وإياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته، فإن الله يذّل كل جبّار ويهين كل مختال.

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك وممن لك فيه هوىً من رعيتك، فإنك إلاّ تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حربًا حتى ينزع ويتوب.

وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامةٍ على ظلم فإن الله سميعٌ دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمّها في العدل وأجمعها لرضا الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر برضا العامة.

وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤنةً في الرخاء، وأقل معونةً في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقلّ شكرًا عند العطاء، وأبطأ عذرًا عند المنع، وأضعف صبرًا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة، وإن عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة؛ فليكن صغوك لهم وميلك معهم.

وليكن أبعد رعيتك منك وأشنؤهم عندك أطلبهم لعيوب الناس، فإن في الناس عيوبًا الوالي أحقّ بسترها، فلا تكشفنّ عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله حكمٌ على ما غاب عنك منها.

فاستر العورة ما استطعت يستر الله ما تحب ستره من عيبك.

أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنهم سبب كل وتر، وتغاب عن كل ما لا يصلح لك.

ولا تعجلنّ إلى تصديق ساعٍ، فإن الساعي غاشّ وإن تشبه بالناصحين.

ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً فيعدل عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جبانًا فيضعفك عن الأمور، ولا حريصًا فيزين لك الشره بالجور؛ فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظن بالله.

واعلم أن شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرًا ومن شركهم في الآثام، فلا يكوننّ لك بطانةً، فإنهم أعوان الأثمة وإخوان الظّلمة. وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم، ممن لم يعاون ظالمًا على ظلمه ولا آثمًا على إثمه، أولئك أخف عليك مؤنةً وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفًا وأقلّ لغيرك إلفًا، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك. ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم للحق، وأقلّهم مساعدةً فيما يكون منك مما كره الله تعالى لأوليائه واقعًا من هواك حيث وقع. ثم رضهم على ألاّ يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني إلى العزة. ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلةٍ واحدةٍ، فإن في ذلك تزهيدًا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريبًا لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه.

واعلم أنه ليس شيء أدعى إلى حسن ظنّ والٍ برعيته من إحسانه إليهم وتخفيف المؤنات عليهم وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم.

وليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبًا طويلاً.

وإن أحق من حسن ظنك به من حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده.

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنها، والوزر عليك بما نقضت منها.

وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

واعلم أن الرعية طبقاتٌ لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتّاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة

الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكلّ قد سمّى الله سهمه، ووضع على حدّه فريضته في كتابه وسنة نبيه ﷺ عهدًا منه محفوظًا.

فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم.

ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد، ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها.

ولا قوام لهم جميعًا إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقومون به في أسواقهم، ويكفونهم من الرفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم.

ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم؛ وفي الله لكلٍ سعة؛ ولكلٍ على الوالي حقٌّ بقدر ما يصلحه.

وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل.

فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله تعالى ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم، جيبًا، وأفضلهم حلمًا، ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر ورفق بالضعفاء وينبو عن الأقوياء، وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف.

ثم الحق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع الكرم وشعب العرف؛ ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما.

ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به؛ ولا تحقرنّ لطفًا تعاهدهم به وإن قلّ، فإنه داعيةٌ لهم إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظن بك.

ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها، فإن لليسير من لطفك موضعًا ينتفعون به، وللجسيم موقعًا لا يستغنون عنه.

وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همّهم همًّا واحدًا في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف عليك قلوبهم؛ وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية؛ وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدرهم، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم، فافسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإن كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع وتحرض الجبان إن شاء الله.

ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى.

ولا تضمّن بلاء امرئ إلى غيره، ولا تقصرنّ به دون غاية بلائه.

ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرًا، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيمًا.

واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور؛ فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ... ﴿٥٩﴾﴾ (النساء:٥٩)؛ فالراد إلى الله هو الآخذ بمحكم كتابه، والراد إلى الرسول الآخذ بسنته الجامعة غير المتفرقة.

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الذلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، أوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرمًا بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند إيضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء؛ وأولئك قليل.

ثم أكثر تعاهد قضائه؛ وافسح له في البذل ما يريح علته وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك.

فانظر في ذلك نظرًا بليغًا؛ فإن هذا الدين قد كان أسيرًا في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا.

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارًا ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنهما جماعٌ من شعب الجور والخيانة.

وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقًا وأصح أعراضًا، وأقل في المطامع إسرافًا، وأبلغ في عواقب الأمور نظرًا.

ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنىً لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجةٌ عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك.

ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوةٌ لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية.

وتحفظ من الأعوان، فإن أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدًا، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام الذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة.

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن صلاحهم وصلاحه صلاح لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيالٌ على الخراج وأهله.

وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة؛ ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً.

فإن شكوا ثقلاً أو علةً أو انقطاع شرب أو بالةٍ أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم؛ ولا يثقلنّ عليك شيء خففت به المؤنة عنهم، فإنه ذخرٌ يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمدًا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجماحك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم.

فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد، احتملوه طيبةً أنفسهم به، فإن العمران يحتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر.

واستعمل من يحب أن يدخر حسن الثناء من الرعية والمثوبة من الله عز وجل والرضا من الإمام.

ثم انظر في حال الكتاب فولّ أمورك خيرهم.

واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلافٍ لك بحضرة ملأ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك وإصدار جوابها على الصواب منها عنك، وفيما يأخذ لك ويعطى منك، ولا يضعف عقدًا اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل.

ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك، فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم؛ وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء؛ ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثرًا، وأعرفهم بالأمانة وجهًا، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره.

واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأسًا منه لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها.

ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته.

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيرًا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه، فإنهم موادّ المنافع وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برّك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها، فإنهم سلمٌ لا تخاف بائقته، وصلحٌ لا تخشى غائلته.

وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك.

واعلم أن في كثير منهم ضيقًا فاحشًا وشحًا قبيحًا واحتكارًا للمنافع في المبايعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله ﷺ منع منه.

وليكن البيع بيعًا سمحًا بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكّل به وعاقبه من غير إسراف.

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين المحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعًا ومعترًا، فاحفظ الله ما استحفظك فيهم، واجعل لهم قسمًا من بيت مالك، وقسمًا من غلاّت صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى.

وكلّ قد استرعيت حقه فلا يشغلنّك عنهم بطر فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لأحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همّك عنهم ولا تصعر خدّك لهم؛ وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم؛ ثم اعمل فيهم بالاعذار إلى الله سبحانه وتعالى في تأدية حقه إليه.

وتعهد أهل اليتم وذوي الرّقة في السنّ ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه.

وذلك على الولاة ثقيل؛ والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم.

واجعل لذوي الحاجات منك قسمًا تفرغ لهم في شخصك وتجلس لهم فيه مجلسًا عامًا فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتبعد عنهم جندك وأعوانك من حراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن: "لن تقدّس أمةً لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع".

ثم احتمل الخرق منهم والعيّ، ونحّ عنك الضيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئًا، وامنع في إجمال وإعذار.

ثم أمورٌ من أمورك لابدّ لك من مباشرتها: منها إجابة عمالك بما لا يغني عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك مما تحرج به صدور أعوانك.

وأمض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه.

واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية.

وليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووفّ ما تقربت به إلى الله تعالى من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص بالغًا من بدنك ما بلغ.

وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرًا ولا مضيعًا، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة؛ وقد سألت رسول الله ﷺ حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم؟ فقال: " كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيمًا " .

وأما بعد هذا فلا يطولنّ احتجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور.

والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل.

وإنما الوالي بشر لا يعرف ما يوارى عنه الناس من الأمور؛ وليست على الحق سماتٌ تعرف بها ضروب الصدق من الكذب.

وإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه؟ وإما امرؤ مبتلىً بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يئسوا من ذلك! مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤنة فيه عليك من شكاة مظلمةٍ أو طلب إنصافٍ في معاملة.

ثم إن للوالي خاصةً وبطانة فيهم استئثارٌ وتطاول وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة ذلك بقطع أسباب تلك الأحوال. ولا تقطعنّ لأحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة، ولا يطمعنّ منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة.

والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابرًا محتسبًا واقعًا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع؛ وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودة.

وإن ظنت الرعية بك حيفًا فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم بإصحارك، فإن في ذلك إعذارًا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.

ولا تدفعنّ صلحًا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضًا، فإن في الصلح دعةً لجنودك وراحةً من همومك وأمنًا لبلادك.

ولكن احذر كل الحذر من عدوّك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن.

فإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة وألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنّة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشدّ عليه اجتماعًا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود؛ وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر.

فلا تغدرنّ بذمتك ولا تخيسنّ بعهدك ولا تختلنّ عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهلٍ شقي.

وقد جعل الله عهده وذمته أمنًا قضاه بين العباد برحمته، وحرمًا يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره، فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه.

ولا تعقد عقدًا تجوز فيه العلل.

ولا تعولنّ على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة.

ولا يدعونّك ضيق أمرٍ لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيقٍ ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله طلبة فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك.

إياك والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنه ليس شيء أدعى لنقمةٍ ولا أعظم تبعةٍ ولا أحرى بزوال نعمةٍ وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقّها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة؛ فلا تقوينّ سلطانك بسفك دمٍ حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله.

فلا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قود البدن.

فإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة؛ فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم.

وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.

وإياك والمنّ على رعيتك بإحسانك، والتزيد فيما كان من فعلك، وأن تعدهم فتتبع موعدك بخلف، فإن المنّ يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس.

قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ (الصف:٣) .

وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التسقط فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت؛ فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه.

وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما يعنى به مما قد وضح لعيون الناظرين، فإنه مأخوذ منك لغيرك، وعما قليلٍ تتكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك المظلوم.

املك حميّة أنفك وسورة حدّك وسطوة يدك وغرب لسانك، واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك.

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثرٍ عن نبينا ﷺ، أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا، واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها.

وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل ذي رغبة: أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد وجميل الأثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة.

﴿...إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝﴾.

تم العهد بعون الله تعالى[1].

---

(١) انظر: صبح الأعشى (١٠/ ١٠)، نهاية الأرب في فنون الأدب (٢/ ١٦٤).

وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لكميل بن زياد في العلم وأهله:

قال كميل بن زياد النخعي: خرجت مع علي بن أبي طالب ﷺ إلى الجبانة، فلما أصحرنا تنفس الصعداء، ثم قال: يا كميل بن زياد، إن القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير. احفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا منه إلى ركن وثيق. العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال. والعلم يزكو على الإنفاق والمال تنقصه النفقة. والعلم حاكم والمال محكوم عليه. ومحبة العلم دين يدان الله تعالى به يكسبه الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته. مات خزنة الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أشخاصهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

إن ههنا، وأشار بيده إلى صدره، لعلمًا جمًا لو أصبت له حملة بل قد أصبت له لقنًا غير مأمون عليه، يستعمل الدين للدنيا فيستظهر بحجج الله على كتابه، أو كما قال، وبنعمه على عباده، أو منقادًا لأهل الحق لا بصيرة له في أخبائه، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، ألا لا ذا ولا ذاك! أو مهمومًا باللذات سريع الانقياد للشهوات، أو مغرى شأنه جمع المال والادخار ليسا من رعاة الدين أقرب شبهًا بهما الأنعام السائمة. اللهم فكذلك يموت العلم بموت حامليه، ولكن لن تخلو الأرض من قائم لله تعالى بحججه لئلا تبطل حجج الله وبيناته، ومن أولئك، وأين أولئك، أولئك الأقلون عددًا الأكثرون عند الله قدرًا، تجول الحكمة في قلوبهم حتى يزرعها في قلوب أشباههم، ويودعوها في صدور نظرائهم. هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين، فاستلانوا ما استوحشه المترفون واستأنسوا بما استوحش الجاهلون. صحبوا الدنيا بأجساد أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده وأمناؤه على عباده، ودعاته إلى دينه. آه شوقًا إلى رؤيتهم[2]!

وصية أبي بكر لخالد بن الوليد:

وصى أبو بكر خالد بن الوليد حين وجهه لقتال أهل الردة فقال: سر على بركة الله فإذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا عن الحملة فإني لا آمن عليك

---

(٢) انظر: تاريخ دمشق (٥٠/ ٢٥٤)، الجليس الصالح (٤/ ٣٣١).

الجولة واستظهر بالزاد وسر بالأدلاء ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه واحترس من البيات فإن فى العرب غرة وأقلل من الكلام فإن مالك ما وعى عنك وأقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله في سريرتهم وأستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه[3].

وصية خالد بن سعيد بن العاص لأبي بكر:

ولما أراد خالد بن سعيد بن العاص أن يغدو سائرا إلى الشام لبس سلاحه وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم عمرا والحكم وأبان وغلمته ومواليه ثم أقبل إلى أبى بكر ﷺ بعد صلاة الغداة وصلى معه فلما انصرفوا قام إليه هو وإخوته فجلسوا إليه فحمد الله خالد وأثنى عليه وصلى على النبى ثم قال : يا أبا بكر إن الله أكرمنا وإياك والمسلمين طرا بهذا الدين فأحق من أقام السنة وأمات البدعة وعدل فى السيرة الوالي على الرعية وكل امرئ من أهل هذا الدين محقوق بالإحسان ومعدلة الوالى أعم نفعا فاتق الله يا أبا بكر فيمن ولاك الله أمره وارحم الأرملة واليتيم وأعن الضعيف المظلوم ولا يكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه آثر عندك فى الحق منه إذا سخطت عليه ولا تغضب ما قدرت على ذلك فإن الغضب يجر الجور ولا تحقد على مسلم وأنت تستطيع فإن حقدك على المسلم يجعلك له عدوا وإن اطلع على ذلك منك عاداك فإذا عادى الوالى الرعية وعادت الرعية الوالى كان بك قصفا أن يكون إلى هلاكهم داعيا وكن لينا للمحسن واشدد على المريب ثم قال هات يدك فإنى لا أدرى هل نلتقى في الدنيا بعد هذا اليوم فإن قضى الله لنا التقاء فنسأل الله عفوه وغفرانه وإن كانت هى الفرقة التى ليس بعدها التقاء فعرفنا الله وإياك وجه النبى ﷺ فى جنات النعيم فأخذ أبو بكر ﷺ بيده ثم بكى وبكى خالد والمسلمون وظنوا أنه يريد الشهادة[4].

وصية أبى بكر لخالد بن سعيد بن العاص:

فلما خرج من المدينة قال له أبو بكر ﷺ إنك قد أوصيتنى برشدى وقد وعيته وأنا موصيك فاستمع وصيتى وعها إنك امرؤ قد جعل الله لك سابقة فى الإسلام وفضيلة عظيمة والناس ناظرون إليك ومستمعون منك وقد خرجت فى هذا الوجه

---

(٣) انظر : العقد الفريد (١/ ٣٦).

(٤) جمهرة خطب العرب (١/ ١٩٤).

العظيم الأجر وأنا أرجو أن يكون خروجك فيه لحسبة ونية صادقة إن شاء الله فثبت العالم وعلم الجاهل وعاتب السفيه المترف وانصح لعامة المسلمين واخصص الوالي على الجند من نصيحتك ومشورتك ما يحق الله وللمسلمين عليك واعمل لله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى واعلم أنا عما قليل ميتون ثم مبعوثون ثم مساءلون ومحاسبون جعلنا الله وإياك لأنعمه من الشاكرين ولنقمه من الخائفين ثم أخذ يده فودعه(٥).

وصية أبي بكر لعمرو بن العاص:

ولما أجمع أبو بكر أن يبعث الجيوش إلى الشأم كان أول من سار من عماله عمرو ويقول: يا عمرو اتق الله في سر أمرك وعلانيته واستحيه فإنه يراك ويرى عملك وقد رأيت تقديمي إياك على من هو أقدم سابقة منك ومن كان أعظم غناء عن الإسلام وأهله منك فكن من عمال الآخرة وأرد بما تعمل وجه الله وكن والدا لمن معك ولا تكشفن الناس عن أستارهم واكتف بعلانيتهم وكن مجدا في أمرك واصدق اللقاء إذا لاقيت ولا تجبن وتقدم في العلوم وعاقب عليه وإذا وعظت أصحابك فأوجز وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك(٦) .

وصية أخرى:

وأمد أبو بكر أبا عبيدة بجيش عليه عمرو بن العاص فلما أراد الشخوص خرج معه أبو بكر ﷺ يشيعه وقال: يا عمرو إنك ذو رأي وتجربة بالأمور وتبصرة بالحرب وقد خرجت مع أشراف قومك ورجال من صلحاء المسلمين وأنت قادم على إخوانك فلا تألهم نصيحة ولا تدخر عنهم صالح مشورة فرب رأي لك محمود في الحرب مبارك في عواقب الأمور فقال له عمرو ما أخلقني أن أصدق ظنك وأن أقبل رأيك ثم ودعه وانصرف(٧).

وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان:

ودعا يزيد بن أبي سفيان فعقد له وأوصاه فقال: يا يزيد إني أوصيك بتقوى الله وطاعته والإيثار له والخوف منه وإذا لقيت العدو فأظفركم الله بهم فلا تغلل

---

(٥) تاريخ دمشق (١٦/ ٨٣).

(٦) تاريخ دمشق (٢/ ٦٦).

(٧) جمهرة خطب العرب (١/ ١٩٦).

ولا تمثل ولا تغدر ولا تجبن ولا تقتلوا وليدا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تحرقوا نخلا ولا تقعره ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تعقروا بهيمة إلا لمأكلة وستمرون بقوم فى الصوامع يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له وستجدون آخرين قد فحص الشيطان عن أوساط رءوسهم حتى كأن أوساط رءوسهم أفاحيص القطا فاضربوا ما فحصوا من رءوسهم بالسيوف حتى ينيبوا إلى الإسلام أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب ثم أخذ يده فقال إنى أستودعك الله وعليك سلام الله ورحمته ثم ودعه وقال إنك أول أمرائى وقد وليتك على رجال من المسلمين أشراف غير أوزاع فى الناس فأحسن صحبتهم ولتكن لهم كنفا واخفض لهم جناحك وشاورهم فى الأمر أحسن الله لك الصحابة وعلينا الخلافة(٨).

وصية أخرى ليزيد بن أبى سفيان:

ووصى يزيد بن أبى سفيان أيضا حين وجهه لفتح الشام فقال: إنى قد وليتك لأبلوك وأجريك وأخرجك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك وإن أسأت عزلتك فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذى يرى من ظاهرك وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله وقد وليتك عمل خالد فإياك وعبية الجاهلية فإن الله يبغضها ويبغض أهلها وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا وأصلح نفسك يصلح لك الناس وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ولا تريثهم فيروا خللك ويعلموا علمك وأنزلهم فى ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولى لكلامهم ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك واسمر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار وتتكشف عندك الأستار وأكثر حرسك وبددهم فى عسكرك وأكثر مفاجأتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه فى غير إفراط وعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنها أيسرهما لقربها من النهار

---

(٨) جمهرة خطب العرب (١/ ١٩٦).

ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها ولا تسرع إليها ولا تخذ لها مدقعا ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ولا تجسس عليهم فتفضحهم ولا يكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له[٩].

وصيته لشرحبيل بن حسنة:

ووجه شرحبيل بن حسنة وودعه فقال له يا شرحبيل ألم تسمع وصيتى ليزيد ابن أبى سفيان قال بلى قال فإنى أوصيك بمثلها وأوصيك بخصال أغفلت ذكرهن ليزيد أوصيك بالصلاة فى وقتها وبالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل وبعيادة المرضى وبحضور الجنائز وذكر الله كثيرا على كل حال[١٠].

وصيته لأبى عبيدة بن الجراح:

ولما أراد أن يبعث أبا عبيدة بن الجراح ودعاه فودعه ثم قال له: اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ثم يعمل بما أمر به إنك تخرج فى أشراف الناس وبيوتات العرب وصلحاء المسلمين وفرسان الجاهلية كانوا يقاتلون إذ ذاك على الحمية وهم اليوم يقاتلون على الحسبة والنية الحسنة أحسن صحبة من صحبك وليكن الناس عندك فى الحق سواء واستعن بالله وكفى بالله معينا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اخرج من غد إن شاء الله[١١].

وصيته لأبى عبيدة بن الجراح أيضا:

فلما كان من الغد خرج أبو بكر ﷺ يمشى فى رجال من المسلمين حتى أتى أبا عبيدة فسار معه حتى بلغ ثنية الوداع ثم قال حين أراد أن يفارقه: يا أبا عبيدة اعمل صالحا وعش مجاهدا وتوف شهيدا يعطك الله كتابك بيمينك ولتقر عينك فى دنياك وآخرتك فوالله إنى لأرجو أن تكون من التوابين الأوابين المخبتين الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة إن الله قد صنع بك خيرا وساقه إليك إذ

(٩) الكامل في التاريخ (١/ ٣٩٠).
(١٠) جمهرة خطب العرب (١/ ١٩٩).
(١١) فتوح الشام (صـ١٧).

جعلك تسير في جيش من المسلمين إلى عدوه من المشركين فقاتل من كفر بالله وأشرك به وعبده معه غيره[12].

وصية أبي بكر لهاشم بن عتبة:

ولما سار هاشم بن عتبة ودعه أبو بكر ﷺ وقال له: يا هاشم إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدبيره وكنا ننتفع من الشاب بصبره وبأسه ونجدته وإن الله عز و جل قد جمع لك تلك الخصال كلها وأنت حديث السن مستقبل الخير فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر واعلم أنك لا تخطو خطوة ولا تنفق نفقة ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملا صالحا إن الله لا يضيع أجر محسنين.

فقال هاشم: إن يرد الله بي خيرا يجعلني كذلك وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله وأنا أرجو إن أنا لم أقتل أن أقتل إن شاء الله.

فقال له عمه سعد بن أبي وقاص ﷺ: يابن أخي لا تطعن طعنة ولا تضربن ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله واعلم أنك خارج من الدنيا رشيدا وراجع إلى الله قريبا ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدمته أو عمل صالح أسلفته.

فقال: أي عم لا تخالن مني غير هذا إني إذا لمن الخاسرين إن جعلت حلي وارتحالي وغدوي ورواحي وسيفي وطعني برمحي وضربي بسيفي رياء للناس، ثم خرج فقدم على أبي عبيدة فتباشر بمقدمة المسلمين[13].

وصية أبي بكر لجيش أسامة بن زيد:

لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقًا. اندفعوا باسم الله[14].

(١٢) جمهرة خطب العرب (١/ ٢٠٠).

(١٣) السابق نفسه (١/ ٢٠١).

(١٤) الكامل في التاريخ (١/ ٣٦٢).

وصية عمر بن الخطاب:

عن الشعبي عن ابن عباس ﷺ قال: قال لي أبي: إني أرى أمير المؤمنين - يعني عمر بن الخطاب رضوان الله عليه - يدنيك دون أصحاب محمد ﷺ، فاحفظ عني ثلاثًا: لا يجرّبَنَّ عليك كذبًا، ولا تغتابنَّ عنده أحدًا، ولا تفشينَّ له سرًا. قال: فقلت: يا أبا عباس كل واحدة خير من ألف دينار، قال: كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف دينار.

· دخل كعب الأحبار يومًا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، فأمره بالجلوس إلى جانبه، فتنحَّى كعب قليلاً، فقال له عمر: ما منعك من الجلوس إلى جانبي؟ قال: يا أمير المؤمنين، وجدت في حكمة لقمان مما أوصى به ابنه أن قال له: يا بني، إذا قعدت إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجلٍ، فلعله أن يأتيه من هو آثر عنده منك، فيريد أن تتحَّى له عن مجلسك، فيكون ذلك نقصًا عليك وشينًا[١٥].

وصية عمر ليعلى بن أمية في إجلاء أهل نجران:

روى الطبراني قال: كان أول بعث بعثه عمر بعث أبي عبيد ثم بعث يعلي ابن أمية إلى اليمن وأمره بإجلاء أهل نجران لوصية رسول الله في مرضه بذلك ولوصية أبي بكر رحمه الله بذلك في مرضه وقال: ائتهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم أجلهم من أقام منهم على دينه وأقرر المسلم وامسح أرض كل من تجلى منهم ثم خيرهم البلدان وأعلمهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله الا يترك بجزيرة العرب دينان فليخرجوا من أقام على دينه منهم ثم نعطيهم أرضا كأرضهم إقرارا لهم بالحق على أنفسنا ووفاء بذمتهم فيما أمر الله من ذلك بدلا بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريف[١٦].

وصية عمر بن الخطاب لسلمة بن قيس الأشجعي:

عن سليمان بن بريدة أن أمير المؤمنين كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الايمان أمر عليهم رجلا من أهل العلم والفقه فاجتمع إليه جيش فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعي فقال سر باسم الله قاتل في سبيل الله من كفر بالله

---

(١٥) لباب الآداب (ص٦).

(١٦) تاريخ الطبري (٢/ ٦٣٢).

فإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال ادعوهم إلى الاسلام فإن أسلموا فاختاروا دارهم فعليهم في أموالهم الزكاة وليس لهم في فئ المسلمين نصيب وإن اختاروا أن يكونوا معكم فلهم مثل الذي لكم وعليهم مثل الذي عليكم فإن أبوا فادعوهم إلى الخراج فإن أقروا بالخراج فقاتلوا عدوهم من ورائهم وفرغوهم لخراجهم ولا تكلفوهم فوق طاقتهم فإن أبوا فقاتلوهم فإن الله ناصركم عليهم فإن تحصنوا منكم في حصن فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله فلا تنزلوهم على حكم الله فإنكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم وإن سألوكم أن ينزلوا على ذمة الله وذمة رسوله فلا تعطوهم ذمة الله وذمة رسوله واعطوهم ذمم أنفسكم فإن قاتلوكم فلا تغلوا ولا تغدروا(١٧).

وصية عمر للسائب بن الأقرع:

يا سائب اذهب بكتابي هذا إلى النعمان بن مقرن، فليسر بثلثي أهل الكوفة، وليبعث إلى أهل البصرة، وأنت على ما أصابوا من غنيمة، فإن قتل النعمان فحذيفة الأمير، فإن قتل حذيفة فجرير بن عبد الله، فإن قتل ذلك الجيش فلا أراك(١٨).

وصية عمر لعتبة بن غزوان:

قال لعتبة بن غزوان إذ وجهه إلى البصرة يا عتبة إني قد استعملتك على أرض الهند وهي حومة من حومة العدو وأرجو أن يكفيك الله ما حولها وأن يعينك عليها وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن هرثمة وهو ذو مجاهدة العدو ومكايدته فإذا قدم عليك فاستشره وقربه وادع إلى الله فمن أجابك فاقبل منه ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة وإلا فالسيف في غير هوادة واتق الله فيما وليت وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر يفسد عليك إخوتك وقد صبحت رسول الله ﷺ فعززت به بعد الذلة وقويت به بعد الضعف حتى صرت أميرا مسلطا وملكا مطاعا تقول فيسمع منك وتأمر فيطاع أمرك فيالها نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك على من دونك. احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ولهي أخوفهما عندي عليك ان تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم

---

(١٧) تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٠).

(١٨) تاريخ خليفة بن خياط (صـ٣٠).

أعيذك بالله ونفسي من ذلك إن الناس أسرعوا إلى الله حين رفعت لهم الدنيا فأرادوها فأرد الله ولا ترد الدنيا واتق مصارع الظالمين[١٩].

وصية علي بن أبي طالب:

كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات: انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ولا تروعن مسلمًا ولا تجتازن عليه كارهًا ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ولا تخدج بالتحية لهم ثم تقول: عباد الله أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم فهل الله في أموالكم من حق فتأدوه إلى وليه فإن قال قائل لا فلا تراجعه: وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخفيه وتوعده أو تعسفه أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه فإن أكثرها له فإذا أتيتها فلا تدخل عليها متسلط عليه ولا عنيف به ولا نتفرن بهيمة ولا تفرعنها ولا تسؤن صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثم خيره فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره فلا تزال بذلك حتى يبقى ما فيه لحق الله في ماله فاقبض حق الله منه فإن استقالك فأقله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله في ماله ولا تأخذن عودًا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار ولا تأمنن عليها إلا من تثق بدينه رافقًا بمال المسلمين حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم ولا توكل بها غلا ناصحًا شفيقًا وأمينًا حفيظًا غير معنف ولا مجحف ولا مغلب ولا متعب ثم احدر إلينا ما اجتمع عندك نصبره حيث أمر الله فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصليها ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها ولا يجدنها ركوبًا وليعدل بين صواحبتها في ذلك وبينها: وليرفه على اللاغب وليستأن بالنقب والظالع وليوردها ما تمر به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطرق وليروحها في الساعات وليمهلها عند النطاف والأعشاب حتى تأتينا بإذن الله بدنا منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه. فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك إن شاء الله[٢٠].

---

(١٩) تاريخ الطبري (٣/ ٩٢).

(٢٠) جواهر الأدب (١/ ١٠١).

وصية علي بن أبي طالب قالها يوم صفين:

أما بعد فقد جعل الله عليكم حقًا بولاية أمركم ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم فالحق أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف لا يجلاي لأحد إلا جرى عليه ولا يجري عليه الأجرى له ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصًا لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسعًا بما هو من المزيد أهله ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقًا افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ في وجوهها ويجب بعضها بعضًا ولا يستوجب بعضها إلا ببعض وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها سبحانه لكل على كل فجعلها نظامًا لألفتهم وعزًا لدينهم فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدجى الوالي إليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العجل وجرت على أذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء وإذا غلبت الرعية واليها وأجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الإدغال في الدين وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الأحكام وكثر علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولا لعظيم باطل فعل فهنالك تذل الأبرار وتعز الأشرار وتعظم تبعات الله عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه فليس أحد وإن اشتد على رضاء الله حرصه وطال في العمل اجتهاده لبالغ حقيقة ما الله أهله من الطاعة: ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحق بينهم وليس امرؤ وإن عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته يفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه ولا امرؤ وإن صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه.

فأجابه ﷺ رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته فقال ﷺ إن من حق من عظم جلال الله في نفسه وجل موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه وإن أحق من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله ولطف إحسانه إليه فإنه لم تعظم نعمة الله على أحد إلا ازداد حق الله عليه عظمًا وإن من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظن بهم

حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبر وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الإطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطًا لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء: وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا علي بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من التقية في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لابد من إمضائها فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي ولا التماس إعظام لنفسي فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يغرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فإني لست في نفسي يفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلني إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا ما لا نملك من أنفسنا وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى[٢١].

ومن وصية له وصى بها جيشًا بعثه إلى العدو:

فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبيل الأشراف وسفاح الجبال أو أثناء الأنهيار فيما يكون لكم رداء ودونكم مردًا ولتكن مقالتكم من وجه واحد أو اثنين واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن: واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم وإياكم والتفرق فإذا نزلتم فانزلوا جميعًا وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعًا وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة ولا تذوقوا النوم إلا غرارًا أو مضمضة[٢٢].

وصية أبي عبيدة للمسلمين وقد أصابه طاعون عمواس:

وكان طاعون عمواس قد عم أهل الشام سنة ١٨هـ ومات فيه بشر كثير ومات فيه أبو عبيدة رحمه الله ولما طعن أبو عبيدة وهو بالأردن دعا المسلمين فلما دخلوا عليه قال: إني أوصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزالوا بخير ما بقيتم وبعد ما تهلكون أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا وتصدقوا وحجوا واعتمروا

---

(٢١) جواهر الأدب (١/ ٩٨).

(٢٢) السابق نفسه.

وتواصلوا وتحابوا واصدقوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تلهكم الدنيا فإن امرأ لو عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعي هذا الذي ترون وإن اللهِ قد كتب الموت على بني آدم فهم ميتون وأكرمهم منهم أطوعهم لربه وأعلمهم ليوم معاده ثم قال يا معاذ صل بالناس فصلى معاذ بالناس ومات أبو عبيدة رحمه الله[٢٣].

وصية عمرو بن العاص:

عن يزيد بن أبي حبيب عن أبن شماسة قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فحول وجهه إلى الحائط وجعل يبكي طويلا فقال له ابنه يا أبه أما بشرك رسول الله بكذا فأقبل بوجهه علينا فقال أن أفضل ما نعد به شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقد كنت على أطباق ثلاثة قد كنت وما أحد أبغض إلي من رسول الله ولا احب إلي من أن أستمكن منه فاقتله فلو مت على تلك الحال كنت من أهل النار فلما جعل الله ﷻ الإسلام في قلبي أتيت النبي فقلت يا محمد أبسط يمينك أبايعك قال فبسط يده فقبضت يدي فقال ما لك يا عمرو فقلت أريد أن أشترط فقال أشترط ماذا قلت يغفر لي ما كان قال أما علمت أن الإسلام يمحو ما كان قبله وأن الهجرة تمحو ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله قال فبايعت رسول الله فما كان أحب إلي من رسول الله و لا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أمل عيني إجلالا له ولو شئت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أنظر إليه إجلالا له فلو مت على ذلك لرجوت أن أكون من أهل الجنة ثم ولينا بعد أشياء لا أدري ما حالي فيها فإذا أنا مت فلا تتبعوني نائحة و لا نارا فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا ثم أقيموا عند قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها كي أستأنس بكم حتى أنظر ما أراجع به رسل ربي[٢٤].

وصية عبد الله بن مغفل:

عن عبد الله بن بريدة عن عبد الله بن مغفل قال إذا أنا مت فاجعلوا في آخر غسلي كافورا وكفنوني في بردين وقميص فان النبي قد فعل ذلك به[٢٥].

---

(٢٣) جمهرة خطب العرب (١/ ٢٥٧).

(٢٤) تاريخ دمشق (٤٦/ ١٩٥).

(٢٥) تاريخ بغداد (٤/ ٢٨).

وصية سمرة بن جندب ﷺ:

عن خبيب بن سليمان عن أبيه سليمان بن سمرة عن سمرة بن جندب قال هذه وصية سمرة إلى بنيه بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا اله إلا هو أما بعد ذلكم فإني أوصيكم بتقوى الله ﷻ وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتجتنبوا التي حرم الله ﷻ وتسمعوا وتطيعوا لله ﷻ ورسوله وكتبه والخليفة الذي يقوم على أمر الله ﷻ وجميع المسلمين أما بعد فان رسول الله كان يأمرنا أن يصلي أحدنا كل ليلة بعد الصلاة المكتوبة ما قل أو أكثر من الصلاة ونجعلها وترا وكان يأمر أن نصلي أي ساعة شئنا من الليل و النهار غير أنه أمرنا أن نتجنب طلوع الشمس وغروبها وقال إن الشيطان يغيب معها حين تغيب ويطلع معها حين تطلع وأمرنا أن نحافظ على الصلوات كلهن وأوصانا بالصلاة الوسطى ونبأنا أنها صلاة العصر(٢٦).

وصية لمعاذ بن جبل:

ثم صلى ورجع إلى منزله فإذا هو بابنه عبد الرحمن قد طعن فلم يلبث إلا قليلا حتى مات يرحمه الله وصلى عليه معاذ ثم دفنه فلما رجع معاذ إلى منزله طعن فاشتد به وجعه وجعل أصحابه يختلفون إليه فإذا أتاه أصحابه أقبل عليهم فقال لهم: اعملوا وأنتم فى مهلة وحياة وفى بقية من آجالكم من قبل أن تمنوا العمل فلا تجدوا إليه سبيلا وأنفقوا مما عندكم لما بعدكم قبل أن تهلكوا وتدعوا ذلك كله ميراثا لمن بعدكم واعلموا أنه ليس لكم من أموالكم إلا ما أكلتم وشربتم ولبستم وأنفقتم وأعطيتم فأمضيتم وما سوى ذلك فللوارثين(٢٧).

وصية لمعاذ بن جبل أيضا:

وأتاه رجل فى مرضه فقال يا معاذ علمنى شيئا ينفعنى الله به قبل أن تفارقنى فلا أراك ولا ترانى ولا أجد منك خلفا ثم لعلى أن أحتاج إلى سؤال الناس عما ينفعنى بعدك فلا أجد فيهم مثلك فقال معاذ كلا إن صلحاء المسلمين والحمد لله كثير ولن يضيع الله أهل هذا الدين ثم قال له: خذ عنى ما آمرك كن من الصائمين بالنهار ومن المصلين فى جوف الليل ومن المستغفرين بالأسحار ومن

---

(٢٦) ميزان الاعتدال (٤/ ٨٩)، التاريخ الكبير (١/ ٢٦).

(٢٧) جمهرة خطب العرب (١/ ٢٦٠).

الذاكرين الله على كل حال كثيرا ولا تشرب الخمر ولا تزنين ولا تعق والديك ولا تأكل مال اليتيم ولا تفر من الزحف ولا تأكل الربا ولا تدع الصلاة المكتوبة ولا تضيع الزكاة المفروضة وصل رحمك وكن بالمؤمنين رحيما ولا تظلم مسلما وحج واعتمر وجاهد ثم أنا لك زعيم بالجنة، ومات رحمه الله وقد استخلف عمرو بن العاص فصلى عليه عمرو، فلما دفنه قال: رحمك الله يا معاذ فقد كنت ما علمناك من نصحاء المسلمين ومن خيارهم وأعلامهم ثم كنت مؤدبا للجاهل شديدا على الفاجر رحيما بالمؤمنين وايم الله لا يستخلف من بعدك مثلك(٢٨).

وصية العباس بن عبد المطلب المتوفى سنة ٣٢هـ لابنه عبد الله:

قال عبد الله بن عباس قال لي أبي: يا بني إني أرى أمير المؤمنين يعني عمر ابن الخطاب قد اختصك من دون من ترى من المهاجرين والأنصار وإني موصيك بخلال أربع لا يجرين عليك كذبا ولا تغتابن عنده مسلما ولا تفشين له سرا ولا تطو عنه نصيحة قال فقلت يا أبه كل واحدة منها خير من ألف فقال كل واحدة منها خير من عشرة آلاف(٢٩).

وصية علي لقيس بن سعد:

ولما قتل عثمان ﷺ وولى علي بن أبي طالب الأمر دعا قيس بن سعد ابن عبادة الأنصاري وولاه مصر سنة ٣٦هـ، وقال له: سر إلى مصر فقد وليتكها واخرج إلى رحلك واجمع إليك ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فإن ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن(٣٠).

أوصى عمير بن حبيب بنيه:

فقال: يا بنيّ إياكم ومخالطة السفهاء فإن مجالستهم داء وإن من يحلم عن السفيه يسر بحلمه ومن يجبه يندم ومن لا يقر بقليل ما يأتي به السفيه يقر بالكثير وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن قبل

---

(٢٨) السابق نفسه.

(٢٩) نهاية الأرب في فنون الأدب (٢/ ١٦٣).

(٣٠) تاريخ الطبري (٣/ ٥٤٩).

ذلك على الأذى وليوقن بالثواب من الله عز و جل إنه من يوقن بالثواب من الله ﷻ لا يجد مس الأذى[٣١].

وصية أبي عبيدة بن الجراح:

تحدث لوط بن يحيى أبو مخنف قال: لما طعن أبو عبيدة بن الجراح بالأردن وبها قبره دعا من حضره من المسلمين فقال: إني أوصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزالوا بخير: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدقوا وحجوا واعتمروا، وتواصلوا، وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم، ولا تلهكم الدنيا، فإن امرءًا لو عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مثل مصرعي هذا الذي ترون. إن الله كتب الموت على بني آدم، فهم ميتون، وأكيسهم أطوعهم لربه، وأعملهم ليوم ميعاده. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. يا معاذ بن جبل، صل بالناس. ومات رحمه الله، فقام معاذ بن جبل إلى الناس فقال: يا أيها الناس، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحا، فإن عبدًا لا يلقى الله تائبًا من ذنبه إلا كان حقًا على الله أن يغفر له. من كان عليه دين فليقضه، فإن العبد مرتهن بدينه، ومن أصبح منكم مهاجرًا أخاه فليلقه فليصالحه، ولا ينبغي أن يهجر أخاه أكثر من ثلاث، والذنب في ذلك عظيم. إنكم، أيها المسلمون، قد فجعتم برجل ما أزعم أني رأيت عبدًا أبر صدرًا، ولا أبعد من الغائلة وأشد حبًا للعافية، ولا أنصح للعامة منه. فترحموا عليه رحمه الله، ثم احضروا للصلاة عليه.

قال: ولما احتضر معاذ بن جبل قال لوط بن يحيى: حدثنا الصعب ابن زهير عن شهر بن حوشب قال: أتى آت معاذ بن جبل عند موته فقال: يا معاذ، أوصني بما ينفعني قبل أن تفارقني، فلعلي أحتاج إلى سؤال الناس بعدك، فلا أجد فيهم مثلك. قال معاذ: بلى، صلحاء الناس بحمد الله كثير، ولن يضيع الله أهل هذا الدين. خذ عني ما آمرك به: كن من الصائمين بالنهار، والمستغفرين بالأسحار، والذاكرين الله على كل حال، ولا تشرب الخمر، ولا تعقق والديك، ولا تأكل مال اليتيم، ولا تفر من الزحف، ولا تأكل الربا، ولا تدع الصلاة المكتوبة، وصل رحمك لله، وكن بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا. وأنا لك بالجنة زعيم. ثم مات رحمه الله. فصلى عليه عمرو بن العاص[٣٢].

(٣١) جمهرة خطب العرب (١/ ١٧١).

(٣٢) جمهرة خطب العرب (١/ ٢٥٧).

وصية علي بن أبي طالب رحمه الله:

قال لوط بن يحيى: حدثني عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب أسال عنه حين ضربه ابن ملجم لعنه الله. فقمت ولم أجلس لمكان ابنة له دخلت عليه وهي مستترة، فدعا الحسن والحسين رحمهما الله فقال: إني أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء منها زوي عنكما. قولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضالع، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصمًا، وللمظلوم عونًا، ولا تأخذ كما في الله لومة لائم.ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال له: فهمت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم. قال: أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك، وتزيين أمرهما، ولا تقطع أمرًا دونهما ثم قال: وأوصيكما به فإنه شقيقكما، وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباه كان يحبه فأحباه[٣٣].

رسالة ابن عباس:

كتب عبد الله بن عباس ﷺ إلى الحسن بن علي عليهما السلام إذ ولاه الناس أمرهم بعد أبيه أن شمر للحرب وجاهد عدوك، واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم دينك، وول أهل البيوتات من تستصلح به عشائرهم[٣٤].

رجل من الأنصار:

وأوصي بعض الأنصار ابنه فقال: يا بني، إني موصيك بوصية إن لم تحفظها كنت خليقًا أن لا تحفظها عن غيري. يا بني اتق الله، وإن ساتطعت أن تكون اليوم خيرًا منك أمس، وغدًا خيرًا منك اليوم فافعل. وإذا عثر عاثر من بني آدم فاحمد الله ألا تكونه. وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس مما في أيدي الناس، فإنك لن تيأس من شيء إلا إغناك الله عنه. وغياك وما يعتذر منه فإنه لا يعتذر من خير. وإذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع وأنت ترى أنك لا تصلي بعدها أبدًا[٣٥].

---

(٣٣) المعمرون والوصايا (صـ٤٨).

(٣٤) نهاية الأرب في فنون الأدب (٢/ ١٦٤).

(٣٥) العقد الفريد (١/ ٣٠٥).

وصية سعد بن أبي وقاص:

لما حضرت سعدًا الوفاة دعا ابنه فقال: يا بني: احفظ عني خصالاً خمسًا: أظهر اليأس مما في أيدي الناس فإنه غنى حسن. وإياك وطلب الحاجات إليهم فإنه فقر حاضر. وإياك وما يعتذر منه. وكن في اليوم الذي تستقبل خيرًا منك في اليوم الذي خلفت. وإذا قمت إلى الصلاة فأحسن الوضوء ثم صل صلاة المودع فإنه يوشك أن تصلي صلاة لا تصلي بعدها. ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: أشكو إلى الله بعد المفازة وقلة الزاد. وهذه الوصية مثل التي قبلها إلا ألفاظًا يسيرة[٣٦].

وصية أبي بكر الصديق لعمر الفاروق:

إني مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوى الله ان لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل وانه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق ان يكون ثقيلا وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل ان يكون خفيفا ان الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فاذا ذكرتهم قلت اني اخاف ان لا أكون من هؤلاء وذكر اهل النار فذكرهم بأسوإ اعمالهم ولم يذكر حسناتهم فاذا ذكرتهم قلت اني لأرجو ان لا أكون من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقى بيده الى التهلكة فاذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب احب اليك من الموت وهو آتيك وان ضيعت وصيتي فلا يكن غائب ابغض اليك من الموت ولست بمعجز الله[٣٧].

وصية عمر للخليفة من بعده:

وأوصى عمر ﷺ الخليفة من بعده فقال: أوصيك بتقوى الله لا شريك له وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيرًا أن تعرف لهم سابقتهم وأوصيك بالأنصار خيرًا فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم وأوصيك بأهل الأمصار خيرًا فانهم ردء العدو وجباة الفيء لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم وأوصيك بأهل البادية خيرًا

---

(٣٦) التذكرة الحمدونية (صـ٣٨٤).

(٣٧) البيان والتبيين (صـ٢٣٥).

فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم فترد على فقرائهم وأوصيك بأهل الذمة خيرًا أن تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم اذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعا أو عن يد وهم صاغرون وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة وأوصيك أن تخشى الله في الناس وتخشى الناس في الله وأوصيك بالعدل في الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم فإن ذلك بإذن الله سلامة لقلبك وحط لوزرك وخير في عاقبة أمرك حتى تفضي من ذلك إلى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك وأمرك أن تشتد في أمر الله وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم ثم لا تأخذك في أحد رأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرم الله واجعل الناس عندك سواء لا تبالي على من وجب الحق ثم لا تأخذك في الله لومة لائم واياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك وقد اصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة فان اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط الله لك اقترفت به إيمانا ورضوانا وان غليك لهوى اقترفت به سخط الله وأوصيك أن لا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة.

وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة واخترت من دلالتك ما كنت دالا عليه نفسي وولدي فان عملت بالذي وعظتك وانتهيت إلى الذي أمرتك أخذت به نصيبا وافرا وحظا وافيا وان لم تقبل ذلك ولم يهمك ولم تنزل معاظم الامور عند الذي يرضي الله به عنك يكن ذلك بك انتقاصا ورأيك فيه مدخولا لان الاهواء مشتركة ورأس كل خطيئة إبليس وهو داع الى كل هلكة وقد أضل القرون السالفة قبلك فأوردهم النار ولبئس الثمن ان يكون حظ امرىء موالاة عدو الله الداعي الى معاصيه ثم اركب الحق وخض اليه الغمرات وكن واعظا لنفسك انشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين فأجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم ووقرت عالمهم ولا تضربهم فيذلوا ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ولا تجمرهم في البعوث فتقطع نسلهم ولا تجعل المال دولة بين الاغنياء منهم ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم هذه وصيتي أياك وأشهد الله عليك وأقرأ عليك السلام[٣٨].

---

(٣٨) جمهرة خطب العرب (١/ ٢٦٣)، البيان والتبيين (صـ٢٣٥).

وصية سعيد بن عامر:

قال سعيد بن عامر لعمر ﷺ: إني موصيك بكلمات من جوامع الإسلام ومعاليه. قال: أجل، فإن الله ﷻ قد جعل عندك أدبًا. قال: اخش الله في الناس ولا تخش الناس في الله. ولا يخالف قولك فعلك، فإن خير القول ما صدقه الفعل، ولا تقض في أمر واحد بقضاوين فيختلف عليك أمرك وتزيغ عن الحق، وأحب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك. وأقم وجهك. وتضاءل لمن استرعاك الله ﷻ أمره من قريب المسلمين وبعيدهم. وخذ بأمر ذي الحجة تأخذ بالفلج ويعنيك الله ويصلح رعيتك على يديك وخض الغمرات إلى الحق حيث علمته، ولا تجف في الله لومة لائم.

قال: ومن يستطيع ذلك يا سعيد؟ قال: من ركب في عنقه مثل ما ركبت في عنقك[٣٩].

وصية وعهد:

لما حضرت أبا بكر الصديق - رضوان الله عليه - الوفاة دعا عثمان بن عفان، رضوان الله عليه، وقال: اكتب . "بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قُحافة، في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها؛ حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدِّق الشاك المكذب: إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا، فإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرًا. فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدَّل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت، ولا يعلم الغيب إلا الله ﴿...وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ (الشعراء:٢٢٧)، والسلام عليكم ورحمة الله"[٤٠].

وصية عمر لابنه:

روي أن عمر - رضوان الله عليه - أوصى ابنه عبد الله عند الموت، فقال: عليك بخصال الإيمان. قال: وما هنَّ يا أبَه ؟ قال: الصوم في شدة أيام الصيف،

(٣٩) التذكرة الحمدونية (صـ٣٨٣).
(٤٠) لباب الآداب (صـ٨)، صبح الأعشى (٩/ ٣٧٥).

وقتال الأعداء بالسيف، والصبر على المصيبة، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي، وتعجيل الصلاة في يوم الغيم، وترك ردْغَة الخبَال. قال فقال: وما ردغة الخبال؟ قال: شرب الخمر ... وقال: إذا قبضت فغمضني، واقتصد في الكفن، ولا تخرجن معي امرأة، ولا تزكوني بما ليس فيَّ، فإن الله تعالى هو أعلم بي. وأسرعوا بي في المشي، فإنه إن كان لي عند الله خيرٌ قدَّمتموني إلى ما هو خير لي، وإن كنت على غير ذلك كنتم قد ألقيتم على رقابكم شرًا تحملونه[41].

وصية عبد الله بن شداد:

لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة دعا ابنه محمدًا فقال له: يا بني، أرى داعي الموت لا يقلِع، ومن مضى منًا لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزِع، وليس أحد عليه بممتنع؛ وإني أوصيك - يا بني - بوصية فاحفظها: عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أولى الأمور بك الشكر لله وحسن النية في السر والعلانية. واعلم بأن الشاكر مزاد، والتقوى خير زاد. وكن - يا بني - كما قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مال، ... ولكن التقيَّ هو السعيدُ

وتقوى الله خير الزاد ذخرًا ، ... وعند الله للأتقى مزيدُ

وما لا بد أن يأتي قريبٌ . ... ولكن الذي يمضي بعيدُ

ثم قال: يا بني، لا تزهدن في معروف؛ فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب، على الشاهد والغائب. فكم من راغب كان مرغوبًا إليه، وطالب قد أصبح مطلوبًا ما لديه. واعلم بأن الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان يرى الهوان. وكن كما قال أخو بني الدُّئِل أبو الأسود الدؤلي :

وعَدِّدْ من الرحمن فضلاً ونعمةً ... عليك، إذا ما جاء للخير طالبُ

وإن امرًا لا يرتجى الخير عنده ... يكن هيِّنًا ثِقْلاً على من

فلا تمنعنْ ذا حاجة جاء طالبًا؛ ... فإنك لا تدري متى أنت راغبُ

رأيتُ تصاريف الزمان بأهله ... وبينهم فيه تكون النوائبُ

(٤١) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٥٩)، لباب الآداب (صـ٨).

ثم قال: يا بني، كن جوادًا بالمال في مواضع الحق، بخيلاً بالأسرار عن جميع الخلق؛ فإن أحمد جود الحر الإنفاق في وجوه البر؛ وإن أحمد بخل الحر، الضَن بمكتوم السر، وكن - يا بني - كما قال قيس بن الخطيم الأنصاري :

أجود بمضنون التلاد وإنني | بسرِّك عمن سالني لضنينُ
إذا جاوز الاثنين سرٌّ، فإنه | بنَثٍّ وتكثير الحديث قمينُ
وإن ضيَّع الإخوان سرًا فإنني | كتوم لأسرار العشير أمينُ
وعندي له يومًا إذا ما ائتُمِنته | مكانٌ بسوداءِ الفؤاد مكينُ

ثم قال: يا بني، وإن غلبت يومًا عن المال فلا تدع الحيلة بكل مكان؛ فإن الكريم محتال، واللئيم مغتال. وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً - : أقل ما تكون في الباطن مالاً. واعلم أن الكريم من كرمت عند الحاجة طبيعته وظهرت عند الإنفاد نعمته وكن كما قال الشاعر ابن خذّاق العبدي :

وجدتُ أبي قد أورثه أبوهُ | خلالاً قد تعدُّ من المعالي
فأكرمُ ما تكون عليَّ نفسي | إذا ما قل في الأزمات مالي
فتحسن سيرتي، وأصون عِرْضي | ويجمُلُ عند أهل الرأي حالي
فإن نلت الغنى لم أغلُ فيه | ولم أخصُصْ بجفوتي الموالي

ثم قال: يا بني، وإن سمعت كلمةً من حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد، فإنك إن أمضيتها حيالها، وقع العيب على من قالها. وقد كان يقال: إن الأريب العاقل هو الفطن المتغافل. وكن كما قال حاتم الطائي :

وما من شيمتي شتمُ ابن عمي | وما أنا مخلفٌ من يرتجيني
وكلمةِ حاسدٍ من غير جُرْم | سمعتُ، فقلتُ: مرّي فانفذيني
فعابوها عليَّ ولم تعِبْني | ولم يعْرَق لها يومًا جبيني
وذو اللونين يلقاني طليقًا | وليس إذا تغيَّب يأتليني
بصُرْتُ بعيبهِ فكفَفْتُ عنه | محافظةً على حسبي وديني

ثم قال: يا بني، لا تواخِ أخًا حتى تعاشره وتعرف أمره، وتتفقد موارده ومصادره؛ فإذا استطبت العشرة، ورضيت الخبرة، فآخه على إقالة العثرة، والمواساة في العُسْرة. وكن - يا بني - كما قال المقنَّع الكندي :

أَبْلُ الرجالَ إذا أردتَ إخاءهم ... وتوسَّمَنْ فَعَالهم وتفقَّد

فإذا ظفرتَ بذي الأمانة والتُّقى ... فَبِهِ اليَدَيْن قريرَ عَيْن فاشْدُدِ

وإذا رأيتولا محالةَ زلَّةً فعلى ... أخيك بفضل حِلْمِكَ فارْدُدِ

ثم قال: يا بني، وإذا أحببت حبيبًا فلا تفرط، وإذا أبغضت بغيضًا فلا تشطط، فإنه قد قال أمير المؤمنين رضوان الله عليه: " أحبب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما. وأبغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما ". وكن كما قال الشاعر هدبة بن الخشرم العذري:

وكنْ معقِلاً للخير، واصفحْ عن الخَنَى ... فإنك راءٍ ما حييتَ وسامعُ

وأحبِبْ إذا أحببت حبًا مقاربًا ... فإنك لا تدري متى انت نازعُ

وابغض إذا أبغضت بغضًا مقاربًا ... فإنك لا تدري متى الود راجع

وعليك - يا بني - بصحبة الأخيار وصدق الحديث، وإياك وصحبة الأشرار فإنه عار. وكن كما قال الدارمي:

صاحب الأخيار وارغب فيهم ... رُبَّ من صاحبته مثلُ الجَرَبْ

ودَعِ الناس فلا تشتمهم، ... وإذا شاتمت، فاشتم ذا حسبْ

إن من شاتم وغدًا كالذي ... يشتري الصفرَ بأعيان الذهبْ

واصدق الناس إذا حدَّثتهم ... ودع الكذب فمن شاء كذبْ

رُبَّ مهزول سمينٌ عِرْضُه ... وسمين الجسم مهزولُ الحسَبْ

ثم قال: يا بني، وإذا آخيت فآخ من يعد لنوائب الزمان. وعليك بذوي الألباب الذي ثقفتهم الآداب، ووثَّقتهم الأحساب، فإنهم أطيبُ مختبر، وأكرم محتْضر، وأعذب معتصر. واحذر إخاء كلِّ جهول، وصحبة كل عجول، فإنه لا يغفر الزَّلَة، وإن عرف العلَّة، سريعٌ غضَبه، عالٍ لهبه، إن سأل ألحف، وإن وعد أخلف، يرى ما يعطيك غُرمًا، وما يأخذ منك غُنْمًا؛ فهو يرضيك، ما طمع فيك؛ فإذا يئس من خيرك، مال إلى غيرك. وفي مثله يقول الشاعر:

لا تواخالدهر جِبْسًا ... راضعًا مُلْهَبَ الشرّ، قليل

ما ينلْ منك فأحلى مغنم ... ويرى ظرفًا به أن يمنعهْ

يسألُ الناس ولا يعطيهمُ ... ثكلتْهُ أُمُّهُ، ما أطمَعَهْ !

ثم قال: يا بني، من عتب على الزمان، وتتبع عثرات الإخوان، قطعهُ صديقه؛ وملّه رفيقه، واحتماه الأهلون، وظفر به الشامتون، ومن سار في البلاد ثمَّر المراد. وطالب الكفاف - بالقناعة والعفاف - : يعيش حميدًا، ويموت فقيدًا. وقد قال النابغة :

إذا المرء لم يطلب معاشًا لنفسه شكا الفقرَ، أولامَ الصديق فأكثرا
وصارَ على الأدنينَ كلاً، وأوشكتْ صلاتُ ذوي القربى له أن تنكّرا
فسرْ في بلاد الله والتمسِ الغنى، تعِشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فتُعذرَا
وما طالبُ الحاجاتِ في كل وجهة من الناس، إلا من أجدَّ وشمّرا
ولا ترْضَ من عيشٍ بدونٍ، ولا تنمْ وكيف ينامُ الليلَ من باتَ مُعْسِرا؟

ثم قال: وليكن إخوانك وأهل بطانتك أولي الدين والعفاف، والمروءات والأخلاق الجميلة، فإني رأيت إخوانَ المرء يده التي يبطش بها، ولسانه الذي يصول به، وجناحه الذي ينهض به. فاصحب هؤلاء تجدهم إخوانًا، وعلى الخير أعوانًا. واجتنب الصُّغار الأخطار، اللئام الأقدار، الذين لا يحامون على حسب، ولا يرجعون إلى نسب، ولا يصبرون على نائبةٍ، ولا ينظرون في عاقبةٍ؛ فإنهم إن رأوك في رخاءٍ سألوك، وإن رأوك في شدةٍ أسلموك؛ ولعلهم أن يكونوا عليك مع بعض الأعداء .

واعلم بأن الرجل بلا خدين، كذي الشِّمال بلا يمين. واخلِطْ نفسك مع الأبرار، وطهرها من الفجَّار، فالمرء يُعرف بقرينه. وقد قال الشاعر :

وقارن إذا قارنتَ حرًا؛ فإنما يزينُ ويُزري بالفتى قَرَناؤهُ
ولن يهلك الانسانُ إلا إذا أتى من الأمر ما لم يرضهُ نُصَحَاؤهُ
إذا قلَّ ما الوجه قلَّ حياؤهُ ولا خيرَ في وجه إذا قلَّ ماؤهُ

ثم قال: يا بني، قد جمعت لك مصالح نفسك، فاستفتح الله بمسامع عقلك؛ وتفهَّم ما وصفت لك بالتجارب، تحُزْ صلاح العواقب .

واعلم أن من حاسب نفسه تورَّعْ، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن اعتبر أبصر، ومن فهم علم، وفي التواني تكون الهلكة، وفي التأني السلامة. وزارع البر يحصد السرور. والقليل مع القناعة في القصد، خير من الكثير مع السرف في المذلة. والتقوى نجاة، والطاعة ملك؛ وحليف الصدق موفق،

وصاحب الكذب مخذول؛ وصديق الجاهل تعب، ونديم العاقل مغتبط. فإذا جهلت فسلْ، وإذا ندمت فاقلع، وإذا غضبت فأمسك. ومن لاقاك بالبشر فقد أدى إلى الصنيعة، ومن أقرضك الثناء فاقضِهِ الفضل.

وضع - يا بني - الصنائع عند الكرام ذوي الأحساب، ولا تضعَنَّ معروفك عند اللئام فتضيعه، فإن الكريم يشكرك ويرصدك بالمكافأة، وإن اللئيم يحسب ذلك حتمًا، ويزول أمرك معه إلى المذلة. وقد قال الشاعر:

إذا أوليتَ معروفًا لئيمًا ... فعدُّك قد قتلتَ له قتيلا
فعُدْ من ذاك معتذرًا إليه وقلْ: " إني أتيتك مستقيلا
فإن تغفر فمجترمٌ عظيمٌ ... وإن عاقبت لم تظلم فتيلا "
وإن أوليت ذلك ذا وفاءٍ ... فقد أودعته شكرًا طويلا[٤٢]

وصية أبي الدرداء لأصحابه:

كان أبو الدرداء ﷺ يقول لأصحابه: لا تكلفوا من أمور الناس ما لم تُكلَّفوا، ولا تحاسبوهم دون ربهم تعالى. ابن آدم، عليك نفسك: فإنه من يُكثِر تتبُّع الناس لما يرى في أيديهم يطل حزنه، ويكثر فكره، ولا يُشْفَى غيظه[٤٣].

من وصية معاذ:

قال معاذ بن جبل ﷺ في وصيته: إنه لا بد لك من نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج. فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذه، فإنه سيمر على نصيبك من الدنيا فينتظمه انتظامًا، ويزول معك حيث ما زلت[٤٣].

وصية عمر للأحنف بن قيس:

عن الأحنف بن قيس رحمه الله قال، قال لي عمر رضوان الله عليه: يا أحنف، من كثر ضحكه قلَّت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عُرف به، ومن كثُر كلامه كثُر سقطُه، ومن كثُر سقطُه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.

(٤٢) جمهرة خطب العرب (٢/ ٥٠٣).
(٤٣) لباب الآداب (صـ٦).

لا تلـه عـن أمـر وهَـى مـنه جانـب فيتـبعه في الوَهْـيِ لا شـكّ سـائره
إذا طَـرَفٌ مـن حَبْلك انحَلَّ صـدرُه تـداعت وشـيكًا بـانحلالِ مرائـره

وقال آخر :

اقـضِ الحـوائجَ مـا اسـتطعـت، وكُـنْ لهـمّ أخـيك فـارِجْ
فَلَخَيْـرُ أيـامِ الفتـى يـومٌ قَـضى فـيه الحـوائجْ[43]

وصية عمر لأحد ولاته:

عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب استعمل مولى له - يعني هني على الحمى - فقال يا هني اضمم جناحك على المسلمين واتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مستجابة وأدخل رب الصريمة ورب الغنيمة وإياي ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى زرع ونخل وإن رب الصريمة ورب الغنيمة إن تهلك ماشيتهما يأتني ببنيه فيقول يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا لا أبا لك فالماء والكلأ أيسر علي من الذهب والورق وأيم الله إنهم ليرون أني قد ظلمتهم إنها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا[44].

وصية عمر لعماله:

كان إذا بعث عماله شرط عليهم أن لا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقيا ولا تلبسوا رقيقا ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس فإن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة ثم يشيعهم وإذا أراد أن يرجع قال إني لم أسلطكم على دماء المسلمين ولا على أبشارهم على أعراضهم ولا على أموالهم ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة وتقسموا فيهم فيئهم وتحكموا بينهم بالعدل فإن أشكل عليهم شئ فارفعوه ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها ولا تجمروها فتفتنوها ولا تعتلوا عليها فتحرموها حدود الله[45].

(٤٤) تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٤١).
(٤٥) تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٧٧).

وصايا التابعين

وصايا التابعين

عن عطاء بن مسلم الخَفّاف قال، قال لي سفيان ﷺ: يا عطاء، احذر الناس، وأنا فاحذرني. فلو خالفت رجلاً في رمّانة، قال: حامضة، وقلت: حلوة؛ أو قال: حلوة، وقلت: حامضة - : لخشيت أن يشيط بدمي(٤٦).

قال عبد الله بن الحسن بن الحسين رضوان الله عليهم لابنه محمد ﷺ: يا بني، احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحًا، كما تحذر العاقل إذا كان عدوًا؛ فيوشك أن يورطك الجاهل بمشورته في بعض اغتراره، فيسبق إليك مكروه فكر العاقل. وإياك ومعاداة الرجال، فإنها لن تعدَّيك مكرَ حليم أو مفاجأة جاهل.

كتب إلى عبد الله بن الحسن ﷺ صديقٌ له: أوصيك بتقوى الله ﷻ، فإنه جعل لمن اتقاه من عباده المَخْرَجْ مما يكره، والرزق من حيث لا يحتسبْ.

قال المدائني: قال زيد بن علي ﷺ لأصحابه: أوصيكم بتقوى الله، فإن الموصي بها لم يدخر نصيحة، ولم يقصر في الإبلاغ. فاتقوا الله في الأمر الذي لا يفوتكم منه شيء وإن جهلتموه؛ وأجملوا في الطلب، ولا تستعينوا بنِعَم الله على معاصيه. وتفكروا وأبصروا: هل لكم قِبَلَ خالقكم من عمل صالح قدَّمتموه فشكره لكم؟ فبذلك جعلكم لله تعالى أهل الكتاب والسنة، وفضلكم على أديان آبائكم. ألم يستخرجكم نُطفًا من أصلاب قوم كانوا كافرين، حتى بثكم في حجور أهل التوحيد، وبث من سواكم في حجور أهل الشرك؟ فبأي سوابق أعمالكم طهَّركم؟ إلا بمنّه وفضله الذي يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وصية الربيع بن خثيم:

وروى إسرائيل عن يونس بن أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن مسروق الثوري عن منذر بن يعلى الثوري قال: أوصى الربيع بن خثيم: هذا ما أوصى الربيع بن خثيم: شهد أن لا إله إلا الله وكفى بالله شهيدًا، وجازيًا لعباده الصالحين ومثيبًا. إني رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، وبالقرآن إمامًا. وإني

---

(٤٦) حلية الأولياء (٧/ ٨).

أوصي نفسي ومن أطاعني أن يعبد الله في العابدين، ويحمده في الحامدين؛ وينصح لجماعة المسلمين.

عن أبي ربيعة السعدي قال قيل للربيع بن خثيم ألا توصي قال بم أوصي فقد عرفتم أنه ليس لي درهم ولا دينار وليس أحد يخاصمني عند ربي ﷻ ولا أخاصم أحدا قيل له بل أوصي قال إن لي امرأة شابة فإذا أنا مت فحثوها على التزويج واطلبوا لها رجلا صالحا وبني هذا إذا رأيتموه فامسحوا رأسه فإني سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر عليها يده نور يوم القيامة قيل له بل أوص قال: هذا ما أوصى به الربيع بن خثيم وأوغل على نفسه واشهد الله ﷻ عليه وكفى بالله حسيبا وجازيا لعباده الصالحين ومثيبا لهم إني رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا و بمحمد نبيا وبالقرآن إماما. ولما حضرت الوفاة عمر بن هبيرة جزع وجعل يقول: لله در البغلات المسرجات الواقفات بأبواب السلطان. والله لوددت أني كنت راعي إبل مئة لرجل سيء الملكة.

ولما احتضر إبراهيم بن يزيد النخعي جزع جزعًا شديدًا وجعل يقول: نفسي أعز الأنفس علي. فقيل له: يا أبا عمران، أتجزع هذا الجزع من الموت ؟ فقال: وأي غرر أعظم مما أنا فيه، إنما أتوقع رسولاً من ربي إما بجنة وإما بنار[٤٧].

لما اشتدت علة ابن طباطبا، وهو محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا ابن حسن، قال له أبو السرايا الخارج معه: أوصني يا ابن رسول الله فقال: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين. أوصيك بتقوى الله فإنها أحصن جنة وأمنع عصمة، والصبر فإنه أفضل منزل وأحمد معول، وأن تستتم الغضب لربك تعالى، وتدوم على منع دينك، وتحسن صحبة من اصتحبك واستجاب لك، وتعدل بهم عن المزالق، ولا تقدم إقدام متهور، ولا تضجع تضجيع متهاون، واكفف عن الإسراف في الدماء ما لم يوهن لك دينًا ويصدك عن صواب. وارفق بالضعفاء. وإياك والعجلة فإن معها الهلكة. واعلم أن نفسك موصولة بنفوس آل محمد عليه الصلاة والسلام، ودمك مختلط بدمائهم، فإن سلموا سلمت وإن هلكوا هلكت، فكن على أن يسلموا أحرص منك على أن يعطبوا. وقر كبيرهم وبر صغيرهم، واقبل رأي عالمهم، واحتمل هفوة إن كانت

(٤٧) التعازي والمراثي (صـ١٠١).

من جاهلهم، يرع الله حقك، واحفظ قرابتهم يحسن الله نظرك، وول الناس الخيرة لأنفسهم في من يقوم مقامي من آل علي، فإن اختلفوا فالأمر إلى علي بن عبيد الله، رضيت دينه ورضيت طريقته، فارضوا به وأحسنوا طاعته تحمدوا رأيه وبأسه[48].

كتب سفيان الثوري إلى عباد بن عباد: أما بعد فإنك في زمان كان أصحاب رسول الله ﷺ يتعوذون أن يدركوه في ما بلغنا، ولهم م العزم ما ليس لنا ولا لك، ولهم من العلم ما ليس لنا ولا لك. فكيف بنا وقد أدركناه على قلة علم وبصر، وقلة أعوان على الخير، وكدر من الدنيا، وفساد من الناس؟ فعليك بالعزلة وقلة مخالطتهم فإن عمر يقول: إياكم والطمع فإنه فقر حاضر، وإن اليأس غنى، وفي العزلة راحة من خليط السوء. وكان سعيد بن المسيب يقول: العزلة عبادة. وكان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذلك، والنجاة في تركهم فيما ترى. وإياك والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الشياء. وإياك أن تخدع فيقال: ذلك رجل تشفع فيه ترده عن مظلوم أو ترده عن مظلمة، وإنما ذلك خديعة إبليس اتخذها فخًا. وكان يقال: اتقوا فتنة العابد وفتنة العالم فإن فيهما فتنة لكل أحد. إياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله أو يسمع من قوله، فإذا لم تزل كذلك فقد عرفت. وإياك وحب الرياسة، فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهذا باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء. واعمل بنية فإن الحسن رحمه الله كان يقول: رحم الله عبدًا وقف عند همه، فإنه ما من عبد يعمل حتى يهم، فإن كان له مضى، وإن كان عليه أمسك، فإن النية ليست كل ساعة تقع. وإن طاووس قيل له: ادع لنا بدعوات فقال: ما أجد الآن لذلك نية. وكان حذيفة ﷺ يقول: يأتي على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بمثل دعاء الغريق. وسئل حذيفة عن أي الفتن أشد فقال: أن يعرض عليك الخير والشر فلا تدري أيهما تترك. وقد ذكر عن النبي ﷺ أنه قال: لا تزال يد الله على هذه الأمة في كنفه، ما لم يمل قراؤهم إلى امرائهم، وما لم يوقر خيارهم شرارهم، وما لم يعظم أبرارهم فجارهم؛ فإذا فعلوا ذل رفعها عنهم وقذف في قلوبهم الرعب، وأنزل عليهم الفاقة، وسلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب. وقال حذيفة: لا يأتيهم أمر يضحكون منه إلا ردف أمر يشغلهم عن ذلك. فليكن الموت من شأنك وبالك. وأقل الأمل وأكثر ذكر الموت فإنكم إذا

---

(٤٨) التذكرة الحمدونية (١/ ٣٩٠).

ذكرتموه في قليل كثرة. واعلم أنه قد دنا من الناس أمور، وحضرت أمور يشتهي لها الرجل الموت، والسلام[٤٩].

أوصى زيد بن علي ابنه:

فقال: يا بني، إن الله تعالى لم يرضك لي فأوصاك بي، ورضيني لك فحذرنيك؛ واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودة إلى التفريط، وخير البناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق[٥٠].

أوصى عبد الله بن الحسن ابنه محمدًا لما أراد أن يستتر:

فقال: يا بني إني مؤد إليك حق الله تعالى في تأديبك ونصيحتك، فأد إلي حقه في الاستماع والقبول: يا بني، كف من الأذى، وأفض الندى، واستعن على السلامة بطول الصمت في المواطن التي تدعوك نفسك إلى الكلام فيها، فإن الصمت حسن. وللمرء ساعات يضره فيها خطؤه ولا ينفعه فيها صوابه. واعلم أن من أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة. يا بني، احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحًا كما تحذر عداوة العاقل إذا كان لك عدوًا، فيوشك الجاهل أن يورطك بمشورته في بعض اغترارك فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل. وإياك ومعاداة الرجال فإنه لا يعدمك منها مكر حليم ومباراة جاهل[٥١].

(٤٩) التذكرة الحمدونية (١/ ٣٨٤).

(٥٠) السابق (١/ ٣٨٣).

(٥١) السابق (١/ ٣٨٤).

وصايا الشعراء والحكماء

وصايا الحكماء والشعراء

كان دريد بن الصمة يقول: النصيحة ما لم تهجم على الفضيحة. وإذا أجدبتم فلا ترعوا حمى الملوك، فإنه من رعاه غانما لم يرجع سالمًا. ولا تحتقروا شرًا فإن قليلة كثير. ومن خرق ستركم فارقعوه، ومن حاربكم فلا تغفلوه، وأحيلوا حدكم كله عليه. ومن أسدى إليكم خطة خير فأضعفوا له، وإلا تعجزوا أن تكونوا مثله. ومن كانت له مروءة فليظهرها. ولا تنكحن دنيا من غيكم فإن عاره عليكم. وإياكم وفاحشة النساء. وعليكم بصلة الرحم فإنها تديم الفضل وتزيد النل. وأسلموا ذا الجريرة بجريرته، ولا تسخطن أحدًا من غيركم فتعلقوه بينكم[٥٢].

قال أكثم بن صيفي: يا بني تميم، لا يفوتنكم وعظي أن فاتكم الدهر بنفسي. وإن بين حيزومي وصدري لبحرًا من الكلم لا أجد له مواقع غير أسماعكم، ولا مقار إلا قلوبكم، فتلقوها بأسماع صاغية، وقلوب واعية، تحمدوا عواقبها: إن الهوى يقظان، والعقل راقد، والشهوات مطلقة، والحزم معقول، والنفس مهملة، والروية مقيدة، ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم، ولن يعدم المشاور مرشدًا، والمستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل. ومن سمع سمع به. ومصارع الألباب تحت ظلال الطمع، ولو اعتبرت مواقع المحن ما وجدت إلا في مقاتل الألباب تحت ظلال الطمع، ولو اعتبرت مواقع المحن ما وجدت إلا في مقاتل الكرام. وعلى الاعتبار طريق الرشاد. ومن سلك الجدد أمن العثار. ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ويشغل فكره ويؤرص غيظه، ولا يجاوز نفسه ضره. يا بني تميم: الصبر على جرع الحلم أعذب من جني ثمر الندم. ومن جعل عرضه دون ماله استهدف للذم. وكلم اللسان أنكى من كلم الحسام. والكلمة مزمومة ما لم تتجم من الفم، فإذا تجمت فهي سبع محرب، ونار تتلهب. ورأي الناصح اللبيب دليل لا يجوز. ونفاذ الرأي في الحرب أنفذ من الطعن والضرب[٥٣].

· وكتب ملك هجر، أو نجران إلى أكثم أن يكتب إليه بأشياء ينتفع بها، وأن يوجز.

---

(٥٢) التذكرة الحمدونية (١/ ٣٨٧).

(٥٣) جمهرة خطب العرب (١/ ١٣٥).

فكتب إليه:

" إن أحمق الحمق الفجور، وأمثل الأشياء ترك الفضول، وقلة السَّقط لزوم الصواب، وخير الأمور مغبَّة الأ تني في استصلاح المال،. وإياك والتبذير فإن التبذير مفتاح اليؤس، ومن التواني والعجز نتجت الهلكة، وأحوج الناس إلى الغنى من لا يصلحه إلا الغنى - وأولئك الملوك - ، وحبُّ المديح رأس الضياع، وفي المشورة صلاح الرعية ومادة الرأي، ورضا الناس غاية لا تدرك، فتحرَّ الخير بجهدك، ولا تحفل سخط من رضاه الجور، ومعالجة العقاب سفهٌ، وتعوَّد الصَّبر، لكل شيء ضراوة، فضرِّ لسانك بالخير، وتوكَّل بالمهمِّ، ووكِّل بالصغير، وأخِّر الغضب فإن القدرة من ورائك، وأقل الناس في البخل عذرا أقلُّهم تخوُّفا للفقر، وأقبح أعمال المقتدرين الانتقام، جاز بالحسنة، ولا تكافئ بالسَّيِّئة، فإن أغني الناس عن الحقد من عظم خطره عن المجازاة، وإن الكريم غير المدافع إذا صال بمنزلة اللئيم البطر، من حسد من دونه قلّ عذره، ومن حسد من فوقه فقد أتعب نفسه، من جعل لحسن الظَّنِّ نصيبا روَّح عن قلبه، وأصدر به أمره "(٥٤).

وكتب الحارث بن أبي شمر الغسَّاني ملك عرب الشام إلى أكثم بن صيفي بن رياح، أن هرقل نزل بنا، فقامت خطباءُ غسَّان فتلقَّته بأمر حسن، فوافقه، فأعجب به، فعجب من رأيهم وأحلامهم، وأعجبني ما رأيت منهم، ففخرت بهم عليه، فقال: هذا أدبي فإن جهلت ذاك فانظر، هل بجزيرة العرب مثل هؤلاء حكمة، وعقولا، وألسنة.

فكتب إليه أكثم: " إن المروءة أن تكون عالما كجاهل، وناطقا كَعييٍّ، والعلم مرشدة، وترك ادّعائه ينفي الحسد، والصَّمت يكسب المحبَّة، وفضل القول على الفعل لؤم، وفضل الفعل على القول مكرمة، ولم يلزّ الكذب بشيء إلا غلب عليه، وشرّ الخصال الكذب، والصِّدِّيق من الصِّدق سمِيَ، والقلب يتَّهم وإن صدق اللسان، والانقباض من الناس مكسبة للعداوة، والتقرُّب من الناس مجلبة لجليس السُّوء، فكن من الناس بين المنقبض والمسترسل، وخير الأمور أوساطها، وأفضل القرناء المرأة الصالحة، وعند الخوف حسن العمل، ومن لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من علمه زاجر " أي لم يحفل بمرشد " ، ومن أهمل نفسه أمكن عدوَّه " أو قال تمكن من عدوه " على أسوأ عمله، وفسولة الوزراء أضرُّ من بعض الأعداء، وأوَّل الغيظ الوهن "(٥٥).

---

(٥٤) المعمرون والوصايا (صـ١٧).

(٥٥) السابق نفسه.

قالوا: وكتب النعمان بن المنذر إلى أكثم، وذكر ملك من ملوك فارس رجال العرب وعداوة بعضهم لبعض، وحالهم في بلادهم، فقال الفارس: هذا لخفّة أحرمهم، وقلّة عقولهم.

فكتب إلى أكثم أن اعهد إلينا أمرا نعجب به فارس ونرغبهم به في العرب.

فكتب أكثم: " لن يهلك امرؤ حتى يضيّع الرأي عند فعله، ويستبدّ على قومه بأموره، ويعجب بما ظهر من مروؤته ويغترّ بقوّته، والأمر يأتيه من قومه، وليس للمختال في حسن الثناء نصيب، والجهل قوة الخرق، والخرق قوة الغضب، وإلى الله تصير المصائر، ومن أتى مكروها إلى أحد فبنفسه بدأ، إن الهلكة إضاعة الرأي، والاستبداد على العشيرة يجرُّ الجريرة، والعجب بالمروءة دليل على الفسولة، ومن اعترّ بقوته فإن الأمر يأتيه من فوقه، لقاء الأحبة مسلاة للهم، من أشرّ ما لا ينبغي إعلانه ولم يعلن للأعداء سريرته سلم الناس عليه، والعيُّ أن تكلّم يفوق ما تسدّ به حاجتك، وينبغي لمن عقل ألا يثق بإخاء من لم تضطرّه إليه حاجة، وأقلُّ الناس راحة الحقود، ومن أتى على يديه غير عامد فأعفه من الملامة " أو اللائمة "، ولا تعاقب على الذنوب إلا بقدر عقوبة الذنب فتكون مذنبا، ومن تعمد الذّنب لم تحل الرحمة دون عقوبته، والأدب رفق، والرفق يمن، والخرق شؤم، وخير السخاء ما وافق الحاجة، وخير العفو ما كان مع القدرة، ومن سوء الأدب كثرة العتاب، ومن اغترّ بقوّته وهن، ولا مروءة لغاشّ، ومن سفه حلمه هان أمره، والأحداث تأتي بغتة، وليس في قدرة القادر حيلة، ولا صواب مع العجب، ولا بقاء مع بغيٍ، ولا تثقنَّ بمن لم تختبره "(٥٦).

عن عيسى ابن لقمان، عن محمد بن حاطب الجمحي قال: عاش ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ابن عمرو بن هصيص مائتي سنة، ولم يشب شيبة قط، وأدرك الإسلام فلم يسلم.

وقد اختلف في إسلامه، فقالت نائحته بعد موته:

من يأمن الحدثان بعد	ضبيرة السهميُّ ماتا
سبقت منيته المشيب	وكان ميته افتلاتا
فتزودّوا لا تهلكوا	من دون أهلكم خفاتا

(٥٦) السابق نفسه.

قال وعاش ذويد بن نهد أربعمائة سنة وستا وخمسين سنة، فلما حضره الموت قال:

أَلقى عليَّ الدهرُ رجلا ويَدا والدَّهر ما أصلح يوما أَفسدا

يُفسد ما أَصلحه اليوم غدا وقال أيضا:

يا رب نهبٍ صالحٍ حويتُهُ وربَّ حَسَنٍ لوَيتُهُ

اليوم يبني لدويد بيتُهُ لو كان للدَّهر بلى أَبليتُهُ

أَو كان قرني واحدا كفيتُهُ

ثم مات مكانه.

قالوا: وجمع بني عند الموت، فقال: "أوصيكم بالناس شرًّا، لا تقبلوا لهم معذرة ولا تُقيلُوهم عثرة، أوصيكم بالناس شرا، طعنًا وضربا، قصروا الأعنَّة، اشرعوا الأسنَّة، وارعوا الكلأ وإن كان على الصَّفا، وما احتجتم إليه فصونوه، وما استغنيتم عنه فأَفسدوه على من سواكم، فإن غشَّ الناس يدعوا إلى سوء الظن، وسوء الظن يدعو إلى الاحتراس".

وأوصى نهد بن زيد بنيه فقال: "يا بنيّ، أَوصيكم بالناس شرا، كلموهم نزرا، واطعنوهم شزرا، ولا تقبلوا لهم عذرا، ولا تقيلوهم عثرة، وقصروا الأعنَّة، واشحذوا الأسنَّة تأكلوا بذلك القريب، ويرهبكم البعيد، وإياكم والوهن فيطمع فيكم الناس"[٥٧].

وعاش دريد بن الصِّمة الجشمي، من جُثم بن سعد بن بكر، نحوا من مائتي سنة، حتى سقط حاجباه على عينيه، وأدرك الإسلام ولم يسلم، وقتل يوم حنين كافرا، وإنما خرجت به هوازن تتيَّمن به.

وقال دريد:

فإن يكُ رأسي كالثَّغامة نسلُهُ يطيف بي الولدان أَحدبَ كالقِردِ

رهينة قعرِ البيت كلَّ عشيَّةٍ كأني أُرقَّي أو أُصوَّبُ في المهد

فمن بعد فضل من شباب وقوَّة وشعر أَثيثٍ حالك اللون مسودِّ

(٥٧) السابق نفسه.

وأنه لما كبر أراد أهله أن يحبسوه، فقالوا: إنا حابسوك وما نعوك من كلام الناس، فقد خشينا أن تخلط فيروى ذلك الناس علينا، ويرون منك عارا.

قال: أوَقد خشيتم ذلك مني؟ قالوا: نعم.

قال: فانحروا جزورا، وأصنعوا طعاما، وأجمعوا إلى قومي حتى أحدث لهم عهدا.

فنحروا جزورا، وعملوا طعاما، ولبس ثيابا حسانا، وجلس لقومه، حتى إذا فرغوا من طعامهم قال:

" اسمعوا مني، فإني أرى أمري بعد اليوم صائر لغيري، وقد زعم أهلي أنهم خافوا على الوهم، وأنا اليوم خبير بصير، إن النصيحة لا تهجم على فضيحة، أما أول ما أنهاكم عنه فأنهاكم عن محاربة الملوك، فإنهم كالسَّيل بالليل، لا تدري كيف يأتيه، ولا من أين يأتيك، وإذا دنا منكم الملك واديا فاقطعوا بينكم وبينه واديين، وإن أجدبتم فلا ترعوا حمى الملوك وإن أذنوا لكم، فإن من رعاه غانما لم يرجع سالما، ولا تحقرن شرا فإن قليله كثير، واستكثروا من الخير فإن زهيده كبير، اجعلوا السلام محياة بينكم وبين الناس، ومن خرق ستركم فارقعوه، ومن حاربكم فلا تغفلوه، وروا منه ما يرى منكم، واجعلوا عليه حدَّكم كلّه ومن تكلّم فاتركوه، ومن أسدى إليكم خيرا فاضعوا له، وإلا فلا تعجزوا أن تكونوا مثله، وعلى كل إنسان منكم بالأقرب إليه، يكفيَ كلُّ إنسان ما يليه، وإذا التقيتم على حسب فلا تواكلوا فيه، وما أظهرتم من خير اجعلوه كثيرا، ولا ير رفدكم صغيرا، ولا تنافسوا السؤدد، وليكن لكم سيِّد، فإنه لابد لكل قوم من شريف، ومن كانت له مروءة فليظهرها، ثم قومه أعلم، وحسبه بالمروءة صاحبا، ووسعوا الخير وإن قلّ، وافنوا السرَّ يمت، ولا تنكحوا دنيا من غيركم فإنه عار عليكم، ولا يحتشمنَّ شريف أن يرفع وضيعه بأياماه، وإياكم والفاحشة في النساء فإنها عار أبدٍ وعقوبة غدٍ، وعليكم بصلة الرحم فإنها تعظم الفضل وتزين النسل، وأسلموا ذا الجريرة بجريرته، ومن أبى الحق فاعلقوه إياه، وإذا عييتم بأمر فتعاونوا عليه تبلغوا، ولا تحضروا ناديكم السَّفيه، ولا تلجوا بالباطل فيلجّ بكم " .

قالوا: وعاش عبيد بن شرابة الجرهمي ثلاثمائة سنة، وقال بعضهم، مائتين وعشرين سنة، إلا أنا نظن أنه عاشها في الجاهلية، وأدرك الإسلام، فأسلم؛ وقدم عل معاوية بن أبي سفيان.

فبلغنا أن معاوية قال له: أخبرني، كم أتى عليك؟ قال: مائتان وعشرون سنة.

قال: ومن أين علمت؟ قال: من كتاب الله.

قال: ومن أي كتاب الله؟ قال: من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴿١٢﴾﴾ (الإسراء:١٢) فقال له معاوية: وما أدركت؟ قال: أدركت يوما في أثر يوم، وليلة في أثر ليلة متشابها كتشابه الحذف يحدوان بقوم في ديار قوم يكذبون، وما يبيد عنهم ولالا يعتبرون بما مضى منهم، حيهم يتلف، وملودهم يخلف، في دهر قد تصرف أيامه، تقلب بأهلها كتقلبها دهرها، بينا أخوة في الرخاء إذا صار في البلاد، وبينا هو الزيادة إذ أدركه النقصان، وبينا هو حرّ إذا أصبح فيئا لا يدوم على حال، ولا تدوم له حال، بين مسرور بمولود ومحزون بمفقود، فلولا أن الحيّ يتلف لم يسعهم بلد، ولولا المولود يخلف لم يبق أحد.

قال معاوية: يا عبيد، أخبرني عن المال، أية أحسن في عينك؟ قال: أحسن المال في عيني، وانفعه غناء، وأقله عناء، وأبعده من الآفة، وأجداه على العامة عين خرارة في أرض خوارة، إذا استودعت أدّت، وإن استحلبتها درّت فأفعمت، تعولُ ولا تُعال.

قال معاوية: ثم ماذا؟ قال: فرس في بطنها قد ارتبطت منها فرسا.

قال معاوية: فأي النّعم أحب إليك؟ قال: النّعم لغيرك يا أمير المؤمنين.

قال: فلمن؟ قال: لمن فلاها بيده وباشرها بنفسه.

قال معاوية: حدثني عن الذهب والفضة.

قال: حجران إن أخرجتهما نفذا، وإن خزنتهما لم يزد.

قال معاوية: فأخبرني عن قيامك وقعودك، وأكلك وشربك، ونومك، وشهوتك للباءة.

قال: أما قيامي فإن قمت فالسماء تبعد، وإن قعدت فالأرض تقرب؛ وأما أكلي وشربي إن جعت كلبت، وإن شبعت بهرت؛ وأما نومي فإن حضرت مجلسا حالفني، وإن خلوت أطلبه فارقني؛ فإن بذلت لي عجزت وإن مُنعت غضبت.

قال معاوية: فأخبرني عن أعجب سيئ رأيته.

قال: أعجب شيء رأيته، أني نزلت بحي من قضاعة، فخرجوا بجنازة رجل من عذرة، يقال له، حُريث بن جبلة، فخرجت معهم حتى إذا واروه انتبذت جانبا عن القوم، وعيناي تذرفان، ثم تمثلت شعرا كنت رويته قبل ذلك:

يا قلب إنك في أسماء مغرور	اذكر، وهل ينفعك اليوم تذكيرا؟
قد بحت بالحب ما تخفيه	حتى جرت بك إطلاقا محاضير
تبغي أمورا فما تدرس أعاجلها	خير لنفسك أم ما فيه تأخيرُ
فاستقدرِ الله خيرا، وارضينَّ به	فينما العسر إذا دارت مياسير
وبينما المرء في الأحياء مُغتبطا	إذ صار في الرَّمس تعفوه الأعاصير
حتَّى كأن لم يكن إلاّ تذكرُه	والدَّهرُ أيَّة ما حالٍ دهارير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه	وذو قرابته في الحيِّ مسرور
وذاك آخر عهد من أخيك إذا	ما المرء ضمنَّه اللحد الخناسير

الخنثير والجمع الخناسير، ويقال الخناشرة، وهم الذي شيعوا الجنازة.

فقال رجل إلى جانبي يسمه ما أقول: يا عبد الله، من قال هذه الأبيات؟ قلت: والذي أحلف به، ما أدري أني قد رويتها منذ زمان.

قال: قائله الذي دفناه آنفا، وإن هذا ذو قرابته أسرُّ الناس بموته، وإنك للغريب الذي وصف تبكي عليه. فعجبت لما ذكر في شعره والذي صار إليه من قوله، كأنه كان ينظر إلى موضع قبره(٥٨).

لما كبر عامر بن الظَّرب وتخوَّف قومه أن يموت اجتمعوا إليه، فقالوا له، يا سيدنا وشريفنا، أوصِنا.

فقال: " يا معشر عدوان، كلفتموني تعبا، إن القلب لم يخلق، ومن لك بأخيك كلّه، إن كنتم شرَّفتموني فقد التمست ذلك منكم، وإني قد أريتكم

(٥٨) تاريخ دمشق (٣٨/ ٢٠٤).

ذلك من نفسي، وأنّي لكم مثلي، افهموا عني ما أقول لكم: من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل، ولم يزل الباطل ينفر من الحق، لا تفرحوا بالعلق ولا تشمتوا بالزلّة، وبكل عيش يعيش الفقير، ومن ير يوما ير به، وأعدّوا لكل أمر قدره، قبل الرِّماء تملأ الكنائن، ومع السفاهة الندامة، والعقوبة نكال وفيها ذمامة، فلا تذموا العقوبة، واليد العليا معها عافية، والقود راحة لا عليك ولا لك، وإذا شئت وجدت مثلك، إنّ عليك كما أنّ لك، وللكثرة الرُّعب وللصبر الغلبة، من طلب شيئا وجده، وإلاّ يجده يوشك أن يقع قريبا منه.

فيا معشر عدوان، إياكم والشر فإن له باقية، وادفعوا الشر بالخير يغلبه، إنه من دفع الشرَّ بالشرِّ رجع الشرُّ عليه، وليس في الشرِّ أسوة، ومن شبقكم إلى خير فاتبعوا أثره تجدوا فضلا، إن خالق الخير والشر وسعهما، ولكل يد منهما نصيب.

يا معشر عدوان، إن الأوّل كفى الآخر، فمن رأيتموه أصابه شر فإنما أصابه فعله، فاجتنبوا ذلك الذي فعله؛ يا معشر عدوان، إن الشرّ ميّت، وإنما يأتيه الحيّ فيصيبه، ومن اجتنب الشرّ لم يثب الشرُّ عليه؛ يا معشر عدوان، إن الخير عزوف ألوف، ولم يفارق الخير صاحبه حتى يفارقه ولن يرجع إليه حتى يأتيه؛ يا معشر عدوان، ربُّوا صغيركم، واعتبروا بالناس ولا يعتبر الناس بكم، وخذوا على أيدي سفهائكم تقلل جر أثركم، وإياكم والحسد فإنه شؤم ونكد، وإن كلّ ذي فضل واجد أفضل منه، ومن بلغ منكم خطّة خير فأعينوه واطلبوا مثلها، ورغّبوه في نيّته، وتنافسوا في طريقته، ومن قصّر فلا يلومنّ إلا نفسه، وإني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا تصدَّقوا.

" يقول من لزم الصدق وعوّده لسانه وفّق فلا يكاد يتكلم بشيء يظنّه إلا جاء على ظنّه ".

وإنّي رأيت للخير طرقًا فسلكتها، ورأيت للشرّ طرقًا فاجتنبتها، وإني والله ما كنت حكيما حتى تبعت الحكماء، وما كنت سيّدكم حتى تعبّدت لكم، إن الموعظة لا تنفع إلا عاقلا، وإن لكلّ شيء داعيا، فأجيبوا إلى الحق وادعوا إليه وأذعنوا له " يريد ذلُّوا للحق " (٥٩).

(٥٩) المعمرون والوصايا (صـ١٩).

قالوا: وعاش القلمَّس، وهو أمية بن عوف، دهرا طويلا، وهو من حكماء العرب، وكان جده الحارث بن كندة، وهو الذي يقوم بفناء البيت ويخطب العرب، وكانت العرب لا تصدر حتى يخطبها ويوصيها، فقال: " يا معشر العرب، أطيعوني ترشدوا " .

قالوا: وما ذاك؟ قال: " إنكم قوم تفرَّدتم بآلهة شتّى، وإني لأعلم ما !لله بكل هذا براض، وإن كان ربَّ هذه الآلهة، إنه ليحبّ أن يعبد وحده " .

فنفرت العرب عنه ذلك العام، ولم يسمعوا له موعظة.

فلما حجّ من قابل اجتمعوا إليه، وهم مزورُون عنه، فقال: " مالكم أيها الناس كأنكم تخشون مثل مقالتي عاما أول، إني والله لو كان الله تعالى أمرني بما قلت لكم ما أعتبتكم ولا استعتبت، ولكنه رأى مني، فإذا أبيتم فأنتم أبصر، أوصيكم بخصلتين، الدّين والحسب، فأما الدين فلله، ومن أعطيتموه عهدا ففوا له، ومن أعطاكم عهدا فارعوا عهده حتى تردّوه إليه؛ فأما الحسب فبذل النَّوال " .

فلما حضرته الوفاة حضره أشراف قومه من كنانة، ومات بمكة، فقالوا: قل نسمع، ومرنا نطع، وأوصنا نقبل، وزوِّدنا منك زادًا نذكرك.

فقال: " أوصيكم بأحسابكم فإنها مقدم وافدكم، وشرفكم في محافلكم، وكفاف وجوهكم، وعنى معدمكم؛ وأوصيكم بالسائل إن كان منكم أن يسأل غيركم؛ وإن كان من سواكم وتيمّمكم فلا تخطئُنّه ما رجا فيكم، واستوصوا بذوي أسنانكم خيرا، أجملوا مخاطبتهم، وقدّموهم أمامكم، وزيّنوا بهم مجالسكم، وأوصيكم ببيوت الشرف فيكم، أقيموا لهم شرفهم، ولا تنزعوا الرئاسة منهم حتى لا تجدوا لها منهم أهلا، وأوصيكم بالحرب، إن ظفرتم بقوم فابقوا فيهم، فإنه حسب لكم، ويد عند عدوّكم، فإنّ مَن ظفرتم به فهو ظافر بكم لا بدّ، وهو عامل فيكم بما عملتم به فيه، فلا تقتلن أسيرا فإنه ذحل عندكم ومصيبة فيكم، وإنما هو مال من مالكم، وإن الأسراء تجارة من تجارات العرب فلا تسألنّ أسيركم فوق ما عنده فيموت في أيديكم، فلا يستأسر بعده أحدٌ بكم، وأكثروا العتاقة في أسراء العرب، ودعوا العرب ترجوكم وتستبقيكم.

وأوصيكم بالضيف، فإنّ كلًّا إذا قال لم يسمع منه حتى يقول الضيف، فلا يخرجنّ من عندكم وهو يستطيع أن يقول فيكم، وأوصيكم بالجيران فأكرموهم، فلا تغشوا منازلهم، وليصحبهم ذوو أسنانكم، وامنعوا فتيانكم صحابتهم، وأوصيكم بالخفراء خيرا فلا تغرّموهم في غرمكم، وأغرموا في غرمهم فإنّهم عدّة لكم، يعينونكم ما داموا فيكم، وينقصونكم إذا فارقوكم ويعينون عليكم إذا خرجوا من عندكم، وأوصيكم بأياماكم خيرا، شدّوا حجبهن، وانكحوهن أكفاءهن، وأيسروا الصداق فيما بينكم، تتفق أياماكم ويكثر نسلكم، فإن نكحتم في العرب فاختاروا لكم ذوات العفاف والحسان أخلاقا، فإنكم لما يكون منهم أحمد من غيركم، وإنهم راءُون فيمن بقي من نسائكم مثل ما رأوا فيمن جاءهم منهنّ، وإذا نكحتم الغريبة " يعني المرأة من غيركم " فأعلوا صداقها، وتزوّجوا في أشراف القوام، ثم أكرموا مثوى صاحبتهم ما كانت فيكم، ولا تحرموها إذا انصرفت إلى قومها مالها، واصرفوها على أحسن حالاتها، لا تنقصوها من شيء يكون لها، فإن كريمة القوم إذا رجعت إليهم قليلا متاعها ظاهرة حاجتها غير راجعة فيكم غيرها.

وأوصيكم بالصلّة، فإنها تديم الألفة وتسرّ الأسرة، وأحذّركم القطيعة فإنها تورث الضغينة، وتفرّق الجماعة، وإياكم والعجلة فإنها رأس السّفه"[٦٠].

وأوصى زرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم، أنه جمع بنيه وبني بنيه فقال: يا بنيّ، إنكم قد أصبحتم بيت تميم، بل بيت مُضر، يا بنيّ، ما هجمت على قوم قط من العرب لا يعرفوني إلا أحلوني، فإذا نسبوني ازددت عندهم شرفا، وفي أعينهم عظما، ولا وفدت إلى ملك إلا آثرني وشفعني، خذوا من أدبي، واثبتوا عند أمري، واحفظوا وصيتي.

" إياكم أن تدخلوا عليّ في قبري حوية أسبّ بها..."كذا قال أبو حاتم، حوبة، وليس لها ههنا معنى، وينبغي أن تكون خربة، وهي المنقصة، أو خزّية، والحوبة الخالة، وقال قوم هي الأمُّ " .

... فوالله ما شايعتني نفسي قط على إتيان ريبة، ولا عمل بفاحشة، ولا ضمّني وعاهرة سقف بيت قط، ولا حسّنت لي نفسي الغدر منذ شدّت يداي مئزري، ولا فارقني جار على قلي، ولا حملني هواي على أمر يعيبني في مضر.

---

(٦٠) السابق نفسه.

يا بني، إن القالة إليكم سريعة، فاتقوا الله في الليل إذا أظلم، وفي النهار إذا انتشر يكفكم ما أهمّكم، وإياكم وشرب الخمر، فإنها مفسدة للعقول والأجساد، ذهّابة بالطريف والتلاد.

يا بني، زوّجوا النساء الأكفاء، وإلا فانتظروا بهنّ القضاء.

يا بني، قد أدركت سفيان بن مجاشع بن دارم شيخا كبيرا محجوبا، فأخبرني أنه قد حان خروج نبي بمكّة من مضر، يقال له، أحمد، عليه السلام، يدعو إلى عبادة الله، فإن أدركتموه فاتبعوه، تزدادوا بذلك شرفا إلى شرفكم، وعزًّا إلى عزّكم، إنه ليس فيكم سقط رجل واحد، ولا تمنّيتكم أنّي بدّلتكم بعدَّتكم من العرب، ولولا عجلة لقيط إلى الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث لشرّفته عليكم، وهو بعد فارس مضر، وعليكم بحاجب، فإنه حليم عند الغضب، فرّاج للكرب، يجود إذا طلب إليه، ذو رأي لا ينكش، وزمّاع لا يفحش، فاسمعوا له وأطيعوا أمره، جنّبكم الله الردى.

" لا ينكش لا يستقصي ما فيه، يقال: نكشت البئر أي أخرجت ما فيها، والزّمّاع العزم، لا يفحش أي لا ينتقص"[٦١].

---

(٦١) المعمرون والوصايا (صـ٣٧).

وصايا الملوك والأمراء

وصايا الملوك والأمراء

قالت أم جبغويه ملك طخارستان لنصر بن سيار: ينبغي للأمير أن يكون له ستة أشياء: وزير يثق به ويفضي إليه بسره، وحصن يلجأ إليه، إذا فزع أنجاه، تعني فرسًا جوادًا، وسيفٌ إذا نازل به الأقران لم يخف أن يخونه، وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابته نائبةٌ حملها، وامرأة إذا دخل عليها أذهبت همه، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له شيئًا يشتهيه[٦٢].

وقال بزر جمهر :عاملوا أحرار الناس بصفو المودة، وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة، وعاملوا السفلة بالمخافة صراحًا.

وقال بعض ملوك الفرس لحكيم من حكمائهم: أي الملوك أحزم ؟ قال: من ملك جده هزله، وقهر لبه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يخدعه رضاه عن حظه، ولا غضبه عن كيده.

كتب بعض ملوك العجم إلى بعض حكمائهم: إن الحكماء قد أكثروا في وصف خلال أسباب الفتن، فاكتب إلي بما ينشئها ويميتها،. فكتب إليه: تنشئها ضغائن، وتنتجها أثرة وأطماع لم يقمعها ذعرٌ وجرأة عامةٍ ولدها استخفافٌ بخاصةٍ، وأكدها انبساط الألسن بضمائر القلوب، وإشفاق موسرٍ، وأمل معسر، وغفلة متلذذٍ، ويقظة محرومٍ. ويميتها ذل مسلوبٍ وعز سالبٍ، ودرك بعيدٍ وموت أملٍ، وذهاب ذعرٍ وتمني رغبٍ. فكتب إليه: الذي وصفت كما وصفت. فأي الامور أدفع لما ذكرت ؟ فكتب إليه: أخذ العدة لما تخاف حلوله، وإيثار الجد حتى تبيد الهزل، والعمل بالعدل في الغضب والرضا.

قال المدائني: لما ولي زياد بن أبيه صعد المنبر بعد صلاة الظهر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني رأيت خلالاً ثلاثًا نبذت إليكم فيها بالنصيحة: رأيت إعظام ذي الشرف، وإجلال ذي العلم، وتوقير ذوي الأسنان، وإني أعاهد الله لا يأتيني شريف بوضيع لم يعرف له شرفه - على ضعته - : إلا عاقبته، ولا يأتيني عالم بجاهل لاحاه في علمه ليهجنه عليه - : إلا عاقبته، فإنما الناس بأعلامهم وذوي أسنانهم. ثم تمثل:

---

(٦٢) روضة العقلاء (صـ٢٦٩).

تُهدَى الأمورُ بأهل الرأي ماصلَحتْ فإن تولتْ فبالأشرارِ تَنْقَادُ
لايَصلُحُ القومُ فَوْضَى لاسَرَاةَ لَهُمْ ولاَ سَرَاةَ إذا جُهالُهم سَادُوا

قال أبو الحسن المدائني: أوفد زياد بن أبيه عبيد بن كعب النميري إلى معاوية، فقال له معاوية: أخبرني عن زياد ؟ قال: يستعمل على الخير والأمانة، دون الهوى، ويعاقب على قدر الذنب، ويسمر فيستحزم بحديث الليل تدبير النهار. قال: أحسن. فكيف يعمل في حقوق الناس ؟ قال: يأخذ ماله عفوًا. قال: فكيف عطاياه؟ يمنع حتى يبخل، ويعطي حتى يقال جواد. قال :أحسن. إن البذل رضيع العدل. فكيف الشفاعة عنده ؟ قال: ليس فيها مطمع، وما فعل من خير فلك وله[٦٣].

كتب أرسطاطاليس إلى الإسكندر: " إنك قد أصبحت ملكًا على ذوي جنسك، وأوتيت فضيلة الرئاسة عليهم، فمما تشرف به رئاستك وتزيدها نبلاً - : أن تستصلح العامة، لتكون رأسًا لخيار محمودين، لا لشرارٍ مذمومين. ورئاسة الاغتصاب - وإن كانت تذم لخصالٍ شتى - فإن أول ما فيها من المذمة أنها تحط قدر الرئاسة. وذلك: أن الناس في سلطان الغاصب كالعبيد لا كالأحرار، ورئاسة الأحرار أشرف من رئاسة العبيد، ومن تخير رئاسة العبيد على رئاسة الأحرار كمن تخير رعي البهائم على رعي الناس، وهو يظن أنه قد أصاب وغنم. فحال الغاصب - فيما يركب من الغصب - هذه الحال؛ لأنه يطلب محل الملك وشرفه، وليس شيءٌ أبعد من شرف الملك من الاغتصاب، لأن الغاصب في شكل المولى، والملك في شكل الأب اللطيف. ومما يضع قدر الرئاسة ما كان يصنع ملك فارس: فإنه كان يسمي أباه وكل أحرٍ من رعيته: عبيدًا. والرئاسة على الأحرار والأفاضل خيرٌ من التسلط على العبيد وإن كثروا؛ وهي عند الناس جميعًا أولى، ولا سيما لذوي الفهم والأخطار. وأنت حقيقٌ أن تسل سخيمة العامة، بما تذيقهم من رفق تدبيرك، وتضعه عنهم من مكروه العنف والخصاصة؛ فإن العبيد إذا عرضوا على المشترين لا يسألون عن يسارهم وجاههم، وإنما يسألون عن أخلاقهم، : وهل فيهم فظاظة ؟ فالأحرار أجدر أن يتعرفوا ذلك، وأن يعروا منه إذا كان ذلك في السلطان؛ ولذلك ما يصيرون إلى خلعه والوثوب عليه. وإذا ظهرت على فئةٍ فضع من أوزار الحرب وأوزار الغضب، لأنهم في تلك الحال كانوا

(٦٣) لباب الآداب (صـ١٣).

عدوا، وفي هذه الحال صاروا خولاً فقد ينبغي أن تبدلهم من الغضب رحمةً وعطفًا. وقد ينبغي للسلطان أن يعرف مقدار الغضب، فلا يكون غضبه شديدًا طويلاً، ولا ضعيفًا قصيرًا، فإن ذلك من أخلاق السباع، وهذا من أخلاق الصبيان. ومن كبر الهمة أن يكون الملك متعطفًا على الناس، ، فإنه بالعطف والرحمة ينبل ويبعد صيته. وأنا أعرفك على هذا المذهب، ولكني لا آمن أن تتوانى فيه، مما جرى عليك من ناسٍ كثيرٍ من سوء المشورة؛ فإن كثيرًا من الناس يشيرون - إذا استشيروا - بغير ما يشاكل المشار عليه، بل بما يشاكلهم، وليس بما ينتفع به في الأمر الحادث، ولكن بما يخصهم نفعه في أنفسهم. وأنا أحب لك أن تقتدي برأي أسندوس حيث يقول: إن فعل الخير في الجملة أفضل من فعل الشر، ومن يستطيع أن يغلب الشر بالخير دون الشر، فهي أشرف الغلبتين؛ لأن الغلبة بالشر جلدٌ، والغلبة بالخير فضيلةٌ. واعلم أنه قد أمكنك أن تودع الناس من حسن أثرك ما ينشر ذكره في آفاق البلاد، ويبقى على وجه الدهر - : فافترصْ ذلك في أوانه. واعلم أن الذي يتعجب منه الناس: الجزالة وكبر الهمة؛ والذي يحبون عليه: التواضع ولين الجانب. فاجمع الأمرين، تستجمع محبة الناس لك، وتعجبهم منك. ولا تمتنع أن تتكلم بما يطيب قلوب العامة؛ فإن الناس ينقادون للكلام أكثر من انقيادهم بالبطش. ولا تحسب أن ذلك يضع من قدرك، بل يزيده نبلاً: أن تنطق بالخير إذ أنت على الشر قادر. واعلم أن التودد من الضعيف يعد ملقًا، والتودد من القوي يعد تواضعًا وكبر همةٍ؛ فلا تمتنع أن تتودد إلى العامة لتحصل لك محبتهم، وتنال الطاعة منهم. واعلم أن الأيام تأتي على كل شيء فتخلق الأفعال، وتمحو الآثار، وتميت الذكر، إلا ما رسخ في قلوب الناس، لمحبةٍ تتوارثها الأعقاب. فاجتهد أن نظفر بالذكر الذي لايموت، بأن تودع قلوب الناس محبةً يبقى بها ذكر مناقبك، وشرف مساعيك. ولا ينبغي للمدبر أن يتخذ الرعية مالاً وقنيةً، ولكن يتخذهم أهلاً وإخوانًا. ولا ترغب في الكرامة التي تنالها من العامة كرهًا، ولكن التي تستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير[٦٤].

وأوصى ملك من ملوك حمير أخاه، فقال: لا تتجاوز بالأمور حدودها، ولا يكن الإفراط من شأنك في نكالٍ ولا نوال؛ فإنه في النوال يجحف ويكثر فيه عليك، وفي النكال ما يؤثمك ويحنق عليك ويبغضك. وإذا أنكرت نفسك فأمسك وغالب هواك، فإنه أضر ما اتبعت، واعمل بالحق فإنه لا يضيق معه

---

(٦٤) لباب الآداب (صـ١٧).

شيءٌ، ولا يتعب منه عاقل، ولا يتعقب منه تبعةً. وليكن خوف بطانتك منك أشد من أمنهم بك[٦٥].

قال أبرويز لابنه شيرويه: لا توسعنّ على جندك سعةً يستغنون بها عنك فيطغوا، ولا تضيقٍ عليهم ضيقًا يضجون به منك، ولكن أعطهم عطاءً قصدًا وامنعهم منعًا جميلاً، وابسط لهم في الرجاء، ولا تبسط لهم في العطاء.

وكتب إليه أيضًا من الحبس: اعلم أن كلمةً منك تسفك دمًا وأخرى تحقن دمًا، وأن سخط سيفك مسلول على من سخطت عليه، وأن رضاك بركةٌ مستفادةٌ على من رضيت عنه، وأنّ نفاذ أمرك مع ظهور كلامك، فاحترس في غضبك من قولك أن يخطئ، ومن لونك أن يتغيّر، ومن جسدك أن يخفّ، فإن الملوك تعاقب حزمًا وتعفو حلمًا. واعلم أنك تجلّ عن الغضب، وأن ملكك يصغر عن رضاك، فقدر لسخطك من العقاب ما تقدر لرضاك من الثواب.

وكتب إليه أيضًا من الحبس: اختر لولايتك امرًا كان وضيعًا فرفعته، وذا شرفٍ كان مهملاً فاصطنعته، ولا تجعله امرًا أصبته بعقوبة فاتضع لها، ولا امرًا أطاعك بعدما أذللته، ولا أحدًا ممن يقع في خلدك أنّ إزالة سلطانك أحبّ إليه من ثبوته؛ وإياك أن تستعمله ضرعًا غمرًا، كثيرًا إعجابه بنفسه، قليلاً تجربته في غيره، ولا كبيرًا مدبرًا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السّنّ من جسمه[٦٦].

وكتب سابور بن أردشير في عهده إلى ولده: ليكن وزيرك مقبول القول عندك، قويّ المنزلة لديك، يمنعه مكانه منك وما يثق به من لطافة منزلته، من الخشوع لأحدٍ أو الضراعة أو المداهنة لأحد في شيء مما تحت يده، لتبعثه الثقة بك على محض النصيحة لك، والمنابذة لمن أراد غشك وانتقاصك حقك. وإن أورد عليك رأيًا يخالفك ولا يوافق الصواب عندك، فلا تجبهه جبه الظّنين، ولا ترده عليه بالتجهّم فيفتّ ذلك في عضده، ويقبضه عن إبثاثك كل رأيٍ يلوح صوابه، بل اقبل ما ارتضيت من قوله، وعرّفه ما تخوفت من ضرر الرأي الذي انصرفت عنه، لينتفع بأدبك فيما يستقبل الرأي فيه. واحذر كل الحذر أن تنزل هذه المنزلة سواه ممن يطيف بك من خدمك وخاصتك، وأن تسهل لأحد منهم سبيل الانبساط بالنطق عندك والإفاضة في أمور ولايتك ورعيتك، فإنه لا يوثق بصحة رأيهم، ولا يؤمن الانتشار فيما أفضي من السر إليهم[٦٧].

---

(٦٥) لباب الآداب (صـ١٨).

(٦٦) نهاية الأرب في فنون الأدب (٢/ ١٦٣)، العقد الفريد (١/ ٦).

(٦٧) نهاية الأرب في فنون الأدب (٢/ ١٦٣).

وصية كندة:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن كندة - وهو ثور ابن المرتع، واسم المرتع نبت بن مالك بن زيد بن كهلان - وصى بنيه، وهم أثله ونحيب ومعاوية، وهو جدّ الملوك المتوجة من كندة، فقال لهم: يا بني احفظوا أنفسكم عما يشينها، وحثوها على ما يزينها. يا بني، ما أفلح غادر قط، ولا ساد خائن يومًا من الدهر، ولا عاش كريمًا إلا حميدًا، ولا مات جواد إلا فقيرًا ولست أرى شيئًا أذل من البخل، ولا أحسن من المنفرد الوحيد. ثم أنشأ يقول:

بَنِيَّ احفظوا للدَّهرِ منِّي خصائلاً ... تعيشُوا بها بينَ الأنامِ مُلُوكَا

بَنِيَّ أقلُّ النَّاس مَنْ كانَ غادرًا ... فكانَ لإحرامِ الرِّجالِ هَتُوكا

وأكثرهُمْ من كانَ في العُرفِ آمرًا ... وكانَ لمذمُومِ الفعالِ تَرُوكا

وأكرمُهُم من كان في سُبُلِ العُلا ... وفي مهيعِ المجدِ التَّليدِ سلُوكا

وأحملهم من كان يُلفَى لقومِهِ ... إذا ندبُوهُ للنِّزالِ وشيكا

وكان لدى الهيجاءِ في كُلِّ مشهدٍ ... قَصُومًا لأقرانِ الرِّجالِ بتُوكا

وإيَّاكُمْ والبُخلُ فالبُخلُ ربُّهُ ... وإن كان ذا مالٍ يموتُ ضريكا

ولو عاشَ ما قد عاشَ لُقمانُ لم يكُنْ ... منعَ البُخلِ إلا خامِدًا وهلُوكا

بنيَّ صِلُوا الأرحامَ كي لا تفرَّدُوا ... إذا كان طعنُ الواصلين شكُوكا

فما اللَّيثُ إلا بالعرينِ الَّذي بهِ ... لما شاءهُ عند الجبالِ دروكا

وليسَ امتناعُ البيتِ إلا بأهلِهِ ... وإن ... سميكا[68]

وصية عمرو بن عامر:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي أن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس لما حضرته الوفاة جمع بنيه وقومه فخطبهم وأوصاهم - وكان قد مضى له من العمر ثمانمئة سنة، منها أربعمائة سنة سيدًا شريفًا، وأربعمئة ملكًا مملكًا - فقال لهم: قد أسمعكم الداعي ونفذ فيكم البصر ولزمتكم الحجة، وانتهى بكم الأمر إلى حد الرجاء، ومرجو حسن القضاء، فليس أحد

(٦٨) وصايا الملوك لدعبل الخزاعي (صـ٣٥).

أعظم في خلقه رزية ولا في أمره بلية ممن ضيّع اليقين وغره الأمل، وإنما البقاء بعد الفناء. وقد ورثنا من كان قبلنا وسيرثنا من يكون بعدنا، وقد حان الرحيل من محل زائل وظل مائل، ألا وقد تقارب سبب فاحش وخطب جليل فاستصلحوا ما تقدمون عليه، وارضوا بالباقي خلفًا من الفاني سلفًا، وأجملوا في طلب الرزق، واحتملوا المصائب بأحسن الاحتساب تستجلبوا النعماء. واستديموا الكرامة بالشكر قبل العجلة إلى النقلة وانتقال النعم ودول الأيام وتصرف الحالات، فإنما أنتم فيها أهل للمصائب وطريق للمعاطب، فانتهوا، ودعوا المذاهب في هذه الغرّارة الضرّارة أهلها، في كل يوم لهم جرعة شرق، ومع كل أكلة غصص. ولن تنالوا فيها نعمة إلا بفراق أخرى، فأنتم الخلف بعد السلف، تفنيكم الدهور والأيام، وأنم أعوان الحتوف، وعلى أنفسكم وفي معاشكم أسباب مناياكم، لا يمنعكم شيء منها، ولا يغنيكم شيء عنها. في كل سبب منكم صريع ومعترف. وهذان الليل والنهار لم يرفعا شيئًا إلا وضعاه، وهما جديران بتفريق ما جمعاه. أيها الناس اطلبوا الخير ووليه واتركوا الشر ووليه، واعلموا أن خيرًا من الخير عامله، وأن شرًا من الشر فاعله. ثم التفت إلى بنيه وأنشأ يقول:

تجدَّدَ لحمي يا بنيَّ وأقشعتْ ... سحائبُ جهليْ واسترحتُ عن العذلِ

وودَّعتُ إخواني الشَّبَاب وغرَّني ... غوايَ وعرَّيتُ المطيَّة من رحْلِ

وأصبَحتُ أخطُو أسبُرُ الأرضَ ... دبيبًا كما يَخطُو المُقيَّد بالغلِّ

وقدْ كُنتُ غَضًّا في الشَّبابِ وعيشهِ ... كَلَدنٍ من الخَطِّي أو مُرهَفٍ نصل

أجدُّ وأمضِيْ في الأمورِ إذا دحت ... قوَادحُها بالعَزمِ والجِدِّ لا الهزلِ

فلمَّا رأيتُ الدَّهرَ ينقُضُ مِرَّتي ... كما انتقضتْ بعدَ القُوَى مِرَّةُ

فَزِعتُ إليكُمْ بالوصيَّةِ فاحفظُوا ... وصاتِي وبادرتُ التَّغيُّر مِنْ عَقلِيْ

بنيَّ حلبتُ الدَّهرَ بالدَّهرِ بُرهةً ... وذُقتُ بهِ طَعمَ المرِّ مِنَ المُحلِيْ

وقايستُ أخلاقَ الرِّجالِ فلم أجِدْ ... لذي شرفٍ فيها عُلوًّا مع البُخلِ

ولمْ أرَ مثلَ الجُودِ داعٍ إلى العُلا ... ولا كالنَّدى داعٍ إلى شرفٍ معلي

وأدركَ عُمرِي السَّدَّ قبلُ انهدامِهِ ... وعهديْ به إذ ذاكَ مُجتمِعُ الشَّملِ

ونحنُ مُلُوكُ النَّاس طُرًّا وما لنا ... نظيرٌ بحزنٍ في البلادِ ولا سهلِ

وقُدتُ جيادَ الخيلِ من سدِّ ماربٍ ... إلى يثربِ الآطامِ والحرثِ والنَّسل

وأدركتُ رُوحَ اللهِ عيسى بنَ مريمٍ ... ولستُ لعمرُ اللهِ إذ ذاكَ بالطِّفلِ

إذا متُّ فانعوني إلى كلِّ سيِّدٍ ... شريفٍ وأعلوا بالرَّزيةِ والثُّكلِ

وكُونُوا على الأعداءِ أُسدًا أعزَّةً ... وقُومُوا لتشييدِ المَعالي على رِحلِ

وإنْ قامَ منكُمْ قائمٌ فاسمعُوا لهُ ... ولا تخذُلُوهُ إنَّما الذُّلُّ في الخذلِ

وكُونُوا لهُ حِصنًا حصينًا ومعقِلاً ... منيعًا وأبلُوا يا بنيَّ مع المُبلِي

وإنْ ظالمٌ من قومِكُمْ رامَ ظُلمكُمْ ... فأغضُوا وحامُوا يا بنيَّ على الأصلِ

فلمْ يعدُ يومًا ظالمٌ ضُرَّ نفسِهِ ... ولا الحِلْمُ أسنَى بالرِّجالِ من الجهلِ

ولا تهِنُوا أنْ تأخُذُوا الفَضلَ بينكُمْ ... على قومِكُمْ إن الرِّئاسةَ في الفضلِ

ولا تهِنُوا أن تُدرِكُوا النُّبلَ إنَّني ... رأيتُ ذوي العِزِّ المُدارِكِ للنُّبلِ

وإنْ منكُمُ جانٍ جنى مُصمئِلَّةً ... عوانًا وأبدتْ عن نواجذِها العُصلِ

وشالَت بقُطريها تلظَّى وشبَّها ... لإضرامِها الغاوُونَ بالحَطبِ الجَزلِ

فكُونُوا أمامَ العالمينَ بضربِكُمْ ... وقومكمُ حدَّ الأسِنَّةِ والنَّبلِ

وإنْ كانَ من يَسعَى إلى الحربِ ... صُدُورَ القَنا بالخيلِ مِنهَا وبالرَّجْلِ

ومُوتُوا كِرامًا بالقواضِبَ والقَنَا ... وما خيرُ موتٍ لا يكونُ من القَتلِ

وعافُوا المَنَايا بالضَّنَا إنَّ في الضَّنَا ... لخبلاً لِمَنْ يَضنى يَزيدُ على الخَبلِ

ويقال: إن ولد عمرو بن عامر ما زال يحفظ هذه الوصية، ويعمل بها، ويجري أموره عليها، ويوصي بها في الجاهلية والإسلام. ولها في ذلك أشعار محفوظة تتناشدها العرب في المجالس والمحافل وفي ملاقاة الرجال عند النزال وفي إكرام الضيف وحياطة المستجير ودفع الضيم والمحاماة على الحسب[٦٩].

وصية الأمين لابن ماهان:

وخرج علي بن عيسى بن ماهان من بغداد في ٧ من شعبان سنة ١٩٥هـ وخرج معه الأمين يشيعه وأقبل يوصيه فقال: امنع جندك من العبث بالرعية والغارة على أهل القرى وقطع الشجر وانتهاك النساء وول الري يحيى بن علي واضمم إليه جندا كثيفا ومره ليدفع إلى جنده أرزاقهم مما يجيء من خراجها وول كل

(٦٩) وصايا الملوك (صـ٢٩).

كورة ترحل عنها رجلا من أصحابك ومن خرج إليك من جند أهل خراسان ووجوهها فاظهر إكرامه وأحسن جائزته ولا تعاقب أخا بأخيه وضع عن أهل خراسان ربع الخراج ولا تأمن أحدا رماك بسهم أو طعن في أصحابك برمح ولا تأذن لعبد الله في المقام أكثر من ثلاثة أيام من اليوم الذى تظهر فيه عليه فإذا أشخصته فليكن مع أوثق أصحابك عندك فإن غره الشيطان فناصبك فاحرص على أن تأسره أسرا وإن هرب منك إلى بعض كور خراسان فتول إليه المسير بنفسك أفهمت كل ما أوصيك به قال نعم أصلح الله أمير المؤمنين قال سر على بركة الله وعونه[٧٠].

وصية الأمين لأحمد بن مزيد:

ثم ندب عمة أحمد بن مزيد فلما أراد الشخوص دخل على الأمين فقال أوصنى أكرم الله أمير المؤمنين فقال: أوصيك بخصال عدة إياك والبغى فإنه عقال النصر ولا تقدم رجلا إلا باستخارة ولا تشهر سيفا إلا بعد إعذار ومهما قدرت عليه باللين فلا تتعده إلى الخرق والشره وأحسن صحابة من معك من الجند وطالعني بأخبارك في كل يوم ولاتخاطر بنفسك في طلب الزلفة عندى ولا تستقها فيما تخوف رجوعه علي وكن لعبد الله أخا مصافيا وقرينا برا وأحسن مجامعته وصحبته ومعاشرته ولا تخذله إن استنصرك ولا تبطىء عنه إذا استصرخك ولتكن أيديكما واحدة وكلمتكما متفقة(٧١).

وصايا المنصور لابنه المهدى:

قال المنصور لابنه المهدى يا بنى لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه فإن فكرة العاقل مرآته تريه حسناتهوسيئاته واعلم أن الخليفة لا يصلحه إى التقوى والسلطان لا يصلحه إى الطاعة والرعية لا يصلحها إى العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه[٧٢].

---

(٧٠) تاريخ الطبري (٥/ ٧١).
(٧١) جمهرة خطب العرب (٣/ ١١٠).
(٧٢) تاريخ الطبري (٤/ ٥٢٣)، جمهرة خطب العرب (٣/ ٣٤).

وصية أخرى له:

ووصاه فقال له إنى لم أدع شيئا إلا قد تقدمت إليك فيه وسأوصيك بخصال والله ما أظنك تفعل واحدة منها وكان له سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحدا يصر مفتاحه في كم قميصه فقال للمهدى انظر هذا السفط فاحتفظ به فإن فيه علم ابائك ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة فإن أحزنك أمر فانظر في الدفتر الأكبر فإن أصبت فيه ما تريد وإلا فالثانى والثالث حتى بلغ سبعة فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فإنك واجد فيها ما تريد وما أظنك تفعل وانظر هذه المدينة فإياك أن تستبدل بها فإنها بيتك وعزك قد جمعت لك فيها من الأموال ما إن كسر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزا ما دام بيت مالك عامرا وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل بيتك أن تظهر كرامتهم وتقدمهم وتكثر الإحسان إليهم وتعظم أمرهم وتوطىء الناس أعقابهم وتوليهم المنابر فإن عزك عزهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل وانظر مواليك فأحسن إليهم وقربهم واستكثر منهم فإنهم مادتك لشدة إن نزلت بك وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل خراسان خيرا فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في دولتك ودماءهم دونك ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم على ما كان منهم وتخلف من مات منهم في أهله وولده وما أظنك تفعل وإياك أن تبني مدينة الشرقية فإنك لا تتم بناءها وما أظنك تفعل وإياك أن تستعين برجل من بنى سليم وأظنك ستفعل وإياك أن تدخل النساء في مشورتك في أمرك وأظنك ستفعل[٧٣].

وصية أخرى له:

ووصى المهدى أيضا فقال اتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدى يجعل لك فيما كربك وحزنك مخرجا ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب احفظ يا بنى محمدا في أمته يحفظ الله عليك أمورك وإياك والدم الحرام فإنه حوب عند الله عظيم وعار في الدنيا لازم مقيم والزم الحلال فإن فيه ثوابك في الاجل وصلاحك في العاجل وأقم الحدود ولا تعتد فيها فتبور فإن الله لو علم أن شيئا أصلح لدينه وأزجر عن معاصيه من الحدود لأمر به في كتابه واعلم

(٧٣) تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٠).

أنه من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فسادا مع ما ذخر له عنده من العذاب العظيم فقال: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) فالسلطان يا بنى حبل الله المتين وعروته الوثقى ودين الله القيم فاحفظه وحطه وحصنه وذب عنه وأوقع بالملحدين فيه واقمع المارقين منه واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلات بهم ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القران واحكم بالعدل ولا تشطط فإن ذلك أقطع للشغب وأحسم للعدو وأنجع في الدواء وعف عن الفيء فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك وافتتح عملك بصلة الرحم وبر القرابة وإياك والأثرة والتبذير لأموال الرعية واشحن الثغور واضبط الأطراف وأمن السبل وخص الواسطة ووسع المعاش وسكن العامة وأدخل المرافق عليهم واصرف المكاره عنهم وأعد الأموال واخزنها وإياك والتبذير فإن النوائب غير مأمونة والحوادث غير مضمونة وهى من شيم الزمان وأعد الرجال والكراع والجند ما استطعت وإياك وتأخير عمل اليوم إلى غد فتتدارك عليك الأمور وتضيع جد في إحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولا فأولا واجتهد وشمر فيها وأعدد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل وباشر الأمور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل ولا تفشل واستعمل حسن الظن بربك وأسىء الظن بعمالك وكتابك وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من يبيت على بابك وسهل إذنك للناس وانظر في أمر النزاع إليك ووكل بهم عينا غير نائمة ونفسا غير لاهية ولا تنم فإن أباك لم ينم منذ ولى الخلافة ولا دخل عينه غمض إلا وقلبه مستيقظ هذه وصيتى إليك والله خليفتى عليك[٧٤].

وصية دريد بن الصمة:

قال دريد بن الصمة لمالك بن عوف النصري قائد هوازن يوم حنين: يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم له ما بعده من أيام مالي أسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال ولم قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم فانقض به ثم قال راعي ضأن والله وهل يرد المنهزم شئ إنها إن كانت لك

(٧٤) جمهرة خطب العرب (٣/ ٣٦).

لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ويحك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئا ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم ثم ألق الصبا على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من وراءك وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك.

قال لا والله ما أفعل إنك قد كبرت وذهل عقلك قال دريد هذا يوم لم أشهده ولم يفتني ثم أنشأ يقول:

يا ليتني فيها جذع ... أخب فيها وأضع

أقود وطفاء الزمع ... كأنها شاة صدع[75]

قال ابن دأب: لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قيل له: يا أمير المؤمنين، اكتب إلى يزيد بن عبد الملك فأوصه بالأمة خيرًا فقال: وبم أوصيه؟ إني لأعلم أنه من بني مروان. ثم أمر بالكتاب إليه: أما بعد. فاتق، يا يزيد، الصرعة بعد الغفلة فلا تقال العثرة، ولا تقدر على الرجعة. تترك ما تترك لمن لا يحمدك، وتقدم على من لا يعذرك والسلام.

ويروى أن هشام بن عبد الملك لما احتضر نظر إلى حشمه ولحمته يبكون، ففتح عينيه فاطلع في وجوههم ثم قال: جاد عليكم هشام بالدنيا، وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما خلف وتركتم عليه ما اكتسب ! ما أسوأ حال هشام إن لم يغفر الله له ! ولما احتضر معاوية أقبل على ابنة قرظة فقال: بكيني، فقالت: الهزج

ألا أبكيه ألا ... ألا كلّ الفتى فيه

ثم قال لابنتيه: قلباني. فجعلتا تقلبانه لجنب بعد جنب فقال: إنكما لتقلبانه حولاً قلبًا إن وفي كبة النار. ثم أنشد: الكامل

لا يبعدنّ ربيعة بن مكدّم ... وسقى الغوادي قبره بذنوب

ثم قال ليزيد: إذا أنا قضيت فأحسن غسلي، واجعل في آخره مسكًا وكافورًا، وأحسن الصلاة علي ثم ادفني في لحدي ودعني وربي. فلما بلغ ابن عباس موته قال: الكامل

(٧٥) عيون الأثر (٢/ ٢١٣).

جبلٌ تصدّع ثمّ مال بجمعه   في البحر لا رتقت عليه الأبحر[٧٦]

أوصى عبد الملك بن مروان حين حضرته الوفاة فقال لبنيه: أوصيكم بتقوى الله، فإنها عصمة باقية وجنة واقية. والتقوى خير زاد، وأفضل في المعاد، وأحصن كهف، وأزين حلية. ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والأخذ بجميل الأمور. فإنكم إذا فعلتم ذلك كنتم للعز خلفاء، وهابتكم الأعداء. إياكم والتباغي والتحاسد فإن بهما هلك الملوك الماضون، وذوو العز المتكبرون. انظروا يا بني، مسلمة بن عبد الملك فاصدروا عن رأيه، فإنه نابكم الذي تفترون عنه، ومجنكم الذي تستجنون به. وأكرموا الحجاج، فإنه الذي وطأ لكم المنابر، وكفاكم قحم تلك القناطر. كونوا أولادًا أبرارًا، وفي الحرب أحرارًا، وللمعروف منارًا، واحلولوا في مرارة، ولينوا في شدة. ثم رفع رأسه إلى الوليد فقال: لا ألفينك يا وليد، إذا وضعتني في حفرتي تعصر عينيك كما تفعل الأمة، بل شمر واتزر، والبس جلد نمر، وادع الناس إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بالسيف هكذا. أوصيك بأخيك عبد الله بن عبد الملك ويعمر بن عبد العزيز خيرًا. لا تعزلهما ولا تستبدل بهما. وأوصيك بابن عمنا هذا خيرًا يعني علي بن عبد الله بن العباس. فأما الحجاج فلست تستغني عنه.

ثم أرسل إلى خالد وعبد الله، ابني يزيد بن معاوية. فلما جلسا قال: ما تقولان: أأقيلكما بيعة الوليد ؟ قالا: معاذ الله يا أمير المؤمنين. قال: لو قلتما غير ذلك لقتلتكما على حالي هذه. قوما. فقاما فخرجا. ثم دعا بقداح بعدة ولده فأمر بها فجمعت ثم دفعها إلى الوليد فقال: اكسرها. فلم يقدر على ذلك. ثم دفعت إلى آخر، ثم آخر، حتى استقراهم جميعًا، فأعياهم كسرها، فأمر بها ففرقت، ثم دفع إلى كل واحد منهم قدحًا وأمره بكسره ففعل، فقال: هكذا أنتم بعدي، إن اجتمعتم لم يكسر أحد، وإن تفرقتم كسرتم. وقال: احفظوا عني هذه الأبيات: الكامل

انفوا الضّغائن عنكم وعليكم   عند المغيب وفي الحضور الشّهّد

بصلاح ذات البين طول بقائكم   إن مدّ في عمري وإن لم يمدد

فلمثل ريب الدّهر ألّف بينكم   بتواصلٍ وتراحمٍ وتودّد

---

(٧٦) التعازي والمرثي (صـ٣٣).

حتّى تلين قلوبكم وجلودكم لمسوّدٍ منكم وغير مسوّد
إنّ القداح إذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حنقٍ وكسرٍ أيّد
عزّت فلم تكسر وإن هي بدّدت فالوهن والتّكسير للمتبدّد

فلما توفي سجاه الوليد، ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: لم أر مثلها مصيبةً ولا مثلها نعمة. فقد الخليفة. فإنا لله وإنا إليه راجعون، على عظم المصيبة. والحمد لله رب العالمين، على عظيم النعمة. ثم دعا الناس إلى بيعة، فبايع الناس ولم يتخلف أحد. فسمع أحد ولد عبد الملك يبكي ويقول: مات، والله، أمير المؤمنين. فقال: ويلك لا تقل هكذا، ولكن قل كما قال أخو بني أسيد أوس بن حجر: الطويل

إذا مقرمٌ منّا ذرا حدّ نابه تخمّط فينا ناب آخر مقرم

وأوصى أبو قيس بن صرمة الأنصاري ولده عند موته فقال: الخفيف
يا بنيّ، الأرحام لا تقطعوها وصلوها قصيرةً من طوال
واتّقوا الله في ضعاف اليتامى ربّما يستحلّ غير الحلال
اعلموا أنّ لليتيم وليًّا عالمًا يهتدي بغير السّؤال
يا بنيّ، الأيّام لا تأمنوها واحذروا مكرها وكرّ اللّيالي
واعلموا أنّ مرها لنفاد الـ خلق ما كان من جديدٍ وبال
واجمعوا أمركم على البرّ والتقـ ـوى وترك الخنا وأخذ الحلال[٧٧]

وصية معاوية بن أبي سفيان رحمه الله:

قال عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب: لما ثقل معاوية، بعث إلى يزيد وهو في ضياعه، فأتاه غلام له يقال له عجلان، فأخبره بثقل أبيه، فأقبل وقد قال في ذلك شعرًا: البسيط
جاء البريد بقرطاسٍ يخبّ به فأوجس القلب من قرطاسه جزعا
قلنا: لك الويل ماذا في صحيفتكم قال: الخليفة أمسى مثبتًا وجعا
فمادت الأرض أو كادت تميد بنا كأنّ أغبر من أركانها انصدعا

(٧٧) تاريخ دمشق (٦٣/ ١٧١)، التعازي والمراثي (ص١٢٣).

ثمّت ملنا إلى عيسٍ مزمّمةٍ نغشى الفجاج بها لا نأتلي سرعا
لسنا نبالي إذا بلّغن أرحلنا ما مات منهنّ بالبيداء أو ظلعا
حتّى دفعنا لرأس النّاس كلّهم هديًا، وخيرهم فعلاً ومصطنعا
من لم تزل نفسه توفي على شرفٍ توشك مقادير تلك النّفس أن تقعا
لّما انتهينا وباب الدّار منصفقٌ لصوت رملة ريع القلب فانقلعا

قال: فلما دخل على معاوية خلا به وأخرج عنه أهل بيته وقال: يا بني قد جاء أمر الله، وهذا أوان هلاكي، ما أنت صانع بهذه الأمة بعدي ؟ فمن أجلك آثرت الدنيا على الآخرة، وحملت الوزر على ظهري لتعلو بني أبيك. قال يزيد: آخذهم بكتاب الله وسنة رسوله وأقتلهم عليه. قال: أولا تسير بسيرة أبي بكر الذي قاتل أهل الردة ومضى والأمة عنه راضون ؟. قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه، آخذهم به وأقتلهم عليه. قال: أولا تسير بسيرة عمر الذي مصر الأمصار وجند الأجناد، وفرض الأعطية، وجبى الفيء وقاتل العدو، ومضى والأمة عنه راضون ؟. قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، آخذهم به وأقتلهم عليه. قال: أولا تسير بسيرة عمك عثمان بن عفان الذي أكل في حياته، وورث في مماته، واحتمل الوزر على ظهره ؟. قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه، آخذهم به واقتلهم عليه. قال: يا يزيد، انقطع منك الرجاء وأظنك ستخالف هؤلاء جميعًا فتقتل خيار قومك وتغزو حرم ربك بأشابات الناس فتطعمهم لحومهم بغير الحق فتدركك ميتة فجاءة، فلا دنيا أصبت، ولا آخرة أدركت. يا يزيد أما إذا لم تصب الرشد فإني قد وطأت لك الأمور، وذللت لك أهل العز، وأخضعت لك رقاب العرب، وكفيتك الرحلة والترحال، وجمعت لك ما لم يجمعه واحد، وإني لست أخاف أن ينازعك في هذا الأمر إلا ثلاثة نفر: الحسين ابن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير. فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة وتخلى من الدنيا وشغل نفسه بالقرآن. وما أظنه يقاتل عليها إلا أن تأتيه عفوًا. وأما الذي يجثم جثوم الأسد ويروغ روغان الثعلب، فإن أمكنته الفرصة وثب فابن الزبير، فإن هو فعل فاستمكنت منه فقطعه إربًا إربًا إلا أن يلتمس منك صلحًا، فإن فعل فاقبل منه واحقن دماء قومه تقبل قلوبهم إليك. وأما الحسين بن علي فإن له رحماً وحقًا وولادة من رسول الله ﷺ ولا أظنه أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه عليك، فإن

قدرت عليه فاصفح عنه. فإني لو كنت صاحبه صفحت وعفوت عنه قم عني. وصلى عليه عمرو بن العاص[٧٨].

قال زياد عند موته لابنه عبيد الله: لا تدنس عرضك، ولا تبذلن وجهك، ولا تخلفن جدتك بالطلب إلى من إن ردك كان رده عليك عيبًا، وإن قضى حاجتك جعلها عليك منًا. واحتمل الفقر بالتنزه عما في أيدي الناس، والزم القناعة بما قسم لك، فإن سوء حمل الفقر يضع الشرف، ويخمل الذكر، ويوجب الحرمان[٧٩].

لما انصرف مروان بن الحكم من مصر استعمل ابنه عبد العزيز عليها، وقال له حين ودعه: أرسل حكيمًا ولا توصه. وانظر أي بني، إلى أهل عملك، فإن كان لهم حق عندك غدوة فلا تؤخرهم إلى عشية، وإن كان لهم عشية فلا تؤخرهم إلى غدوة. أعطهم حقوقهم عند محلها تستوجب بذلك الطاعة منهم. وإياك أن يظهر لرعيتك منك كذب، فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق. واستشر جلساءك وأهل العلم، فإن لم يتبين لك الرأي فاكتب إلى لأرى لك فيه وإياك إن كان بك غضب على أحد من رعيتك أن تؤاخذه به عند سورة الغضب، واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك، ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب منطفئ الجمرة، فإن أو لمن جعل السجن كان حليمًا ذا أناة. ثم انظر إلى أهل الحسب والدين والمروءة فليكونوا أصحابك، ثم اعرف منازلهم منك عل غيرهم بلا استرسال ولا انقباض. أقول قولي هذا واستحلف الله عليك[٨٠].

وصية الملك المنذر لولي عهده:

قال المدائني قال المنذر بن المنذر لماحارب غسان بالشام لابنه النعمان يوصيه إياك واطراح الإخوان وأطراف المعرفة وإياك وملاحاة الملول وممازحة السفيه وعليك بطول الخلوة والإكثار من السمر والبس من القشر ما يزينك في نفسك ومروءتك واعمل ان جماع الخير كله الحياء فعليك به وتواضع في نفسك وانخدع في مالك واعلم ان السكوت عن الامر الذي يعنيك خير من الكلام فاذا اضطررت اليه فتحر الصدق والإيجاز تسلم ان شاء الله تعالى[٨١].

---

(٧٨) الفتوح لابن الأعثم (٥/ ٦-٧)، العقد الفريد (٤/ ٣٤٩)، المعمرون والوصايا (ص٥٠).

(٧٩) التذكرة الحمدونية (ص٣٨٥).

(٨٠) جمهرة خطب العرب (٢/ ١٩١).

(٨١) البيان والتبيين (١/ ٥٩٣).

وصية معاوية بن ابي سفيان:

قال الهيثم بن عدي عن ابي بكر بن عياش عن أشياخه لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب دعا معاوية مسلم بن عقبة المري والضحاك بن قيس الفهري فقال: أبلغا عني يزيد وقولا له أنظر الى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك فمن أتاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعهده وانظر الى أهل العراق فان سألوك عزل عامل لهم في كل يوم فاعزله عنهم فان عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ثم لا تدري على ما انت عليه منهم ثم انظر الى اهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار فان رابك من عدوك ريب فارمه بهم فان أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام الى بلادهم ولا يقيموا في غير بلادهم فيتأدبوا بغير أدبهم لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وحسين بن علي فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع وأما الحسين فاني أرجو ان يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه واما ابن الزبير فانه خب ضب، وفي غير هذه الرواية فان ظفرت بابن الزبير فقطعه إربا، فمات معاوية فقام الضحاك بن قيس خطيبا فقال: إن امير المؤمنين معاوية كان أنف العرب وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ومخلون بينه وبين ربه فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضره فصلى عليه الضحاك بن قيس ثم قدم يزيد ولده فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولي فأنشأ يقول:

إصبر يزيد فقد فارقت ذا كرم	واشكر حباء الذي بالملك أصفاك
لا رزء أصبح في الأقوام قدعلموا	كمارزئت ولا عقبى كعقباك
أصبحت راعي أهل الدين كلهم	فأنت ترعاهم والله يرعاك
وفي معاوية الباقي لنا خلف	إذا نعيت ولا نسمع بمنعاك

فانفتح الخطباء للكلام بعد ذلك(٨٢).

وصية يعرب بن قحطان:

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: يقال: إن يعرب بن قحطان حفظ وصية أبيه، وثبت عليها، وعمل بها. ويقال: إنه أول من تبحبح بالعربية الواسعة، ونطق بأفصحها، وأوجزها، وأبلغها. والعربية منسوبة إليه مشتقة من اسمه. وهو الذي ذكره حسان بن ثابت الأنصاري في شعره الذي يقول فيه:

---

(٨٢) البيان والتبيين (١/ ٢٨١).

تعلمتمُ من منطق الشيخ يعرب ... أبينا فصرتم معربين ذوي نفر

وكنتم قديمًا ما لكم غير عجمة ... كلام وكنتم كالبهائم في القفر

تقولون مانونخ ودونخ وكنتم ... إذا ما التقينا كالرصاص على الجمر

منازلكم كوثى ومنها درجتمُ ... إلينا كافراخ درجن من الوكر

فنحن وأنتم كالذي قال لم أزل ... أعلمه رميًا ليمنع لي ظهري

فلما نشا واشتد ساعده رمى ... فلم يُخطِ ظهري إذ رمى لا ولا نحري

وفي ذلك يقول علقمة ذو جدن:

ومِنّا الذي لم يُعربِ الناسُ مثله ... وأعربَ في نجدٍ هناكَ وغارا

فقال لهم: يا بني احفظوا مني خصالاً عشرًا تكون كذا لكم ذكرًا وذخرًا. يا بني تعلموا العلم واعملوا به. واتركوا الحسد عنكم ولا تلتفتوا إليه، فإنه داعية القطيعة فيما بينكم، وتجنبوا الشر وأهله، فإن الشر لا يجلب عليكم خيرًا. وأنصفوا الناس من أنفسكم لينصفوكم من أنفسهم. وإياكم والكبر؛ فإنه يبعد قلوب الرجال عنكم. وعليكم بالتواضع، فإنه يقربكم من الناس ويحببكم إليهم. واصفحوا عن المسيء إليكم، فإن الصفح عن المسيء يجنبكم العداء ويزيد مع السؤدد سؤددًا ومع الفضل فضلاً. وآثروا الجار الدخيل على أنفسكم، فإن جماله جمالكم. ولأن يسوء حال أحدكم خير له من أن يسوء حال جاره، لأن تفقد الناس للمقتدي أكثر من تفقدهم للمقتدى به. وانصروا مواليكم، فإن مواليكم في السلم والحرب منكم ولكم. وابن مولاكم من أنفسكم، وحقه عليكم مثل حق أحدكم على سائركم. وإذا استشاركم مستشير فأشيروا عليه بمثل ما تشيرون به على أنفسكم في مثل ما استشاركم فيه، فإنها أمانة ألقاها في أعناقكم، والأمانة ما قد علمتم. وتمسكوا باصطناع الرجال أجدر أن تسودوا به عليهم، وأحرى أن يزيدكم ذلك شرفًا وفخرًا إلى آخر الدهر. ثم أنشأ يقول: "من الوافر"

بنيَّ أبوكمُ لم يعدُ عمَّا ... بهِ وصَّاهُ قحطانُ بن هودِ

فوصاكم بما وصى أباكم ... أبوه عن الإله عن الجدودِ

أذيعوا العلمَ ثمَّ تعلموه ... فما ذو العِلم كالطفل البليدِ

ولا تُصغُوا إلى حسدٍ فتغوُوا ... غوايةَ كلِّ مختلٍّ حسودِ

وذُودوا الشرَّ عنكُمْ ما استطعتم فليسَ الشرُّ من خُلُقِ الرشيدِ
وكونُوا منصفينَ لكلِّ دانٍ لينصفكُمْ مع القاصي البعيدِ
وبابُ الكِبرْ عنكمْ فاتركُوهُ فإنَّ الكِبرَ من شِيَمِ العنيدِ
عليكمْ بالتواضُعِ، لا تزيدوا على فضلِ التواضُعِ من مزيدِ
وإنَّ الصفْح أفضلُ ما ابتغيتمْ بِهِ شرفًا مع المَلِكِ العتيدِ
وحقُّ الجارِ لا تنسوه فيكمْ فإنَّ الجارَ ذو الحقِّ الوكيدِ
عليكمْ باصطناعِ الخيرِ حتَّى تنالوا كُلَّ مكرمةٍ وجودِ[٨٣]

وصية سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن عبد شمس وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي ﷺ جمع أهل مملكته ووجوه أهل بيته وعشيره، وأجلس ابنه حمير عن يمينه، وأجلس ابنه كهلان عن شماله، ثم قال لهم: أيها الناس، هل يصلح ليميني أن تقطع شمالي، أو يصلح لشمالي أن تقطع يميني؟ فقالوا بأجمعهم: أيها الملك، إنه لا يصلح شيء مما ذكرت. فقال لهم: إن أنتم إن همت يميني لقطع شمالي أو همت شمالي لقطع يمين وأكون غافلاً عنهما لا أسُدُّ الشِّمال عن اليمين ولا أسُدُّ اليمين عن الشمال فما أنتم صانعون؟ قالوا: نمنع اليمين عن الشمال، ونمنع الشمال عن اليمين. فقال لهم أعطوني العهود والمواثيق على وفائكم بما تكلمتم به وقلتم إنكم تفعلونه في يميني وشمالي. قال: فأعطوه العهود والمواثيق على ذلك.

ثم قال: أيها الناس إني لم أرد بيميني وشمالي إلا حمير وكهلان، وإني لن آمن أن يختلفا بعدي في الأمر، ولم آخذ العهود والمواثيق عليكم إلا لتحولوا بين من يروم من هذين لصاحبه سوءًا أو خلافًا، وأن لا يطلب أحدهما بعدي أكثر مما يقسم له في مجلسنا هذا.

ثم قال لهم: أيها الناس، إن حمير أكبر من كهلان، وحقه أن يكون عن يميني، وإن كهلان أصغر من حمير، وحقه أن يكون عن شمالي، وإن نصيب حمير من ملكي مثل نصيب يميني من بدني، فانظروا - معشر الناس - ما يصلح لليمين، فادفعوه إلى اليمين، وما يصلح للشمال فادفعوه إلى الشمال.

(٨٣) وصايا الملوك (صـ٢٠).

قال: فدفعوا إلى اليمين السيف والقلم والسَّوط، وحكموا لليمين بذلك. وقالوا: هذه ثلاثة أشياء تعمل بها اليمين، ولا تعمل بها الشمال. ودفعوا إلى الشمال العنان والترس والقوس. وقالوا: هذه ثلاثة أشياء تعمل بها الشمال دون اليمين؛ أما القوس فإنه لا بد للشمال من معونة اليمين في القوس. قال: ثم حكموا بأن صاحب السيف لا يصلح له إلا الثبات والوقوف في موضعه، وحكموا أن صاحب القلم لا يكون إلا مدبرًا فاتقًا راتقًا. وحكموا أن صاحب السوط لا يكون إلا رابضًا سائسًا. ثم حكموا أن الفتق والرتق والثبات والوقوف والتدبير والرياضة والسياسة لا يكون إلا للملك الأعظم الراقد في دار المملكة، وهو حمير. قال: ثم حكموا أن العنان يقود أعنة الخيل للذب عن الملك ومكابدة الأعداء حيث كانوا. وحكموا أن الترس يرد به البأس، ويدرأ به الحد وتقهر به الحروب عند التلاقي، وتتجشم به المعارك. وحكموا أن القوس ينال بها المناوئ والمناصي على البعد منها. ثم حكموا قيادة أعنة الخيل والمكابدة للأعداء حيث كانوا ورد البأس ودفع الحد وقهر الحروب عند التلاقي ومناوأة الأعداء ومناصاتها لا يصلح إلا لصاحب الدولة والذاب عنها والرامي عن جمرتها والساد لخللها والقائم بحروبها وفتوحاتها وإصلاح الثغور وسدها عنها، وهو كهلان.

قال: فتقلد حمير الملك الراتب في دار المملكة وسمي أيمن، لجلوسه عن يمين أبيه، وتقلد كهلان الأطراف وأعمالها وثغورها ومناوأة العدو حيث كان. على أن لكهلان على حمير المعونة في ذلك مثل معونة اليمين للشمال بالرمي بالقوس، وحكموا أن معونة اليمين للشمال بالرمي بالقوس والنزع والنبل، وهما في غير القوس المال والنجدة، وكان لحمير على كهلان الطاعة وكفاية ما تقلده كهلان.

ففي ذلك يقول هي بن بيّ بن جرهم: " من البسيط "

ما سادَ هذا الورى أبناءُ قحطانِ	إلا لفضلٍ لهم قدمًا وإحسانِ
ما في الأنام لهم حيٌّ يشاكلهمْ	ولا لواحدهمْ في الأرضِ من ثانِ
لم يشهدوا الناس في بدو ولا حضر	حكمًا كحكم عظيمِ المُلكِ والشانِ
سبا بن يشجب لابنيه وإنهما	للسيدانِ الرفيعانِ العظيمانِ
أعطى ابنه حميرًا منهُ اليمينَ وقد	أعطى الشِّمالَ ابنه المُسمى بكهلانِ
وقال يُقسمُ ملكي اليوم بينهما	وقسمةَ الملكِ للاثنان سهمانِ

تُعطى اليمينُ الذي تسطو اليمينُ به	فيما تعانيهِ من سرّ وإعلان
وللشّمال الذي تسطوا الشمال بهِ	عندَ النوائبِ من بأسٍ وسلطانِ
والسَّيفُ والسَّوطُ صارا لليمينِ معًا	وذلك القلمُ الجاري ببرهانِ
والقوسُ والتُّرسُ صارا للشّمالِ وقد	صار العنانُ لهما والملْكُ نصفانِ
فصار هذا بتاجِ الملْكِ مُعتصبًا	دونَ الجحاجحِ من أولادِ قحطانِ
وصارَتِ الخيلُ تحمي الأرضَ قاطبةً	ومن عليها لهذا الآخرِ الثّاني[84]

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال إن حمير وكهلان لم يزالا على ذلك وأولادهما من بعدهما وأولاد أولادهما لحمير على كهلان بالطاعة، ولكهلان على حمير المال والنجدة، والملوك الرّاتبة في دار المملكة من حمير، والملوك في الأطراف والثغور من كهلان.

وصية حمير بن سبأ:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن حمير بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان وصى بنيه - وكانوا اثني عشر رجلاً - فقال: يا بني، ما اجتمع اثنان متآزران متعاضدان على أربعة نفر أو خمسة من أشتات الناس إلا غلباهم وملكا أسرهم وقيادهم، وما اجتمع خمسة نفر متآزرون متعاضدون على عشرة أنفار من أشتات الناس إلا غلبوهم وملكوا أسرهم وقيادهم، وما اجتمع عشر أنفار متآزرون متعاضدون على الجماعة التي يكون ميلهم عدد أوزان الأنفس من أشتات الناس إلا غلبوهم وملكوا أسرهم وقيادهم. وأيُّما عصابة غلبت أربعين رجلاً يوشك لها أن تغلب الثمانين والمائة وما فوق ذلك، وغلاب المائة حريُّون أن يغلبوا المائتين. وغلاب المائتين حريون أن يغلبوا الألف. ومنتهى العز للفرقة أن لا يطمع فيها الألف ألف رجل. وما من رجل أطاعه رجل فقام بالمجازاة له على ذلك إلا أطاعه عشرة، وما من رجل أطاعه عشرة أنفار فقام بالمجازاة لهم على طاعتهم له إلا أطاعه مائة رجل، ومن أطاعه مائة رجل فقام لهم بالمجازاة على طاعتهم له إلا أطاعه ألف رجل، وما من رجل أطاعه ألف رجل إلا وقد ساد لا محالة..

(٨٤) وصايا الملوك (صـ٣٠).

يا بني، أطيعوا الأرشد فالأرشد منكم، ولا تعصوا أخاكم الهميسع فإنه خليفتي بعد الله فيكم وأميني فيما بينكم، وإنه لسيفكم وأنتم حد ذلك السيف، وإنه لرمحكم، وأنتم سنان ذلك الرمح وما السيف لولا الحد، وما الحد لولا السيف، وما السنان لولا الرمح، وما الرمح لولا السنان، أنتم بالهميسع وله، والهميسع بكم ولكم. ثم أنشد يقول:

هميسعُ لم تجهلْ معَ الناسِ سيرتي ... فسرْ لي بها في النَّاسِ بعدي هميسعُ
بنيَّ بهمْ أوصيكَ خيرًا فإنَّهمْ ... تضرُّ بهم من شئتَ يومًا وتنفعُ
وعمك وابن العمِّ دونكَ بعده ... مردُّ الأعادي الكاشحينَ ومدفعُ
همُ لكَ كهفٌ بل هُمُ لكَ موئلٌ ... وهمْ لكَ من دونِ البريةِ مفزعُ
وليسَ عُقابُ الطيرِ يومًا وإن لها ... يذلُّ وتنقادُ البغاثُ وتخضعُ
تؤولُ إلى وكرٍ سوى وكرهَا الذي ... تؤولُ إليهِ للمبيتِ وترجعُ
هميسعُ إنَّ الناسَ وحشٌ وإنهم ... إلى الرِّفق من خمس القوارب أسرعُ
هميسعُ جُدْ بالخيرِ تُجز بمثلهِ ... فكُلُّ امرئٍ يُجزى بما هو يصنعُ
هميسعُ دارِ الناسَ تُعطَ قيادَهُمْ ... فحظُّكَ منهم أن يُطيعوا ويسمعوا
هميسعُ لا والله إن أنتَ حاصد ... طوالَ الليالي غيرَ ما أنتَ تزرعُ
فأوصيكَ بالإفضالِ مثلَ وصيَّتي ... بإخوتِكَ القُربى فهلْ أَنتَ تسمعُ[85]

وصية زهير بن أيمن:

علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن زهير بن أيمن بن الهميسع وصى ابنه عريب بن زهير ولم يكن له ولد غيره، فقال: يا بني، قد انتهى إليك ما كان من وصية جدك سبأ بن يشجب بن يعرب، وما افترق عليه ابناه يوم الوصية والقسمة، وهما جداك حمير وكهلان فلا تجرين الأمر إلا على ما جرت به الرسوم من لدنهما إلى هذه الغاية. وأوصِ بعدك من يصلح لهذا الأمر من ولدك ومن إخوتك. وأوصيك بالثبات على ما وجدتني عليه من العدل في الرعية والتجاوز عن المسيء والكف عن أذى العشيرة، والتحفظ بها والتحبب إليها، فما المرء إلا بقومه ولو عز. وأنشأ يقول: "من البسيط"

(٨٥) خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التابعة (صـ١٦).

عَـريبُ لا تـنسَ مـا وصّـى أبُـوكَ بـهِ ... إنَّ الوصـيـة لَمـا يعـدُها الرُّشْـدُ

كـلُّ امـرئٍ عِـزُّهُ ... فـاعلم عـشيرتُهُ ... وفي العـشيرةِ يُلفـى العـزُّ والعـددُ

مـا البيتُ لو لمْ يكنْ فوقَ الأساسِ ولم ... تقلّـه دعـمٌ للـسعف والعَمَـدُ

لـولا الغَـريفُ ولـولا خـيسُ غابَـتهِ ... لمـا سـطا موهـنًا بالقَـدرةِ الأسـدُ

فـضيلة المـرء تـؤويه وتعـضدُهُ ... إن الذلـيلَ الـذي ليـست لـهُ عَـضُدُ

والمـرءُ تـسلمُ دُنـياهُ ونعمـتُهُ ... مـا ليسَ يأتـيهِ مـن إخـوانهِ الحسدُ[٨٦]

وصية عريب بن زهير

علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع ابن حمير وصى بنيه وهم أربعة نفر؛ الصباح وجنادة وأبرهة وقطن بنو عريب بن زهير فقال لهم: يا بني، إني وجدت الشرف والسؤدد والعز والنجدة والطاعة والملك يدل على ستة أشياء. إني وجدت السؤدد لا يزايل الكرم، ولا يسود من لا كرم له. وإني وجدت العز مع العدد حيثما كان، ولا عز لمن لا عدد له، ولا عدد لمن لا عشيرة له، وإني وجدت النجدة في الأيادي، ولا نجدة لمن لا أيادي له، وإني وجدت الطاعة مع العدل، ولا طاعة لمن لا عدل له، وإني وجدت الملك في اصطناع الرجال، ولا ملك لمن لا يصطنع الرجال، يا بني، احفظوا وصيتي واثبتوا عليها، واعملوا بها، ولا تعصوا أخاكم قطنًا فإنه خليفتي فيكم بعد الله وولي الملك بعدي دون أي أحد. وأنشأ يقول: " من البسيط "

مـضتْ لأسـلافنا فـيمنْ مـضى سُنَنٌ ... ساسُـوا بهـا لَهـمُ مُلـكًا فمـا وَهـنُوا

فَسُسْتُ بعـدهُمُ المُلكَ الذي مَلكُوا ... وأنـتَ سـائسُ ذاكَ المُلـكَ يـا قَطَـنُ

لم أعـدُ سـيرتَهُمْ يـومًا وأنـتَ لهـمْ ... لا تعـدُ عـن سـيرتي مـا أورقَ الفَـنَنُ

بالأصـلِ تُمـرعُ لا بالفَـرعِ مـونقةً ... وكيفَ يخضرُّ لولا أصلُهُ الغُصنُ

ذَرِ الـتغافَلَ عـن نـيلِ تجُـودُ بـهِ ... إن الـتغافلَ غـيٌّ والهُـدى فِطَـنُ[٨٧]

---

(٨٦) وصايا الملوك (صـ٢٦).

(٨٧) السابق نفسه.

وصايا الآباء

وصايا الآباء لأبنائهم

وصية والد الإمام سفيان بن عيينة:

قال سفيان بن عيينة لما بلغت خمس عشرة سنة دعاني أبي فقال لي يا سفيان قد انقطعت عنك شرائع الصبا فاحتفظ من الخير تكن من أهله ولا يغرنك من اغتر بالله فمدحك بما يعلم الله خلافه منك فانه ما من أحد يقول في أحد من الخير إذا رضي إلا وهو يقول فيه من الشر مثل ذلك إذا سخط فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء لا تنقل أحسن ظني بك إلى غير ذلك ولن يسعد بالعلماء إلا من أطاعهم.

قال: سفيان فجعلت وصية أبي قبلة أميل معها ولا أميل عنها[88].

وصية مساور لابنه:

كان مساور الوراق من جديلة قيس ثم من عدوان مولى لهم فقال لابنه يوصيه:

شَمِّرْ ثيابَك واستعدَّ لقائلٍ ... واحْكُكْ جَبِينَك للعُهودِ بثُومِ
إنَّ العُهودَ صَفَتْ لكلِ مُشمِّرٍ ... دَبِرِ الجبينِ مُصَفَّرٍ موسومِ
أحسِنْ وصاحبْ كُلَّ قارٍ ناسكٍ ... حَسنِ التَّعهُّدِ للصلاة صَؤُومِ
من ضَرْبِ حَمَّادٍ هُناك ومِسْعَرٍ ... وسِمَاكٍ العَتَكِيِّ وابنِ حَكِيمِ
وعليك بالغَنَوِيِّ فاجلِسْ عنده ... حتى تصيبَ وَدِيعَةً لِيَتيمِ
تُغنِيك عن طلب البُيوع نَسيئةً ... وتكفَّ عنك لِسانَ كُلِّ غَريمِ
وإذا دخلت على الرَّبيعِ مُسلِّمًا ... فاخْصُصْ شَبَابَةَ منك بالتَّسْليمِ[89]

وصية الخطاب بن المعلى المخزومي ابنه:

وعظ ابنه فقال يا بني عليك بتقوى الله وطاعته وتجنب محارمه باتباع سنته ومعالمه حتى تصح عيوبك وتقر عينك فانها لا تخفي على الله خافيه واني قد وسمت لك وسما ووضعت لك رسما ان انت حفظته ووعيته وعملت به ملأت أعين

---

(٨٨) صفة الصفوة (٢/ ٢٣١).

(٨٩) الأغاني (١٨/ ١٥٥).

الملوك وانقاد لك به الصعلوك ولم تزل مرتجى مشرفا يحتاج اليك ويرغب الى ما في يديك فأطع اباك واقتصر على وصيةابيك وفرغ لذلك ذهنك واشغل به قلبك ولبك واياك وهذر الكلام وكثرة الضحكك والمزا ح ومهازلة الإخوان فإن ذلك يذهب البهاء ويوقع الشحناء وعليك بالرزانة والتوقر من غير كبر يوصف منك ولا خيلاء تحكي عنك والق صديقك وعدوك بوجه الرضى وكف الأذى من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وكن في جميع أمورك في أوسطها فإن خير الأمور أوساطها وقلل الكلام وأفش السلام وامش متمكنا قصدا ولا تخط برجلك ولا تسحب ذيلك ولا تلو عنقك ولا ردائك ولا تنظر في عطفك ولا تكثر الالتفاف ولا تقف على الجماعات ولا تتخذ السوق مجلسا ولا الحوانيت متحدثا ولا تكثر المراء ولا تنازع السفهاء فإن تكلمت فاختصر وإن مزحت فاقتصر واذا جلست فتربع وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها والعبث بلحيتك وخاتمك وذؤابة سيفك وتخليل أسنانك وإدخال يدك في أنفك وكثرة طرد الذباب عنك وكثرة التثاؤب والتمطى وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك ويغتمزون به فيك، وليكن مجلسك هاديا وحديثك مقسوما وأصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك بغير إظهار عجب منك ولا مسألة إعادة وغض عن الفكاهات من المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ولا عن فرسك ولا عن سفيك واياك وأحاديث الرؤيا فإنك إن أظهرت عجبا بشيء منها طمع فيها السفهاء فولدوا لك الأحلام واغتمزوا في عقلك ولا تصنع تصنع المرأة ولا تبذل تبذل العبد ولا تهلب لحيتك ولا تبطنها وتوق كثرة الحف ونتف الشيب وكثرة الكحل والإسراف في الدهن وليكن كحلك غبا ولا تلح في الحاجات ولا تخشع في الطلبات ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم عدد مالك فإنهم إن رأوه قليلا هنت عليهم وإن كان كثيرا لم تبلغ به رضاهم وأخفهم في غير عنف ولن لهم قي غير ضعف ولا تهازل أمتك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عن عجلتك وتفكر في حجتك وأر الحاكم شيئا من حلمك ولا تكثر الأشارة بيدك ولا تحفز على ركبتيك وتوق حمرة الوجه وعرق الجبين وإن سفه عليك فاحلم وإذا هدأ غضبك فتكلم وأكرم عرضك وألق الفضول عنك وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان وإن أسترسل اليك فلا تأمن من انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهي ولا يحملنك ما ترى من الطافه إياك وخاصته بك أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه وإن كان لذلك منك مستمعا وللقول منك مطيعا فإن سقطه الداخل بين الملك وأهله صرعة لا تنهض وزلة لا

تقال وإذا وعدت فحقق وإذا حدثت فاصدق ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصم ولا تخافت به كتخافت الأخرس وتخير محاسن القول بالحديث المقبول وإذا حدثت بسماع فانسبه الى أهله وإياك والأحاديث العابرة المشنعه التي تنكرها القلوب وتفق لها الجلود وإياك ومضعف الكلام مثل نعم نعم ولا لا وعجل عجل وما أشبه ذلك وإذا توضأت فأجد عرك كفيك وليكن وضعك الحرض من الأشنان في فيك كفعلك بالسواك ولا تنخع في الطست وليكن طرحك الماء من فيك مترسلا ولا تمج فتنضح على أقرب جلسائك ولا تعض نصف اللقمه ثم تعيد ما بقى منها منصبغا فإن ذلك مكروه ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك ولا تعبث بالمشاش ولا تعب شيئا مما يقرب اليك على مائدة بقلة خل أو تابل أو عسل فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة ولا تمسك إمساك المثبور ولا تبذر تبذير السفيه المغرور واعرف في مالك واجب الحقوق وحرمة الصديق واستغن عن الناس يحتاجوا اليك واعلم ان الجشع يدعو الى الطبع والرغبة كما قيل تدق الرقبة ورب أكله تمنع أكلات والتعفف مال جسيم وخلق كريم ومعرفة الرجل قدره تشرف ذكره ومن تعدى القدر هوى في بعيد القعر والصدق زين والكذب شين ولصدق يسرع عطب صاحبه أحسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ولقرب ملك جواده خير من مجاورة بحر طراد وزوجة السوء الداء العضال ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه وطاعة النساء تزرى بالعقلاء تشبه بأهل العقل تكن منهم وتصنع للشرف تدركه، وأعلم أن كل امريء حيث وضع نفسه وإنما ينسب الصانع إلى صناعته والمرء يعرف بقرينه وإياك وإخوان السوء فإنهم يخونون من رافقهم ويحزنون من صادقهم وقربهم أعدى من الجرب ورفضهم من استكمال الأدب واستخفار المستجير لؤم والعجله شؤم وسوء التدبير وهن والإخوان إثنان فمحافظ عليك عند البلاء وصديق لك في الرخاء فاحفظ صديق البلاء وتجنب صديق العافية فإنهم أعدى الأعداء، ومن اتبع الهوى مال به الردى ولا يعجبنك الجهم من الرجال ولا تحقر ضئيلا كالخلال فإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ولا ينتفع به بأكثر من أصغريه، وتوق الفساد وإن كنت في بلاد الأعادي ولا تفرش عرضك لمن دونك ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ولا تكثر الكلام فتثقل على الأقوام وامنح البشر جليسك والقبول ممن لاقاك، وإياك وكثرة التبريق والتزليق فإن ظاهر ذلك ينسب الى التأنيث وإياك والتصنع لمغازلة النساء وكن متقربا متعززا منتهزا في فرصتك رفيقا في حاجتك متثبتا في

حملتك والبس لكل دهر ثيابه ومع كل قوم شكلهم، واحذر ما يلزمك اللائمة في آخرتك ولا تعجل في امر حتى تنظر في عاقبته ولا ترد حتى ترى وجه المصدر، وعليك بالنورة في كل شهر مرة وإياك وحلاق الإبط بالنورة وليكن السواك من طبيعتك وإذا استكت فعرضا وعليك بالعمارة فإنها أنفع التجارة وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك ومن أكرم عرضه أكرمه الناس وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ومعرفة الحق من أخلاق الصدق والرفيق الصالح ابن عم ومن أيسر أكبر ومن افتقر احتقر قصر في المقالة مخافة الإجابة والساعي إليك غالب عليك وطول السفر ملالة وكثرة المنى ضلالة وليس للغائب صديق ولا على الميت شفيق وأدب الشيخ عناء وتأديب الغلام شقاء والفاحش أمير والوقاح وزير والحليم مطية الأحمق والحمق داء لا شفاء له والحلم خير وزير والدين أزين الأمور والسماجه سفاهة والسكران شيطان وكلامه هذيان والشعر من السحر والتهدد هجر والشح شقاء والشجاعة بقاء والهدية من الأخلاق السرية وهي تورث المحبة ومن ابتدأ المعروف صار دينا ومن المعروف ابتداء من غير مسألة وصاحب الرياء يرجع الى السخاء ولرياء بخير خير من معالنة بشر والعرق نزاع والعادة طبيعة لازمة إن خير فخير وإن شرا فشر ومن حل عقدا احتمل حقدا ومراجعة السلطان خرق بالإنسان والفرار غار والتقدم مخاطرة وأعجل منفعه إيسار في دعة وكثرة العلل من البخل وشر الرجال الكثير الاعتلال وحسن اللقاء يذهب بالشحناء ولين الكلام من أخلاق الكرام.

يا بني إن زوجة الرجل سكنة ولا عيش له مع خلافها فإذا هممت بنكاح امرأة فسل عن أهلها فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة، واعلم أن النساء أشد اختلافا من أصابع الكف فتوق منهن كل ذات بذا مجبولة على الأذى فمنهن المعجبة بنفسها المزرية ببعلها إن أكرمها رأته لفضلها عليه لا تشكر على جميل ولا ترضى منه بقليل لسانها عليه سيف صقيل قد كشفت القحة ستر الحياء عن وجهها فلا تستحي من إعوارها ولا تستحي من جارها كلبة هرارة مهارشة عقارة فوجه زوجها مكلوم، وعرضه مشتوم ولا ترعى عليه لدين ولا الدنيا ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة بنين حجابه مهتوك وستره منشور وخيره مدفون يصبح كئيبا ويمسي عاتبا شرابه مر وطعامه غيظ وولده ضياع وبيته مستهلك وثوبه وسخ ورأسه شعث إن ضحك فواهن وإن تكلم فمتكاره نهاره ليل وليله ويل تلدغه مثل الحية العقارة وتلسعه مثل العقرب الجرارة. ومنهن شفشليق شعشع سلفع ذات سم منقع وإبراق واختلاق تهب مع الرياح وتطير مع كل ذي جناح إن قال لا قالت نعم

وإن قال نعم قالت لا مولدة لمخازيه محتقرة لما في يديه تضرب له الأمثال وتقصر به دون الرجال وتنقله من حال الى حال حتى قلا بيته ومل ولده وغث عيشه وهانت عليه نفسه وحتى أنكره إخوانه ورحمه جيرانه. ومنهن الورهاء الحمقاء ذات الدل في غير موضعها الماضغه للسانها الآخذة في غير شانها قد قنعت بحبه ورضيت بكسبه تأكل كالحمار الراتع تنتشر الشمس ولما يسمع لها صوت ولم يكنس لها بيت طعامها بائت وإناؤها وضر وعجينها حامض وماؤها فاتر ومتاعها مزروع وماعونها ممنوع وخادمها مضروب وجارها محروب. ومنهن العطوف الودود المباركة الولود المأمونه على غيبها المحبوبة في جيرانها المحمودة في سرها وإعلانها الكريمة التبعل الكثيرة التفضل الخافضة صوتا النظيفة بيتا خادمها مسمن وابنها مزين وخيرها دائم وزوجها ناعم مومومقه مالوفه وبالعفاف والخيرات موصوفة جعلك الله يا بني ممن يقتدي بالهدى ويأتم بالتقى ويجتنب السخط ويحب الرضى. والله خليفتي عليك والمتولي لأمرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا[٩٠].

أوصى رجل ابنه:

فقال: إن وصيتي مع وصية الله ﷻ لَهُجْنَة، وإن في التذكرة لَيقظة، وعَوْدُ الخير محمود. وأنا أسترعي لك - بعد وفاتي - الذي أحسن إليك في حياتي. تحرَّ في كل أمرك طاعة الله تُنْجِك، وإياك فالأخرى فتُردِك. وابذل لِجِلَّةِ الناس إكرامَك تتصرف إليك أبصارهم، وابذل لسائرهم بشْرَك يطِبْ ذكرُك في أفواههم. وأصلِح بكلِّ الأدب لسانك، واستعمل في إصلاحها بدنك؛ فإن الأدب أول مدلول به على عقلك .

وأوصى بعض الحكماء بنيه فقال: أصلحوا ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة فيستعير من أخيه ثوبه، ومن صديقه دابته، ولا يجد من يعيره لسانه .

قال الصولي: كاتبت أبا حنيفة رحمه الله فأغفلت التاريخ، فكتب إلي: وصل كتابك مبهم الأوان، مظلم البيان، فأدى خبرًا ما القرب فيه بأولى من البعد منه. فإذا كتبت - أعزك الله - فلتكن كتبك موسومة بالتاريخ، لأعرف أدنى آثارك وأقرب أخبارك قال أبو العيناء: سمعت الحسن بن سهل يقول: من أحبَّ الازدياد من النعم فليشكر، ومن أحب المنزلة عند السلطان فليعظه، ومن أحب بقاء عزه فليتواضع، ومن أحب السلامة فليدم الحذر .

(٩٠) روضة العقلاء (صـ١٩٨) .

قال لقمان لابنه: إياك وصاحب السوء، فإنه كالسيف المسلول: يعجب منظره، ويقبح أثره، ولا يهونَنَّ عليك من قبح منظره ورثّ لباسه. فإن الله تعالى إنما ينظر إلى القلوب ويجازي بالأعمال.

قال أنوشروان لابنه: يا بني، إن من أخلاق الملوك العز والأنفة. وإنك ستُبلى بمداراة أقوام، وإن سَفَهَ السفيه ربما تُطَلِّعُ منه فإن كافأته بالسفه فكأنك رضيت بما أتى. فاجتنب أن تحتذي على مثاله، فإن كان سفهه عندك مذمومًا فحقق ذمك إياه بترك معارضته بمثله.

عن العتبي، قال: حدثني بعض علماء الفرس أن أردشير قال لابنه: يا بني، إن المُلك والدِّين أخوان، ولا غنى بأحدهما عن صاحبه، ولا قوام له إلا به. الدين أُسٌّ، والمُلك حارس؛ فما لم يكن له أس فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع. يا بني، اجعل مرتبتك مع أهل المراتب، وعطيتك لأهل الجهاد، وبشرك لأهل الدين، وسرك لمن يعنيه ما عناك من أهل العقل.

وعن سعد بن عبد العزيز رحمه الله قال: من أحسن فليرجُ الثواب، ومن أساء فلا يستنكر الجزاء، ومن أخذ عزًا بغير حق أورثه الله تعالى ذلاً بحق، ومن جمع مالاً بظلم أورثه الله فقرًا بغير ظلم.

ووصى حكيم ابنه فقال: يا بني، إن المُدْبِر لا يوفَّق لطرق المراشد. فإياك وصحبة المدبر؛ فإنك إن صحبته علق بك إدباره، وإن تركته بعد صحبتك إياه تتبعت نفسك آثاره[٩١].

وصية واثلة بن كندة:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن واثلة بن كنده بن المرتع وهو الذي يقال له الأشرس بن كندة وصّى بنيه فقال لهم: يا بني، عليكم بالثلاثة تنالوا بها ثلاث خصال، لا ينازعكم فيه ثلاثة، شريف تعالى في شرفه، وعزيز تسامى في علو عزه، وكريم في حالق من ربائع كرمه. يا بني أجزلوا الموهبة قبل أن تسألوها لتسودوا الكرام قبل أن يسودكم مبذالها، وأجملوا الصمت في الندي يجمع لكم قوالها، واصدقوا الطعن عند الهياج ليرهب جانبكم أبطالها. أي ثلاثة لا عدمتموهن ثلاثًا تجمع لكم الكرم والسؤدد والعز[٩٢].

---

(٩١) لباب الآداب (صـ٧).

(٩٢) وصايا الملوك (صـ٣٦).

وصية معاوية الأكرمين:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن معاوية الأكرمين وهو جد الملوك المتوجة من كندة وصّى بنيه، فقال لهم: يا بني، أحسنوا موالاة من والاكم، واجتهدوا في معاداة من عاداكم، أما من عاداكم فأسهروا ليله، وأخيفوا نهاره، وكونوا أمامه ظلامًا، ووراءه أفاعي، وعن يمينه وشماله أسدًا، افترسوه في الليل إذا تعشى، وانتهموه في النهار إذا تخلّى، فإن تركه إياكم ليس من شفقة به عليكم، ولكنه ينتظر الفرصة فيكم، ليثب وثبة الخادم على الضالة في مرصده. وأما من والاكم فارعوا ليله، واحفظوا نهاره، وكونوا له حصنًا ساطعًا وركنًا مانعًا وعيشًا هامعًا، وأدنى ما توجبون له من حقه أن تؤثروه بالخير عليكم، وتقوه الشر بأنفسكم، وأن تحفظوه وأقاربه، فما الناس إلا اثنان، عدو كاشح وصديق ناصح. ومعاوية هذا الذي يقول فيه عامر بن السّكون الأشرس بن كنده بن المرتع حيث يقول:

أبَتْ حادثاتُ الدّهـرِ إلا امتحانيه ... علـى المكـروه إلا اصـطبارية

لقد كانَ ظنّي أنْ أوارى ولا أرى ... رجالاً بأيديها بـوارًا مُعاوِيَـهْ

وكانَ القُوى مِنّي فلمّا سُلِبتهُ ... سُلِبتُ القُوى حتى استبانَ انحنائِيهْ

لقد فارقَتنِيْ يومَ فارقتُ وجهـهُ ... يَمينِـيَ لا بـلْ فارقتني شِماليَهْ

فلو كانَ يُفدَى لافتديتُ بقاءَهُ ... بنفسِيْ وأولاديْ وأهلِيْ وماليهْ

لقد ورثتْ ثور بنَ نبتٍ بن مالكٍ ... فتاها الّذي أضحتْ لَهُ وهي باكِيهْ

فكائنْ ترى في كِندةَ المُلكَ والعُلا لهُ اليومَ من راثٍ يَحنُّ وراثيهْ

معاويَ إنّي لستُ أنساكَ ما جرتْ ... شـآميةٌ في عـندلٍ أو يمانيه

تمنَّيتُ إذ وافتْ نعاتُكَ عُذوةً ... بأن قبلها قامَتْ عليَّ نُعاتيه[٩٣]

وصية عمرو المفضور:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن عمرو المفضور وصى بنيه فقال لهم: يا بني، إن الدهر يومان، خير وشر، فأعدوا للخير خيرًا يجمع لكم خيران في قرن واحد، وادفعوا شرّه بالتي هي أحسن عاقبة وأجلّ مالاً من غيرها،

(٩٣) السابق نفسه.

يا بني، اعملوا بما أوصيكم، ولا تعدوه إلى غيره، فإن الرُّشد في وصيتي والغي بما خالفها. ثم أنشأ يقول: " من البسيط "

إنْ تَجهلُوا ذِكركُم فالدَّهرُ يومانِ ... خَيرٌ وشَرٌّ هما شيئانِ إثنانِ
استقبلُوا خيرهُ بالخيرِ وافترِقُوا ... خَيرًا يكُن لكُمُ في الخيرِ خيرانِ
ودافِعُوا شرَّهُ عَنكُم بأحسنِهَا ... دفعًا فقد يُدفَعُ الشَّرُّ بإحسانِ
بذاكَ أسلافُنَا وصَّوا ... بنيهمُ مِنْ بنيْ هُودٍ وقحطانِ
ولم يزلْ ذاكَ في الحيَّين بعدهُمُ ... من حِميرٍ والذُّرى مِنْ فرعِ كهلانِ
لنا الذي أسَّسُوه قبلنا ولهُمْ ... ما نحنُ نبنيهِ من تشييدِ بُنيانِ
والمُلكُ فينا وفي إخوانِنَا ولنا ... ما كانَ للمُلكِ من عِزٍّ وسُلطانِ
بَنيَّ لا تقطعوا عَمرًا ولا أُددًا ... والأزدَ طُرًّا ولا أحياءَ همدانِ
والحيَّ حميرَ لا تعصُوا مُلُوكهُمْ ... فإنَّكُم معهُمْ في المُلكِ سيَّانِ
هُمُ أذلُّوا لكُم هذا الأنام وهُمْ ... أعطُوكُمُ المُلكَ في أبناءِ عدنانِ
وهُمْ أباحُوا بلادَ الهندِ وافتتحُوا ... مدائِنَ العُجمِ في أقصى خُراسَانِ
وهُمْ صَلُوا نارَ أهلِ الصِّينِ دُونكُمُ ... حتَّى حووها لكُم يا آلَ قحطانِ
والرُّومَ قد منحُوهَا عُنوةً لكُمُ ... وأرضَ فارسَ داسُوهَا وكِرمانِ[٩٤]

وصية معديكرب:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن معد يكرب الكندي وهو الذي يقال له ذو التاج الأوضح أقبل على بنيه وهو يقول: "من المتقارب"

بَنيَّ حلبتُ الزَّمانَ الخَؤُون ... ودرَّجتُ أسطرَهُ بالغيرْ
وأبليتُ ثوبَ الشَّبابِ النَّضيرِ ... وبُدِّلتُ ريعانَهُ بالكِبرْ
وقد دقَّ عظمي ودانى خُطاي ... وخانَنِيَ السَّمعُ بعد البَصرْ
وأصبحتُ أُخبِرُ عن معشرٍ ... مضى العينُ مِنهُمْ وولَّى الأثرْ
يُسائِلُنِيْ الحيُّ عن سالفيهمْ ... كأنِّي لفائتها ذُو العُمُرْ
أو إنِّي ركبتُ وأولادَ نُوحٍ ... على ذاتِ ألواحِهَا والدُّسُرْ

(٩٤) السابق نفسه.

بــــنيَّ اســــألونيْ ولا تـــسألُوا ... ســواي فعــنديْ صــحيحُ الخــبرْ
عَـن الملْـكِ كـيفَ حـوتهُ الـرِّجالُ ... مــن أبـناء قحطــانَ دُونَ البَــشَرْ
لأخـــبركُمْ خـــبرًا شــــافيًا ... يُــسرُّ بــهِ مــنكُمْ مــنْ يُــسَرْ
يــنالُ مِــنَ المَلْــكِ مــا لا يظــن ... بمــا قــلَّ مــن ذاتــهِ أو كـثُــرْ
ومـــنْ يـــأمَنِ الجــارُ مكــرُوهَهُ ... وللجـــار مأمـــولُهُ يُنتظـــرْ
ومـــن يـــتَّقِ اللهَ في أمـــرِهِ ... ويــرجُو الــنَّجاةَ ويخــشى الغِــيرْ
ويعلــمَ أنَّ إلــهَ الــسَّمـ ... ـاء دُونَــهُ لامــرئٍ مــن وزرْ
يــرى مــا يــرونَ ومــا لا يــرونْ ... ومــن عــندِهِ مُحكمــاتُ الزُّبُــرْ
فهاتــا وَصَــاتيْ لكُــم يــا بــنيَّ ... وكانــتْ وصــاةَ جُــدُوديْ الغُــررْ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن الأسود بن معد يكرب حين سمع هذا الشعر من أبيه آلى يمينًا ألا يتّزر على زينة أبدًا، ولا يمنع السائل مسألة يومًا، ولا تخمد له نار على طارق ما عاش، ولا يتقي أحدًا فيما يروم من أمر الملك في دنياه إلا الله الذي خلقه وبراه. ثم أقبل على بنيه وهو يقول: " من الرجز "

إنّــيَ وأيــم اللهِ يــا معديكــرِبْ ... لــبارحٌ مــا عِــشتُ أو مــا تحتــنب
واحــد مــنك يــا عــصام الأدب ... فليأمَــنَنْ جــاريَ مــا هــبَّ ودبْ
فليسَ من عندي على جاري الأربْ ... إنّـي وحقِ الجـارِ حـتمًا قـد وجـبْ
وسوفَ أعطِـيْ مـا ملكـتُ بل أهَبْ ... مــن الــبلادِ واللّجــينِ والــذّهبْ
والطّــارف المــيراثِ عــن أمّ وأبْ ... حتّـى أشيدَ حـسبًا فـوقَ الحَـسَبْ
وشـرفًا يُغنِـيْ الفتـى عـن النَّـسبْ ... يُنبيـكَ أنّـي مـنْ جمـاهيرِ العـربْ
زمامُهُمْ يُغشَى الّذي يهديْ الطّلبْ ... مــن شــاءَ مالِــيْ دُونَــهُ فلينــتهِبْ
وتلــكَ نــارِيْ مــا بقــيتُ تلــتهِبْ ... للطّارق الضّاوي وللطّاوي الـصَّغِبْ

قال: فلما سمع أخوه بن معديكرب شعر أخيه الأسود بن معديكرب وما ردَّ فيه على أبيه وما تقدم من يمينه، آلى يمينًا كاليّة أخيه أو أوكد منها على أنه لا يمنع أحدًا شيئًا من ماله ولا ما سأل، وأنه لا يتكلم بالخنى ما بقي، وأنه لا يهم

برأيه ما عاش، وأنه لا يغدر، ولا يخون، ولا ينطق إلا بما لا يردُّ عليه، وأنه لا يرهب في جميع الأمور إلا الله وحده لا شريك له. ثم أنشأ يقول: "من الرجز"

أيا ابنَ معديكربٍ خيرَ البشرْ   فينا ابتُني الخَيرُ مع الشرِّ الشبِمرّ
نَخلُو إذا شِئنا وإن شِئنا نَمُرْ   إنّي وربُّ المثبتات للشُّحر
المُسبَلاتِ بالسَّحابِ المُنهمِرْ   لآخذ بما به الآن شعر
وما بهِ الأسودُ في القولِ نَشَرْ   مِنْ تركي الرِّيبةَ والأمرِ النُّكُرْ
وتركِيَ الغَدرَ وما لا يشتهِرْ   عندَ نداءِ البدوِ مِنّا والحضرْ
وصمتِيَ الدَّهرَ عن القولِ الهتِرْ   وبذلِيَ المالَ لسُؤالِ العُشُرْ
للمُتربِ الدَّانِيْ وللنَّائي الهكر   حتَّى أحُوزَ مُنتهَى شأوِ الغُررْ
آليتُ إنْ طالَ بقائِيْ أو قصُرْ   لا أنتَوِيْ الغَدرَ إذا غَيرِيْ غَدَرْ
ولا أخُونُ أحدًا من البشرْ   هاتِيكَ نَارِيْ في البقاعِ تستعِرْ
لطارقِ اللّيلِ إذا اللّيلُ انعكرْ   من شاءَ فَضلِي فإلَيَّ يبتَدِرْ
ولستُ أخشى أحدًا مِمَّنْ كبرْ   في باطنِ المُلكِ ولا فيما ظهرْ
إلاَّ المَليكَ المُستعانَ المُقتدِرْ   مُسخِّرَ الشَّمسِ لنا مَعَ القمرْ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إنهما لم يزالا على ما وصفا به أنفسهما، وأنهما ما سئلا قط شيئًا مما يسأل إلا جادا به وبذلاه لسائلهما[٩٥]

وصية جشم بن حبران:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن جشم بن حبران ابن نوف بن همدان بن أوسله بن مالك بن أوسله بن ربيعة بن زيد بن كهلان لما حضرته الوفاة أقبل على ابنيه حاشد وبكيل وهو يقول: "من الرجز"

يُوصيكُما أبوكُما المرءُ جُشَم   فليسَ ذُو جهالةٍ كمَنْ عَلِمْ
الصِّدق بادٍ وبه تُهدى الأمم   معالِمَ الرُّشدِ إذا الرُّشدُ ادلهمّ
إن رُمتُمَا السُّوددَ في النَّاسِ فَهُمْ   يَسُودُهُم مَنْ يعتلِيهِمْ بالكَرَمْ
في كتب من عصره وفي أمم   يقري إذا ما طارق الليل ألم

(٩٥) وصايا الملوك (صـ٣٨).

في ليلةٍ حفّتْ بأهليها الظّلَمْ من سَنَةٍ غبراءَ هذانِ الأذمْ
أكثرُ مَنْ باشرها لمّا يَنَمْ من الطّوى والقُرّ فيها والألمْ
وإنْ دعا الدّاعيْ لمكروهٍ عَظُمْ من نازلٍ وهنًا على الحيّ هجمْ
أجابَهُ كاللّيثِ من تحتِ الأجَمْ وافد مثل السهم يأتم البُهم
حتّى أتى القسطلَ مِنها والقتم مفرّجُ البأساء والكربِ المُلِمّ
بصارمٍ يتركُ أفراخَ القِممَ تطيرُ مثلَ الدّاءِ أو مثلَ الحلَمْ
هذا أوان قيل الامن للمهم للعزمات ثم للرأي الشيم
وللمُجازاةِ وإيصالِ الرَّحِمْ ولِلألدِّ الخصمِ إنْ لمْ يَحتكمْ
قامَ لهمْ بالكلِّ من ذاكَ وزم أمرَ الجميعِ وعنِ الكلِّ حلمْ
ولم يزغْ عن قصدِها ولم يُحَمْ في كلِّ ما حاولَ من أمرٍ ورَمْ
ذلِكمَا السيِّدُ والعدلُ الحكمْ ذلِكمَا الرُّكنُ الّذيْ لا يَنهدِمْ
ذلِكمَا المأمولُ واللّيثُ القطِمْ ذلِكمَا المهبُوبُ في ذاتِ القُحَمْ
ذلِكمَا السَّيفُ الّذيْ لا ينثلمْ ذلِكمَا الرُّمحُ الّذي لا ينفصِمْ
ذلِكمَا الرّأسُ الّذي اعتمَّ وتمّ[٩٦]

وصية عمرو بن لحي الخزاعي:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن عمرو بن لحي الخزاعي وصى أبناءه كعبًا وعديًا وسعدًا فقال: "من البسيط"

بنيَّ إنّي أرى فيما أرى عجبًا ولم يزلْ في بَنِي الدُّنيا الأعاجيبُ
أرى القبائلَ في غورٍ وفي نجدٍ من عَزَّ بَزَّ فسلابٌ ومسلُوبُ
وكلُّ مَنْ ليس في الأجيادِ أصرخَ عِندَ الهزاهِزِ مأكولٌ ومشروبُ
مَنْ لم يكنْ منهُمُ ذئبًا يُخافُ لهُ بأسٌ وبطشٌ وإلا غالَهُ الذِّيبُ
وأوهَنُ القومِ فيما بينَ أسرتِهِ وبينَ غيرهمُ لا شكَّ مغلُوبُ
قُومُوا قيامًا على أمشاطِ أرجُلِكُمْ وما قضى اللهُ من أمرٍ فمكتُوبُ

(٩٦) وصايا الملوك (صـ٤٠).

ما يحتوِي المُلك في الدُّنيا وزُخرفِها إلا امرُؤٌ في صدورِ النَّاسِ مهيوبُ
إنَّا لنعلمُ ما بالأمسِ كانَ لنا وما يكونُ غدًا عنَّا فمحجُوبُ
وكلُّ خيرٍ مضى أو نالَهُ سلفٌ للمرءِ في اللَّوحِ عندَ اللهِ محسوبُ
كُونُوا كِرامًا وذُودُوا عن وَجَالِدُوا دُونَهَا ما حنَّتِ النِّيبُ
وشَيِّدُوا المجدَ ما مَدَّ الزَّمانُ بكُمْ فإنَّهُ عَلَمٌ لِلمُلكِ منصُوبُ
ذُو الجُودِ يلقى العُلا في غيرِ مَعشَرِهِ وذُو الضَّنانةِ في حيِّهِ مَنكُوبُ
تلقى الكريمَ شُجاعًا في مسالِكِهِ والبُخلُ صاحِبُهُ حيرانُ مرعُوبُ
هاتَا وصاتي وفيما تُبتَلُونَ بهِ من الزَّمانِ لكُمْ بَعدي التَّجارِيبُ[٩٧]

وصية جفنة بن ثعلبة:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن جفنة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أقبل على بنيه، فقال لهم: يا بني تنافسوا في المكارم، وتجنبوا ما يعدو بكم عنها، فإني إخالكم دون هذا للأيام ملوكًا، ولا يكون الملك ملكًا يا بني حتى يكون منصفًا عدلاً، ويكون للأموال باذلاً، ويكون شجاعًا مقاتلاً عظيمًا حليمًا لبيبًا حكيمًا لا غشومًا ولا ظلومًا. ولقد رأيتكم يا بني وفيكم هذه الخصال التي عددتها. ثم إني وايم الله أعرفكم بها دون هذا الناس. ولقد نشرت ملككم قبل أن تولدوا، فياليت من شهدني يومئذ من إخواني وأعمامي كان شاهدي في يومي هذا. ثم أنشأ يقول:

يا ليتَ ثعلبةَ بنَ عمروٍ لم يمُتْ يا ليتَ ثعلبةَ بنَ عمروٍ يُنشَرُ
بل ليتَ عِمرانَ بنَ عمروٍ شاهِدِي وأخاهُ عوفًا أو ربيعةَ يظهَرُ
بل ليتَ حارِثةَ بنَ عمروٍ وابنَهُ ... أفصى ...
حتَّى يروا لي مِنكُمُ ولِنسلِهِمْ غُررًا كأمثالِ الأهِلَّةِ تَزهَرُ
غُررًا لُيُوثًا في الصوائح للوغى والمشرفية والقنا تتأطرُ
ظنِّي بنيَّ بكُم وظنِّي ظَنُّ من يعطي النبي منَ الصَّحيح ويُخبرُ
أن سوفَ يحوِي الشَّام مِنكُمْ سبعةٌ بهِمُ الأسرَّةُ والمنابرُ تُعمَرُ

(٩٧) وصايا الملوك (صـ٣١).

والــيهمُ تُجبَــى الإتــاواتُ الّــتي   مــن قــبلُ كانــتْ تجتبِـيهَا حِمـيرُ
أيَّـام لا كِسـرَى يناصـي معـشرِي   لالا ولا يعـصِيْ جُـدودِيْ قَيـصَرُ[98]

وصية تبع بن عمرو:

وحدّثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن التبع بن عمرو ذي الأذعار وصى ابنه حسان ملك يكرب، وهو الثاني من التبابعة، فقال له: يا بني، إن الملك صنعة والملك صانع، فإن قام الصانع حق قيامه على صنعته استجادها الناس له، واستحكم أمره فيها فكسب بها المال والجاه وكانت له عدة وذخيرة. وإن استهان بها ولم يقم حق قيامه عليها ذهبت الصنعة عن يده، وانقطعت منافعها عنه، واكتسب الذم لنفسه والحرمان، وكل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. وأنشأ يقول: "من البسيط"

مـا زِلـتُ بعـدَ أبـي بالمُلـكِ مُنفـرِدًا   أسُوسُـهُ بعـد أسـلافِيْ وأجـداديْ
أَحمـيْ محاسِـنَهُ جهـدي وأكلـؤُهُ   دَهـرِيْ وأحكمـهُ بعـديْ لأولاديْ
وقـدْ ضـربتُ لـكَ الأمـثالَ فِـيهِ وقـدْ   عَـرفَتَ فِي المُلكِ إصـدارِيْ وإيـراديْ
فاعمَـلْ بمـا لم أزَلْ مُـذْ كُـنتُ أعمَلُـهُ   فِي المُلكِ يرشِدكَ يـا حَسَّانُ إرشـاديْ[99]

وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده:

الحمد لله الذى لا يروعه الحمام المرقوب إذا شيم نجمه المثقوب ولا يبغته الأجل المكتوب ولا يفجؤه الفراق المعتوب ملهم الهدى الذى تطمئن به القلوب وموضح السبيل المطلوب وجاعل النصيحة الصريحة من قسم الوجوب لاسيما للولى المحبوب والولد المنسوب القائل في الكتاب المعجز الأسلوب أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زرت على نوره جيوب الغيوب وأشرف من خلعت عليه حال المهابة والعصمة فلا تقتحمه العيون ولا تصمه العيوب والرضا عن اله وأصحابه المثابرين على لسان الاستقامة بالهوى المغلوب والأمل المسلوب والاقتداء الموصل إلى المرغوب والعز والأمن من اللغوب وبعد فإنى لما علاني المشيب بقمته وقادني الكبر برمته واد كرت الشباب.

---

(٩٨) وصايا الملوك (صـ٣٢).

(٩٩) السابق نفسه (صـ١٩).

بعد أمته أسفت لما أضعت وندمت بعد الفطام على ما رضعت وتأكد وجوب نصحي لمن لزمني رعيه وتعلق بعيني سعيه وأملت أن تتعدى إلى ثمرة استقامته وأنا رهين فوات وفي برزخ أموات ويامن العثور في الطريق التي اقتضت عثاري إن سلك وعسى ألا يكون ذلك علي آثاري فقلت أخاطب الثلاثة الولد وثمرات الخلد بعد الضراعة إلى الله تعالى في توفيقهم وإيضاح طريقهم وجمع تفريقهم وأن يمن على منهم بحسن الخلف والتلافي من قبل التلف وأن يرزق خلفهم التمسك بهدى السلف فهو ولي ذلك والهادي إلى خير المسالك اعلموا هداكم الله تعالى الذي بأنواره تهتدي الضلال وبرضاه ترفع الأغلال وبالتماس قربه يحصل الكمال إذا ذهب المال وأخلفت الامال وتبرأت من يمينها الشمال أني مودعكم وإن سالمني الردي ومفارقكم وإن طال المدى وما عدا مما بدا فكيف وأدوات السفر تجمع ومنادي الرحيل يسمع ولا أقل للحبيب المودع من وصية محتضر وعجالة مقتصر ورتيمة تعقد في خنصر ونصيحة تكون نشيدة واع مبصر تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدي وتوضح لكم من الشفقة والحنو قصدي حسبما تضمن وعد الله من قبل وعدي فهي أريكم الذي لا يتغير وقفه ولا ينالكم المكروه ما رف عليكم سقفه وكأني بشبابكم قد شاخ وبراحلكم قد أناخ وبناشطكم قد كسل واستبدل الصاب من العسل ونصول الشيب تروع بأسل لا بل السام من كل حدب قد نسل والمعاد اللحد ولا تسل فبالأمس كنتم فراخ حجر واليوم أبناء عسكر مجر وغدا شيوخ مضيعة وهجر والقبور فاغرة والنفوس عن المألوفات صاغرة والدنيا بأهلها ساخرة والأولى تعقبها الأخرة والحازم من لم يتعظ به في أمر وقال بيدى لا بيد عمرو فاقتنوها من وصية ومرام في النصح قصية خصوا بها أولادكم إذا عقلوا ليجدوا زادها إذا انتقلوا وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق الخلق هملا ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملا ولا رضي الدنيا منزلا ولا لطف بمن أصبح عن فئة الخير منعزلا ولتلقنوا تلقينا وتعلموا علما يقينا أنكم لن تجدوا بعد أن أنفرد بذنبي ويفترش التراب جنبي ويسح انسكابي وتهرول عن المصلي ركابي أحرص مني على سعادة إليكم تجلب أو غاية كمال بسببكم ترتاد وتطلب حتى لا يكون في الدين والدنيا أورف منكم ظلا ولا أشرف محلا ولا أغبط نهلا وعلا وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا إلى قولي الأذان وتستلمحوا صبح نصحي فقد بان وساعيد عليكم وصية لقمان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ وَوَصَّيْنَا

ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ (لقمان:١٣ -١٩) وأعيد وصية خليل الله وإسرائيله حكم ما تضمنه حكم تنزيله ﴿...يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ (البقرة:١٣٢) والدين الذى ارتضاه واصطفاه وأكمله ووفاه وقرره مصطفاه من قبل أن يتوفاه إذا أعمل فيه انتقاد فهو عمل واعتقاد وكلاهما مقرر ومستمد من عقل أو نقل محرر والعقل متقدم وبناؤه مع رفض أخيه متهدم فالله واحد أحد فرد صمد ليس له والد ولاولد تنزه عن الزمان والمكان وسبق وجوده وجود الأكوان خالق الخلق وما يعملون الذى لا يسأل عن شيء وهم يسألون الحى العليم المدبر القدير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير أرسل الرسل رحمة لتدعو الناس إلى النجاة من الشقاء وتوجه الحجة في مصيرهم إلى دار البقاء مؤيدة بالمعجزات التي لا تتصف أنوارها بالاختفاء ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء ثم ختم ديوانهم بنبى ملتنا المرعية الهمل الشاهدة على الملل فتلخصت الطاعة وتعينت الإمرة المطاعة ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعة ثم إن الله تعالى قبضه إذ كان بشرا وترك دينه يضم من الأمة نشرا فمن تبعه لحق به ومن تركه نوط عنه في منسبه وكانت نجاته على قدر سببه روى عنه عليه الصلاة و السلام أنه قال تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعدي كتاب الله وسنتى فعضوا عليهما بالنواجذ فاعملوا يا بني بوصية من ناصح جاهد ومشفق شفقة والد واستشعروا حبه الذى توافرت دواعيه وعوامر اشد هديه فيافوز واعيه وصلوا السبب بسببه وآمنوا بكل ما جاء به مجملا أو مفصلا على حسبه وأوجبوا التجلة لصحبه الذين اختارهم الله تعالى لصحبته واجعلوا

محبتكم إياهم من توابع محبته واشملوهم بالتوقير وفضلوا منهم أولي الفضل الشهير وتبرءوا من العصبية التي لم يدعكم إليها داع ولاتع التشاجر بينهم أذن واع فهو عنوان السداد وعلامة سلامة الاعتقاد ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة وأئمتها الجلة فهم صقلة نصولهم وفروع ناشئة من أصولهم وورثتهم وورثة رسولهم واعلموا أنني قطعت في البحث زماني وجعلت النظر شاني منذ براني الله تعالى وأنشاني مع نبل يعترف به الشاني وإدراك يسلمه العقل الإنساني فلم أجد خابط ورق ولا مصبب عرق ولا نازع خطام ولا متكلف فطام ولا مقتحم بحر طام إلا وغايته التي يقصدها قد نضلتها الشريعة وسبقتها وفرعت ثنيتها وارتقتها فعليكم بالتزام جادتها السابلة ومصاحبة رفقتها الكاملة والاهتداء بأقمارها غير الآفلة والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (آل عمران:٨٥) وقد علت شرائعه وراع الشكوك رائعة فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين وابذلوا دونه النفوس فعل المهتدين فلن ينفع متاع بعد الخلود في النار أبد الابدين ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الأولاد عن الوالدين اللهم قد بلغت فأنت خير الشاهدين فاحذروا المعاطب التي توجب في الشقاء الخلود وتستدعي شوه الوجوه ونضج الجلود واستعيذوا برضا الله من سخطه واربئوا بنفوسكم عن غمطه وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم ولا تحمدوا على جيفة العرض الزائل ائتلافكم واقنعوا منه بما تيسر ولا تأسوا على مافات وتعذر فإنما هي دجنة ينسخها الصباح وصفقة يتعاقبها الخسار أو الرياح ودونكم عقيدة الإيمان فشدوا بالنواجذ عليها وكفكفوا الشبه أن تدنو إليها واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خرق لا يرفؤه عمل وكل ما سوى الراعي همل وما بعد الرأس في صلاح الجسم أمل وتمسكوا بكتاب الله تعالى حفظا وتلاوة واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوة وتفكروا في آياته ومعانيه وامتثلوا أوامره ونواهيه ولا تتأولوه ولا تغلوا فيه واشربوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه وأكثروا من بواعث حبه وصونوا شعائر الله صون المحترم واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الإسلام حتى لا ينخرم الله الله في الصلاة ذريعة التجلة وخاصة الملة وحاقنة الدم وغنى المستأجر المستخدم وأم العبادة وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة والناهية عن الفحشاء والمنكر إن عرض الشيطان عرضها ووطأ للنفس الأمارة سماءها وأرضها

والوسيلة إلى بل الجوانح ببرود الذكر وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر وضامنة حسن العشره من الجار وداعية للمسالمة من الفجار والواسمة بسمة السلامة والشاهدة للعبد برفع الملامة وغسول الطبع إذا شانه طبع والخير الذى كل ما سواه له تبع فاصبروا النفس على وظائفها بين بدء وإعادة فالخير عادة ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية وتؤثروا على العلية الدنية فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تنبس والفلك بها من أجلكم لا يحبس وإذا قورنت بالشواغل فلها الجاه الأصيل والحكم الذي لا يغيره الغدو ولا الأصيل والوظائف بعد أدائها لا تفوت وأين حق من يموت من حق الحي الذي لا يموت وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها وأتبعوها النوافل ما أطقتموها فبالإتقان تفاضلت الأعمال وبالمراعاة استحقت الكمال ولا شكر مع الإهمال ولا ربح مع إضاعة رأس المال وذلك أحرى بإقامة الفرض وأدعى إلى مساعدة البعض البعض.

والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصل وشرط لمشروطه محصل فاستوفوها والأعضاء نظفوها ومياهها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها والحجول والغرر فأطيلوها والنيات في كل ذلك فلا تهملوها فالبناء بأساسه والسيف بمراسه واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور وذكر مجهور وغير مجهور تستغرق الأوقات وتنازع شتى الخواطر المفترقات فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بعقال واستعاض صدأه بصقال وإن تراخى فهقر الباع وسرقته الطباع وكان لما سواها أضيع فشمل الضياع والزكاة أختها الحبيبة ولدتها القريبة مفتاح السعادة بالعرض الزائل وشكران المسئول على الضد من درجة السائل وحق الله تعالى في مال من أغناه لمن أجهده في المعاش وعناه من غير استحقاق ملء يده وإخلاء يد أخيه ولا علة إلا القدر الذى يخفيه وما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه فاسمحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها في اختيار عرضها ونتاجها واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض مابذل وخالفوا الشيطان كلما عذل واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تملكون ولا تدرون أين تسلكون فوهب وأقدر وأورد بفضله. وأصدر ليرتب بكرمه الوسائل أو يقيم الحجج والدلائل فابتغوا إليه الوسيلة بمالة واغتنمو رضاه ببعض نواله وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله زلفى المحوضة لمن يعلم السر وأخفى مؤكدة بصيام الجوارح عن الاثام والقيام ببر القيام والاجتهاد وإيثار السهاد على المهاد وإن وسع الاعتكاف فهو من سننه المرعية ولواحقه الشرعية فبذلك تحسن الوجوه وتحصل من الرقة على ما ترجوه وتذهب قسوة الطباع ويمتد في ميدان الوسائل الباع والحج مع

الاستطاعة الركن الواجب والفرض على العين لا يحجبه الحاجب وقد بين رسول الله قدره فيما فرض عن ربه وسنه وقال (ليس له جزاء عنه الله إلا الجنه) ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه وغنى لديه فكونوا ممن يسمع نفيره ويطيعه وإن عجزتم فاعينوا من يستطيعه هذه عمد الإسلام وفروضه ونقود مهره وعروضه فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين وعلى من يناويكم ظاهرين وتلقوا الله لا مبدلين ولا مغيرين ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين. واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب فعليكم بالعلم النافع دليلا بين يدي السامع فالعلم مفتاح هذا الباب والموصل إلى اللباب والله ﷻ يقول: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝﴾ (الزمر:٩) والعلم وسيلة النفوس الشريفة إلى المطالب المنيفة وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة وخاصة الملإ الأعلى وصفة الله في كتبه التى تتلى والسبيل في الآخرة إلى السعادة وفي الدنيا إلى النحلة عادة والذخر الذي قليله يشفع وكثيره ينفع لا يغلبه الغاصب ولا يسلبه العدو المناصب ولا يبتزه الدهر إذا نال ولا يستأثر به البحر إذا هال من لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله.

وقليل وإن جم ماله وإن كان وقته قد فات اكتسابكم وتخطى حسابكم فالتمسوه لبنيكم واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم وأحملوهم على جمعه ودرسه واجعلوا طباعهم ثرى لغرسه واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جراه وسهر يهجر له الجفن كراه تعقدوا لهم ولاية عز لا تعزل وتحلوهم مثابة رفعة لا يحط فارعها ولا يستنزل واختاروا العلوم التي يتعقبها الوقت فلا ينالها في غيره المقت وخير العلوم علوم الشريعة وما نجم بمنابتها المريعة من علوم لسان لا تستغرق الأعمار فصولها ولا يضايق ثمرات المعاد حصولها فإنها هي آلات لغير وأسباب إلى خير منها وخير فمن كان قابلا للازدياد وألفى فهمه ذا انقياد فيلخص تجويد القرآن بتقديمه ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المنة المهدي كنوز الكتاب والسنة ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلة والتدرج في طرق النظر بصحيح الأدلة وهذه هي الغاية القصوى في الملة ومن قصر إدراكه عن هذا المرمى وتقاعد عن التي هي أسمى فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه وإياكم والعلوم القديمة والفنون المهجورة الذميمة فأكثرها لا يفيد إلا

تشكيكا ورأيا ركيكا ولا يثمر في العاجلة إلا اقتحام العيون وتطريق الظنون وتطويق الاحتقار وسمة الصغار وخمول الأقدار والخسف من بعد الإبدار وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال وأوفق من قطع العمر في الجدال هذا ابن رشد قاضي المصر ومفتيه وملتمس الرشد ومموليه عادت عليه بالسخطة الشنيعة وهو إمام الشريعة فلا سبيل إلى اقتحامها والتورط في ازدحامها ولا تخلطوا جامكم بجامها إلا ما كان من حساب ومساحة وما يعود بجدوى فلاحة وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة وما سوى ذلك فمحجور وضرم مسجور وممقوت مهجور وأمروا بالمعروف أمرا رفيقا وانهوا عن المنكر نهيا حريا بالاعتدال حقيقا واغبطوا من كان من سنة الغفلة مفيقا واجتنبوا ما تهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقا وأطيعوا أمر من ولاه الله تعالى من أموركم أمرا ولا تقربوا من الفتنة جمرا ولا تداخلوا في الخلاف زيدا ولا عمرا وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين وأهم ما أضرى عليه آلاباء آلسنة البنين وأكرم منسوب إلى مذهبه ومن أكثر من شيء عرف به وإياكم والكذب فهو العورة التي لا توارى والسوءة التي لا يرتاب في عارها ولا يتمارى وأقل عقوبات الكذاب بين يدى ما أعد الله له من العذاب أن لا يقبل صدقة إذا صدق ولا يعول عليه إن كان بالحق نطق وعليكم بالأمانة فالخيانة لوم وفي وجه الديانة كلوم ومن الشريعة التي لا يعذر بجهلها أداء الأمانات إلى أهلها وحافظوا على الحشمة والصيانة ولا تجزوا من أقرضكم دين الخيانة ولا توجدوا للغدر قبولا ولا تقروا عليه طبعا مجبولا وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ولا تستأثروا بكنز ولا خزن ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سهل ولا حزن ولا تبخسوا الناس أشياءهم في كيل أو وزن والله الله أن تعينوا في سفك الدماء ولو بالإشارة أو الكلام أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام واعلموا أن الإنسان في فسحة ممتدة.

وسبل الله تعالى غير منسدة مالم ينبذ إلى الله تعالى بأمانه ويمس الدم الحرام بيد أو لسانه قال الله تعالى في كتابه الذى هدى به سننا قويما وجلى من الجهل والضلال ليلا بهيما ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ (النساء:٩٣) واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه وامتد في سبيل السعادة باعه لو لم تتلق نور الله الذى لم يهد شعاعه فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ولا عدم إقناعه ومن غلبت غرائز جهله فلينظر هل يجب أن يزنى بأهله والله قد أعد

للزاني عذابا وبيلا وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ (الإسراء:٣٢) والخمر أم الكبائر ومفتاح الجرائم والجرائر واللهو لم يجعله الله في الحياة شرطا والمحرم قد أغنى عنه بالحلال الذى سوغ وأعطى وقد تركها في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد ولا لنفوسهم بالمضرة في مرضاة الأجساد والله تعالى قد جعلها رجسا محرما على العباد وقرنها بالأنصاب والأزلام في مباينة السداد ولا تقربوا الربا فإنه من مناهي الدين والله تعالى يقول: ﴿... وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ (البقرة:٢٧٨)، وقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ... ﴿٢٧٩﴾﴾ (البقرة:٢٧٩) في الكتاب المبين ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه وانزعوا الطعم عن ذلك حتى تذهب ريحه والتمسوا الحلال يسعى فيه أحدكم على قدمه ولا يكل خياره إلا الثقة من خدمه ولا تلجئوا إلى المتشابه إلا عند عدمه فهو في السلوك إلى الله تعالى أصل مشروط والمحافظ عليه مغبوط وإياكم والظلم فالظالم ممقوت بكل لسان مجاهر الله تعالى بصريح العصيان: (والظلم ظلمات يوم القيامة) كما ورد في الصحاح الحسان والنميمة فساد وشتات لايبقى عليه متات وفي الحديث لا يدخل الجنة قتات واطرحوا الحسد فما ساد حسود وإياكم والغيبة فباب الخير معها مسدود والبخل فما رئى البخيل وهو مودود وإياكم وما يعتذر منه فمواقع الخزى لا تستقال عثراتها ومظنات الفضائح لا تؤمن غمراتها وتفقدوا أنفسكم مع الساعات وأفشوا السلام في الطرقات والجماعات ورقوا على ذوي الزمانات والعاهات وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم في البضاعات وعولوا عليه وحده في الشدائد واذكروا المساكين إذا نصبتم الموائد وتقربوا إليه باليسير من ماله واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله وارعوا حقوق الجار واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار وتعاهدوا أولي الأرحام والوشائج البادية الالتحام واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر وتفسد السر والجهر والرشا فإنها تحط الأقدار وتستدعي المذلة والصغار ولا تسامحوا في لعبة قمر ولا تشاركوا أهل البطالة في أمر وصونوا المواعيد من الإخلاف والأيمان من حنث الأوغاد والأجلاف وحقوق الله تعالى من الازدراء والاعتساف ولا تلهجوا بالآمال العجاف ولا تكلفوا بالكهانة والارجاف واجعلوا العمر بين معاش ومعاد وخصوصية وابتعاد واعلموا أن الله سبحانه بالمرصاد وأن الخلق بين زرع وحصاد وأقلوا بغير الحالة الباقية الهموم واحذروا القواطع عن السعادة كما تحذر السموم

واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محال أن يدوم وقابلوا بالصبر أذية المؤذين ولا تعارضوا مقالات الظالمين فالله لمن بغي عليه خير الناصرين ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت ولا تضجوا للأمراض إذا أعضلت فكل منقرض حقير وكل منقض وإن طال قصير وانتظروا الفرج وانتشقوا من جناب الله تعالى الأرج وأوسعوا بالرجاء الجوانح واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى فطوبى لعبد إليه جانح وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء والجئوا إليه في البأساء والضراء وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذي يقيد به الشارد ويعذب الوارد وأسهموا منها للمساكين وأفضلوا عليهم وعينوا الحظوظ منها لديهم فمن الآثار يا عائشة أحسنى جوار نعم الله فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم ولا تطغوا في النعم وتقصروا عن شكرها وتغلبكم الجهالة بسكرها وتتوهموا أن سعيكم جلبها وجدكم حلبها فالله خير الرازقين والعاقبة للمتقين ولا فعل إلا الله إذا نظر بعين اليقين والله الله لا تنسوا الفضل بينكم ولا تذهبوا بذهابه زينكم وليلتزم كل منكم لأخيه ما يشتد به تواخيه بما أمكنه من إخلاص وبر ومراعاة في علانية وسر وللإنسان مزية لا تجهل وحق لا يهمل وأظهروا التعاضد والتناصر وصلوا التعاهد والتزاور ترغموا بذلك الأعداء وتستكثروا الأوداء ولا تتنافسوا في الحظوظ السخيفة ولا تتهارشوا تهارش السباع على الجيفة واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان فإذا أسديتم معروفا فلا تذكروه وإذا برز قبيح فاستروه وإذا أعظم النساء أمرا فاحقروه والله الله لا تنسوا مقارضة سجلي وبروا أهل مودتي من أجلي ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد الذي لا يصلح لغير الجهاد فلا يستهلكه أجمع في العقار فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار وساعيا لنفسه إن تغلب العدو على بلده في الافتضاح والافتقار ومعوقا عن الانتقال أمام النوب الثقال وإذا كان رزق العبد على المولى فالإجمال في الطلب أولى وازهدوا جهدكم في مصاحبة أهل الدنيا فخيرها لا يقوم بشرها ونفعها لا يقوم بضرها وأعقاب من تقدم شاهدة والتواريخ لهذه الدعوى عاضدة ومن بلى بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال والتقلل من المال وليحذر معاداة الرجال ومزلات الإدلال وفساد الخيال ومداخلة العيال وإفشاء السر وسكر الاغترار فإنه دأب الغر وليصن الديانة ويؤثر الصمت ويلازم الأمانة ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما إلى الحق وليقف في التماس أسباب الجلال دون الكمال غير النقصان والزعازع تسالم اللدن اللطيف من الأغصان وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلابا واستظهارا على الخطوب وغلابا فذلك

ضرر بالمروءات والأقدار داع إلى الفضيحة والعار ومن امتحن بها منكم اختيارا أو جبر عليه إكراها وإيثارا فليتلق وظائفها بسعة صدره ويبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره فالولايات فتنة ومحنة وأسر وإحنة وهى بين إخطاء سعادة وإخلال بعبادة وتوقع عزل وإدالة بإزاء بيع جد بهزل ومزلة قدم واستتباع ندم ومآل العمر كله موت ومعاد واقتراب من الله وابتعاد جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه وممن لاينقطع بسببه عمل أبيه هذه أسعدكم الله وصيتي التي أصدرتها وتجارتي التى لربحكم أدرتها فتلقوها بالقبول لنصحها والاهتداء بضوء صبحها وبقدر ما أمضيتم من فروعها واستغشيتم من دروعها اقتنيتم من المناقب الفاخرة وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة وبقدر ما أضعتم لآلئها النفيسة القيم استكثرتم من بواعث الندم ومهما سئمتم إطالتها واستغزرتم مقالتها فاعلموا أن تقوىالله فذلكة الحساب وضابط هذا الباب كان الله خليفتي عليكم في كل حال فالدنيا مناخ ارتحال وتأميل الإقامة فرض محال فالموعد للالتقاء دار البقاء جعل الله من وراء خطته النجاة ونفق بضائعها المزجاة بلطائفه المرتجاة والسلام عليكم من حبيبكم المودع والله سبحانه يلئمه حيث شاء من شمل متصدع والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته(١٠٠).

وصية موسى بن سعيد العنسي لابنه:

قال أبو الحسن على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي: لما أردت النهوض من ثغر الإسكندرية إلى القاهرة أول وصولي إلى الإسكندرية رأى أبى أن يكتب لي وصية أجعلها إماما في الغربة فبقى فيها أياما إلى أن كتبتها عنه وهي هذه

أودعك الرحمن في غربتك مرتقبا رحماه في أوبتك(١٠١)

وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما سنة ٢٠٦هـ:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر إليه وموقوف عليه ومسئول عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه فإن الله قد

---

(١٠٠) جمهرة خطب العرب (٣/ ٢٠١)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٧/ ٤٠٥).

(١٠١) نفح الطيب (٢/ ٣٥٣).

أحسن إليك وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده وألزمك العدل عليهم والقيام بحقه وحدوده فيهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم وبيضتهم والحقن لدمائهم والأمن لسبيلهم وإدخال الراحة عليهم في معايشهم ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك وموقفك عليه ومسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك ولا يذهلك عنه ذاهل ولا يشغلك عنه شاغل فإنه رأس أمرك وملاك شأنك وأول مايوفقك الله به لرشدك وليكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب إليه فعالك المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها في إسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله فيها وترتل في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصدق فيها لربك نيتك واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وادأب عليها فإنها كما قال الله تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله والمثابرة على خلائقه واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه ولزوم ما أنزل الله في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه وائتمام ما جاءت به الاثار عن النبي ثم قم فيه بما يحق لله عليك. ولا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد وآثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله والعاملين به فإن أفضل ما تزين به المرء الفقه في دين الله والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به إلى الله فإنه الدليل على الخير كله والقائد له والآمر به والناهى عن المعاصي والموبقات كلها وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله ﷻ وإجلالا له ودركا للدرجات العلا في المعاد مع مافى ظهوره للناس من التوقير لأمرك والهيبة لسلطانك والأنسة بك والثقة بعدلك وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها فليس شيء أبين نفعا ولا أحضر أمنا ولا أجمع فضلا من القصد والقصد داعية إلى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد إلى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد فآثره في دنياك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد فلا غاية للاستكثار من البر والسعى له إذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ومرافقة أوليائه في دار كرامته واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب وإنك لن تحوط نفسك ومن يليك ولا تستصلح أمورك بأفضل منه فأته واهتد به تتم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك وأحسن الظن بالله ﷻ تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهمن أحدا من

الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره فإن إيقاع التهم بالبرآء والظنون السيئة بهم مأثم واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعينك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مفخرا فإنه إنما يكتفي بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغصك لذاذة عيشك واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكفى به ما أحببت كفايته من أمورك وتدعو به الناس إلى محبتك والاستقامة في الأمور كلها لك ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك والمباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها بل لتكن المباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية والنظر في حوائجهم وحمل مئوناتهم اثر عندك مما سوى ذلك فإنه أقوم للدين وأحيا للسنة وأخلص نيتك في جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسئول عما صنع ومجزى بما أحسن ومأخذو بما أساء فإن الله جعل الدين حرزا وعزا ورفع من اتبعه وعززه فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فإن في تفريطك في ذلك لما يفسد عليك حسن ظنك واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب الشبه والبدعات يسلم لك دينك وتقم لك مروءتك وإذا عاهدت عهدا فف به وإذا وعدت الخير فأنجزه واقبل الحسنة وادفع بها وأغمض عن عيب كل ذى عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وأبغض أهله وأقص أهل النميمة فإن أول فساد أمرك في عاجل الأمور وآجلها تقريب الكذوب والجرأة على الكذب لأن الكذب رأس المآثم والزور والنميمة خاتمتها لأن النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم لمطيعها أمر وأحب أهل الصدق والصلاح وأعز الأشراف بالحق وواصل الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله وعزة أمره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الأهواء والجور واصرف عنهما رأيك وأظهر براءتك من ذلك لرعيتك وأنعم بالعدل في سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهى بك إلى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم وإياك والحدة والطيش والغروز فيما أنت بسبيله وإياك أن تقول إنى مسلط أفعل ما أشاء فإن ذلك سريع بك إلى نقص الرأي وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له وأخلص لله النية فيه واليقين به واعلم أن الملك لله يعطيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة إلى أحد أسرع منه إلى حملة النعمة من

أصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة إذا كفروا بنعم الله وإحسانه واستطالوا بما آتاهم الله من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لأمورهم والحفظ لدهمائهم والإغاثة لملهوفهم واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تثمر وإذا كانت في إصلاح الرعية وإعطاء حقوقهم وكف المئونة عنهم نمت وربت وصلحت به العامة وتزينت به الولاة وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف رعيتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعايشهم فإنك إذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر وكان الجمع لما شملهم من عدلك وإحسانك أساس لطاعتهم وأطيب نفسا لكل ما أردت فاجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ولتعظم حسبتك فيه فإنما يبقى من المال ما أنفق في سبيل حقه واعرف للشاكرين شكرهم وأثبهم عليه وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الاخرة فتتهاون بما يحق عليك فإن التهاون يوجب التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله وفيه تبارك وتعالى وارج الثواب فإن الله قد أسبغ عليك نعمته في الدنيا وأظهر لديك فضله فاعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا وإحسانا فإن الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين وقضى الحق فيما حمل من النعم وألبس من العافية والكرامة ولا تحقرن ذنبا ولا تمالئن حاسدا ولا ترحمن فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تداهنن عدوا ولا تصدقن نماما ولا تأمنن غدارا ولا توالين فاسقا ولاتتبعن غاويا ولا تحمدن مرائيا ولاتحقرن إنسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تجيبن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تخلفن وعدا ولا تزهون فخرا ولا تظهرن غضبا ولا تأتين بذخا ولا تمشين مرحا ولا تركبن سفها ولا تفرطن في طلب الإخرة ولا ترفع للنمام عينا ولا تغمضن عن الظالم رهبة منه أو مخافة ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأى والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الدقة والبخل ولا تسمعن لهم قولا فإن ضررهم أكثر من منفعتهم وليس شيء أسرع فسادا لما استقبلت في أمر رعيتك من الشح واعلم أنك إذا كنت حريصا كنت كثير الأخذ قليل العطية وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا فإن رعيتك إنما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عنهم ويدوم صفاء أوليائك

لك بالإفضال عليهم وحسن العطية لهم فاجتنب الشح واعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه وأن العاصي بمنزلة خزي وهو قول الله ﷻ : ﴿...وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝﴾ (الحشر:٩) فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظا ونصيبا وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد فأعدده لنفسك خلقا وارض به عملا ومذهبا وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم وأدرر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم في معايشهم ليذهب بذلك الله فاقتهم ويقوم لك أمرهم ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصا وانشراحا وحسب ذي سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وحيطته وإنصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فزايل مكروه أحد البابين باستشعار تكملة الباب الآخر ولزوم العمل به تلق إن شاء الله نجاحا وصلاحا وفلاحا واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الأمور لأنه ميزان الله الذي يعتدل عليه الأحوال في الأرض وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية وتأمن السبل وينتصف المظلوم ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجري السنن والشرائع وعلى مجاريها يتنجز الحق والعدل في القضاء واشتد في أمر الله وتورع عن النطف وامض لإقامة الحدود وأقلل العجلة وابعد من الضجر والقلق واقنع بالقسم ولتسكن ريحك ويقر جدك وانتفع بتجربتك وانتبه في صمتك واسدد في منطقك وأنصف الخصم وقف عند الشبهة وأبلغ في الحجة ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا محاماة ولا لوم لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر وتدبر وتفكر واعتبر وتواضع لربك وارأف بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن إلى سفك دم فإن الدماء من الله بمكان عظيم انتهاكا له بغير حقها وانظر هذا الخراج الذي قد استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا ورفعة ولأهله سعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتا وغيظا ولأهل الكفر من معاديهم ذلا وصغارا فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ولا ترفعن منه شيئا عن شريف لشرفه ولا عن غني لغناه ولا عن كاتب لك ولا أحد من خاصتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلفن أمرا فيه شطط واحمل الناس كلهم على مر الحق فإن ذلك أجمع لألفتهم وألزم لرضا العامة واعلم أنك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وإنما سمى أهل عملك رعيتك لأنك راعيهم وقيمهم تأخذ منها ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم وتنفقه في قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم فاستعمل

عليهم في كور عملك ذوي الرأي والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف ووسع عليهم في الرزق فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند إليك ولا يشغلنك عنه شاغل ولا يصرفنك عنه صارف فإنك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الأحدوثة في عملك واحترزت النصحة من رعيتك وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب في كورك فكثر خراجك وتوفرت أموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وإرضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضى العدل في ذلك عند عدوك وكنت في أمورك كلها ذا عدل وقوة وآلة وعدة فنافس في هذا ولا تقدم عليه شيئا تحمد مغبة أمرك إن شاء الله واجعل في كل كورة من عملك أمينا يخبرك أخبار عمالك ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله معاين لأمره كله وإن أردت أن تأمره بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك فإن رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصنع فأمضه وإلا فتوقف عنه وراجع أهل البصر والعلم ثم خذ فيه عدته فإنه ربما نظر الرجل في أمر من أمره قد واتاه على ما يهوى فقواه ذلك وأعجبه وإن لم ينظر في عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد عون الله بالقوة وأكثر استخارة ربك في جميع أمورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك وأكثر مباشرته بنفسك فإن لغد أمورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى أخرت واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه فإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين فشغلك ذلك حتى تعرض عنه فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك وأحكمت أمور سلطانك وانظر أحرار الناس وذوي الشرف منهم ثم استيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك فاستخلصهم وأحسن إليهم وتعاهد أهل البيوتات ممن دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مئونتهم وأصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مسا وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فاسأل عنه أحفى مسألة ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم وتعاهد ذوي البأساء ويتاماهم وأراملهم واجعل لهم أرزاقا من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين أعزه الله في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة وأجر للأضراء من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين

لأكثره في الجراية على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دورا تؤويهم وقواما يرفقون بهم وأطباء يعالجون أسقامهم وأسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك إلى سرف في بيت المال واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم طمعا في نيل الزيادة وفضل الرفق منهم وربما برم المتصفح لأمور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل فكره وذهنه منها ما يناله به مؤنة ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن أموره في العاجل وفضل ثواب الآجل كالذى يستقبل مايقربه إلى الله ويلتمس رحمته به وأكثر الإذن للناس عليك وأبرز لهم وجهك وسكن لهم أحراسك واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشرك ولن لهم في المسألة والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك وإذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس والتمس الصنيعة والأجر غير مكدر ولا منان فإن العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأمم البائدة ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله واعرف ما تجمع عمالك من الأموال وما ينفقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق إسرافا وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها وإيثار مكارم الأمور ومعاليها وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيبا فيك لم يمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سر وإعلامك ما فيه من النقص فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك لك وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك وأمر كورك ورعيتك ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر إليه والتدبير له فما كان موافقا للحزم والحق فأمضه واستخر الله فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه إلى التثبيت فيه والمسألة عنه ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم ولا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ولا تضعن المعروف إلا على ذلك وتفهم كتابي إليك وأكثر النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك واستخره فإن الله مع الصلاح وأهله وليكن أعظم سيرتك وأفضل رعيتك ما كان لله رضا ولدينه نظاما ولأهله عزا وتمكينا وللذمة والملة عدلا وصلاحا وأنا أسأل الله أن يصلح عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك

حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيبا وأوفرهم حظا وأسناهم ذكرا وأمرا وأن يهلك عدوك ومن ناوأك وبغى عليك ويرزقك من رعيتك العافية ويحجز الشيطان عنك ووساوسه حتى يستعلى أمرك بالعز والقوة والتوفيق إنه قريب مجيب وكروا أن طاهرا لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه وشاع أمره حتى بلغ المأمون فدعا به وقرئ عليه فقال ما بقى أبو الطيب يعنى طاهرا شيئا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحى الأعمال[١٠٢].

وصية عبد الملك بن صالح ابنه وهو أمير سرية:

قال له:أنت تاجر الله لعباده فكن كالمضارب الكيس الذى إن وجد ربحا تجر وإلا احتفظ برأس المال ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة وكن من احتيالك على عدوك أشد خوفا من احتيال عدوك عليك[١٠٣].

أوصى قيس بن عاصم المنقري بنيه:

فقال: يا بني خذوا عني فلا أحد أصلح لكم مني إذا دفنتموني فانصرفوا إلى رحالكم فسودوا أكبركم فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم وإذا سودوا أصغرهم أزرى ذلك بهم في أكفائهم وإياكم ومعصية الله وقطيعة الرحم وتمسكوا بطاعة أمرائكم فإنهم من رفعوا ارتفع ومن وضعوا اتضع وعليكم بهذا المال فأصلحوه فإنه منبهة للكريم وجنة لعرض اللئيم وإياكم والمسألة فإنها أخر كسب الرجل وإن أحدا لم يسأل إلا ترك الكسب وإياكم والنياحة فإني سمعت رسول الله ينهى عنها وادفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم ولا يعلم بكر بن وائل بمدفني فقد كانت بيني وبينهم مشاحنات في الجاهلية والإسلام وأخاف أن يدخلوا عليكم بي عارا وخذوا عني ثلاث خصال إياكم وكل عرق لئيم أن تلابسوه فإنه إن يسرركم اليوم يسؤكم غدا واكظموا الغيظ واحذروا بني أعداء آبائكم فإنهم على منهاج آبائهم ثم قال:

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا   فلن تبيد وللآباء أبناء[١٠٤]

(١٠٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٦١).

(١٠٣) البيان والتبيين (١/ ٢٦٨).

(١٠٤) جمهرة خطب العرب (١/ ١٧٢).

وأوصى عمرو بن الغوث بن طيء ولده:

وهم: ثعل، ونبهان، وبنوهم؛ وكان عمرو قد عاش حتى كبر ولده، فقال: "يا بني، إنكم قد حللتم محلاً تخرجون منه ولا يدخل عليكم فيه، فارعوا مرعى الضبّ الأعور، يرى جحره، ويعرف قدره، ولا تكونوا كالجراد، يأكل ما وجد ويأكله ما وجده؛ وإيّاكم والبغي، فإن الله إذا أراد هلاك النملة جعل لها جناحين؛ يا بني، لا تستحيوا من منع من لا يستحي من المسألة، وكلوا من الكعام وأطعموه، ولا يستحي أحدكم أن يفعل شيئا ينتفع به إذا لم يعرف، فإنه إنما يستحي حينئذ لغيره، وابدءوا الناس بالشر فإنه أشكر لخيركم وإن كان قليلا، ولا تمنعكم الكثرة أن تربعوا على أقداركم، والله يحوطكم".

قالوا: وأوصى قيس بن معد يكرب ولده، فقال: (باسمك اللهم، احفظوا أدبي يكفكم، واتّبعوا وصاتي تلحقوا بصالح قومكم ويستعل أمركم، إنّي أكلكم إلى أدبي، وإن المعنيّ بكم لغائب "يعني نفسه"، الزموا ما يجمل، واقنوا حياءكم، وأطيعوا ذوي رأيكم، وأجلوا ذوي أسنانكم، ولا تعطوا الدنيّة، وإن كان الصبر على خطة الضيم أبقي لكم، وتناصروا تكونوا حمى، وإذا نزلتم على قومكم فلتكن محلّتكم واحدة، واهدروا الحسد يقطع عنكم النائرة، ودعوا المكافأة بالشر يحببكم الناس، وعفوا عن الدناءة وأكرموا أهل الكفاءة، ولا تواكلوا الترافد والرياسة فيحلّ عطبكم، واتخذوا لأسراركم من علانيتكم حجابا، ولا تدبروا أعجاز ما قد أدبرت صدوره، ولا تقيّلوا الرأي بالظن فيبدع بكم، والزموا الأناة يفز قدحكم، وأطيلوا الصمت إلا فيما يعنيكم، ولا تأخذوا ختلا، وخذوا صراحا، فهناك عزّ القرار، ومنعة الجار، واظعنوا في الأرض تبلغوا مأمنكم، ولا تعرضوا لنمائم النساء، وإياكم والغدر فإنه أحلني دار الغربة، واعتبروا).

قالوا: وجمع أود بن صعب بن سعد بنيه، فقال: "يا بني، أخيفوا الناس ولا تخافوهم، واستخبروهم، ولا تخبروهم، وبئس موضع السر المرأة، وكونوا من الموتورين على حذر، وإذا دفعتم عن حقكم فاطلبوا أكثر منه، وإذا بخع لكم فاقتصروا عليه".

قالوا: وأوصى عبقر بن أنمار البجليّ فقال: "يا بني، إذا غدوتم فبكّروا، وإذا رجتم فهجّروا، وإذا أكلتم فاوتروا، وإذا شربتم فانبروا، وأبيحوا ما يؤكل فإن منعه الأمُ اللؤم".

قال أبو حاتم: "النبز الهمز، وإنما شّبهه بالصوت الذي تسمعه من الحلق إذا جرى الماء فيه".

قالوا: وجمع صعب بن سعد بنيه عند موته، فقال: "يا بني، أوسعوا الحبا، وجلُّوا الربا، وكونوا أسى تكونوا حمى".

"قال أبو حاتم، يقول، إذا احتبى أحدكم فليوسع الحبوة ولا ينقبض، أراد لتعظم همة أحدكم ولا تصغر؛ وقوله، وحلوا الربا، يعني، انزلوا المرتفعات من الأرض لترى نيرانكم فتقصدكم الأضياف، وقوله، وكونوا أسى، أي لتكن كلمتكم واحدة، وهو من الأسوة، أي لا تختلفوا، فيطمع فيكم أعداؤكم، ولكن، كونوا أسوة، بعضكم بعضا، تكونوا حمى، أي حرزا، لا يطمع فيكم".

قالوا: وأوصى مالك بن عمرو الكلبيّ فقال: "يا بنيّ، عليكم بتقوى الله، وصلة الرَّحم، وأداء الأمانة، ورعاية الحق، والوفاء بالعهد، وإياكم ومعصية الله وقطيعة الرحم، فإنه لا يسلم على الضغائن الكبير، ولا يصلح عليها الصغير، وصونوا أنفسكم بالدَّعة وبذل المعروف، وكفُّوها عن سوء الرَّعة في الأمور، وإن أقبح ذلك ما كان في المطمع؛ واهجروا البغي فإنه مثبور، وتجنّبوا العجب فإنه ممقتة، ولا تقصروا عن طاعة أمرائكم، ولا توجهوا الأمور دونهم، فإنهم إن يشاركوكم فيها يكمل رأيكم، والتمسوا المحامد في مظانِّها، ولا يمنعكم من طلب المعاش اليأس، فإن أبوابه أكثر من أن يبلغها الظانُّ، استكثروا من الإبل يكثر تبعكم، ولا تضيعوا رباطكم فيهدم حصنكم، وإذا لقيتم العدو فاصبروا، فإن في الصبر النجاة والدَّرك للتراث، وألزموا النساء البيوت، وخافوهنّ على أسراركم، واجتمعوا ولا تفرقوا، واحذروا الغدر فإنه نقمة، وليحيكم ربُّكم".

قالوا: وأوصى جابر بن مالك الكلبي بنيه وقومه، فقال: "يا معشر العمائر المنتظرة للفناء والمنقطعة من الأصل، أوصيكم برهبة الله، وصلة الرحم، والفظ للعهد، والمباعدة لأهل الغدر وأهل الذكر للمعاير، وعليكم باحياء المناقب، وقد ترون المنايا تتبعها الرزايا، ولا تواكلوا النصر فتنكبوا، ولا تخاذلوا فتذلّوا، واجهدوا أبدانكم اليوم لراحتّها غدا، ولا تكنوها بالدَّعة فتحسر عند الاجتهاد، ولا تختلفوا فيخسُر كيدكم، واحجبوا الكرائم، وتجنبوا الملاوم،

وكلُّ ما يعتذر منه خطيئة، ولتطب أنفسكم عن الدنيا، وبالصبر تدفع العظائم، ليحيكم المديل للأمم".

قالوا: وأوصى هبيرة بن صخر الكلبيّ، ثم الغامديّ، فقال: "يا بنيّ ويا عشيرتاه، أوصيكم بتقوى الله والصبر على المضض، ففيه الفوز، لا فوز القسيّ، حافظوا على الحرم، فإن الهلاك في الغفلة عنها، والفشل في التخاذل، غيظوا العدو بإظهار السرور وإبداع الأمور، واذكروا المجامع والمواسم بأمن سريكم، فإن المحافظة أمن، وإنما المعسكر لمن صبر، وليحيّكم ربكم".

قالوا: وأوصى الأحوص الكلبي ثم من بني عبدودٌ، فقال: "يا عشيرتاه، إن الرأي الرأي اليوم، أوصيكم بشكر ذي النعمة، والغيرة على الحرم، والتمسك بالحسب، ولا ترضوا بالدنّية، ففيها البليّة وضياع العلم، وذهاب المهج، الموت في الغدر خير من الحياة في القسر، والفرج مع الصبر، وليحيّكم ربكم".

قالوا: وأوصى عمرو بن يزيد الكلبيّ بنيه، فقال: "أوصيكم بتقوى الله، وبرّ الرحم، والحفظ للعيال، والإحراز للحرم، ولا تحاسدوا فتذلّوا، ولا تواكلوا فتفشلوا، تعاطفوا يصلب عودكم، وتقاربوا، وتحابّوا يظهر حزمكم، وأقلّوا المنطق ترهبوا، وتساخوا الفعال، وأميتوا الضغائن تحمدوا العواقب، واستعينوا على محاربة عدوكم بذكر المعاير، والهرب منها كرم، والتخوف لها جهاد، أزيلوا عنكم نيّة البغي، وألزموا قلوبكم الإنصاف وعزيمة العفو تنصروا، ولتكن أعلامكم ذوي الرأس منكم، وأنزلوهم منزلة الآباء في التقليد والإنفاذ لأمرهم، فإن أعظم مصائب القوم خلاف الشّفيق المصيب، وطاعة المصيب ظفر، واتباعه يمن، وإذا حاربتم قوما فأطيلوا مواقفتهم، وتأمّلوا فيهم الفرصة، وإن أمكنكم البيات ففيه الظفر بعدوكم، وإن منحوكم أكتافهم فوسّعوا عليهم المسرب، ونهنهوا عن لجم المذاكي، وعند تلك فأحبوا فراقهم، فإن العافية لمن اعتصم بها، ليرعكم ربُّكم".

قالوا: وأوصى زهير بن جناب فقال: "يا بنيّ، قد كبرت سنّي، وبلغت حرسا" يعني دهرا من عمري "وأحكمتني التجارب، والأمور تجربة واختبار، فاحفظوا عني ما أقول، وعوه إياكم والخور عند المصائب، والتواكل عند النوائب، فإن ذلك داعية للغمّ، وشماتة لعدو، وسوء الظنّ بالربّ، وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترّين، ولها آمنين، ومنها ساخرين، فإنه والله ما سخر امرؤ قط إلا ابتلى، ولكن استعفوا منها، وتوقّعوها؛ فإنما الإنسان في الدنيا غرض، تعاوره الرماة، فمقصّر دونه، ومجاوز لموضعه، وواقع عن يمينه وشماله، ثم لابدّ أنه مصيبه".

قالوا: وأوصى رياح بن ربيعة بنيه عند موته فقال: " يا بنيّ، سوّدوا أعقلكم، فإن أمير القوم إذا لم يكن عاقلا كان آفة لمن دونه، وجودوا على قومكم، وإياكم والبخل، فإنه داء، ونعم الدواء السخاء، والتغافل فعل الكرام، والصمت جماع الحلم، والصدق في بعض المواطن عجز، واستعينوا على من لا تقوون عليه بالجموع، واعلموا أن سيّد القوم أشقاهم، وإياكم والمنّ، فإنه مهدمة للصنيعة " .

قالوا: وأوصى الأفوه الأوديّ فقال: "عليكم بتقوى الله وصلة الرحم، وحسن التعزّي عن الدنيا بالصبر، والنظر فيما حزبكم لما بعده تفلحوا، وتفقّدوا حالاتكم بالمعرفة لحقوق أعلامكم فإنهم بكم عزّوا، وأنتم بهم أعزّ منكم بغيرهم، كونوا من الفتن على حذر، ولا تأمنوا على أحسابكم السفهاء، ولا تشركوهم في سرّكم، فإنهم كالضأن في رعيتها، كلامهم ذعر، وفعلهم عسر، لا يستحيون من دناءة، ولا يراقبون محرما، ولا يغضبنّ منكم امرؤ لسفيه على ابن عمه وإن وزعه، ولا تطمئنوا إلى أجسامهم، واستوحشوا من عقولهم، ولا تثقوا بناحيتهم، وإن حاربتم فاتخذوهم حشوا فيما بينكم، فإن النظر قبل اللقاء حزم، ولا حزم بعد الندامة، فإذا اقتادكم امرؤ فوقّروه بالإجلال والمناصحة تبلغوا بذلك من العدو، وتنالوا به المحامد، فإن لغد أمرا، والأيام دُوَل، فتأهّبوا، وتصنّعوا لحلولها ثم قال: أما بعد، فإن التجربة علم، والأدب عون، والكفّ عن ذلك مضرّة، وليكن جلساؤكم أهل المروءة والطلب لها، وإياكم ومجالسة الأشرار، فإنها تعقب الضغائن، والرفض لهم من أسباب الخير، والحلم محجزة عن الغيظ، والفحش من العيّ، والغيّ مهدمة للبناء "يعني المعالي" ، ومن خير ما ظفرت به الرجال اللسان الحسن " اللسان ههنا الثناء" قال الله ﷻ: ﴿...لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ (الشعراء:٨٤).

وفي ترك المراء راحة للبدن، فلينظر كل رجل منكم إلى جهته، فإن العجب كبر، والكبر قائد إلى البغض، واشنأوا البغي، فإنه المرعى الوخيم، واستصلحوا الخلل، وتحاموا الذُلّ، اللهم عليك بأهل الحسد للنعم " .

. وقال الأفوه:

لنا معاشر لن يبنوا لقومهم ... وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا

لا يرعوون ولن يرعوا لمرشدهم ... والغيُّ منهم معا والجهل ميعاد

كانوا كمثل لقيم في عشيرتهم إذ أهلكت بالّذي قدّموا عاد
أو بعده كقدار حين طاوعه على الغواية أقوام فقد بادوا
والبيت لا يبتني إلاّ له عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
فإن تجمّع أقوام ذوو حسب تصطاد أمرهم، فارُشد مصطاد
لا يصلح النّاس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّالهم سادوا
إذا تولّى سراة القوم أمرهم نما على ذاك أمر القوم وازدادوا
تهدي الأمور بأهل الرّأي ما صلحت فإن تولّت فبالأشرار تنقاد
أمارة الغيّ أن تلقي الجميع لدى ال إبرام للأمر للأذناب ينقاد
كيف الرّشاد إذا ما كنت في نفر لهم عن الرُّشد أغلال وأقياد
أعطوا غواتهم جهلا مقادَتهم فكلهم في حبال الغيّ منقاد
أخف الرَّحيل إلى قوم وإن بعدوا فيهم صلاح لمرتاد وإرشاد
فسوف أجعل بعد الأرض دونكم وإن دنت رحم منكم وميلاد
إنَّ النَّجاة إذا ما كنت ذا بصر مراجع الغيّ أبعاد فأبعاد
والخير تزداد منه ما بقيت به والشرُّ يكفيك منه قلّ ما زاد[105]

وصية قيس بن عاصم المنقريّ بنيه، قال: "أوصيكم بتقوى الله ﷻ، وسوِّدوا أكبركم، فإن القوم إذا سوَّدوا أكبرهم لم يفقدوا أباهم، وضعوا كرائمكم في أعقابكم، وتزوّجوا في مثل ذلك، فإنكم إذا فعلتم مثل ذلك خلفتم أباكم، وعليكم بطلب المال واصطناعه، فإن المال منبهة للكريم، ويستغنى به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الرجال، فإنها آخر كسب المرء، ولا يعلمنّ بمدفني بكر بن وائل، فإني كنت أغاورهم في الجاهلية، وكانت بيني وبينهم خماشات، فأخاف أن يفتنوكم في دينكم، أو يدخلوا عليكم غضاضة، ولا تنوحوا عليّ، فإن رسول الله ﷺ لم ينح عليه"[106].

قالوا: وأوصى عوف بن كنانة الكلبيّ بنيه، فقال: "يا بنيّ، احفظوا وصيتي، فإنها أنصح الجبلة لكم، وإن أنتم حفظتموها سدتم قومكم بعدي،

(١٠٥) المعمرون والوصايا (٣٩ـ٤١).
(١٠٦) المعمرون والوصايا (صـ٤٢).

إلهكم فاتقّوه، ولا تخونوا، ولا تستثيروا السباع في مرابضها فتندموا، وجازوا الناس بالكف عن مساوئهم تسلموا، ونصحّوا وخفوا عند نائبتهم، ولا تستبطئو في حق، والزموا الصمت إلا من حق تحمدوا، وابذلو التحية تسلم لكم الصدور، ولا تظانّو بالمنافع فتباغضو، واستتروا من العامّة تجلّوا، ولا تكثرو مجالس الناس فيستخف بكم، ولا تزايلوهم فتعادوا، وإن نزلت معضلة فاصبروا، وألبسوا الهر أثوابه، فإن لسان الصدق مع المسكنة خير من لسان السوء مع الميسرة، وذلّو لمن ذلّ لكم فإن أقرب الوسائل المودّة، ولا تعلموا الناس أقتاركم فتهونوا عليهم، ويجمّلوا تتجبوا، وإياكم والعزبة فإنها ذلّة، ولا تضعوا الكرائم إلا عند الأكفاء، وابتغوا لأنفسكم المعالي، ولا يخلجنكم جمال النساء عن صراحة النسب، فإن مناكحة الكرام مدارج الشرف، واخضعوا لقومكم، ولا تبغوا عليهم، ولا تخالفوهم فيما اجتمعوا عليه، فإن الخلاف يزري بالرئيس المطاع، وليكن معروفكم بعدهم في غيرهم، ولا توحشوا أفنيتكم من أهلها، فإن إيحاشها إخماد الناس ودفع الحقوق، وأذكوا النار، وأحيوا الحقوق، ولا تبذلوا الوجوه إلى غير مكرميها فتكلحوها، وتحشوها الدناءة، وتقصروا بها، ولا تحاسدوا فتبوروا.

والتمسوا بالتودد المنازل عند الولاة، فإنهم من وضعوا أفرد، ومن رفعوا أنجد، وابتنوا المباني بالأدب ومصافاة أهل الحبا، وابتاعوا المحبة بالجود، واجتنبوا البخل، ووقروا ذوي الفضيلة، وخذوا عن أهل التجارب، ولا تحتقروا الرجال من غير خبرة؛ وإنما المرء بذكاء قلبه وتعبير لسانه، وإذا خوّفتم داهية فتثبتوا قبل العجلة، ولا يمنعنكم من المعروف صغر قدره، فإن له ثوابا، ولا تعفروا الأقدام إلا لأخطارها، وتنبّلوا تسمُ اليكم الأبصار، وارفضوا النمائم بينكم تسلموا، وكونوا أنجاد عند الملمات تعّوا، واحذروا النجعة التي في المنعة. وأكرموا الجار، وآثروا حق الضيف، وألزموا السفهاء الحلم تقلّ همومكم، وإياكم والحرص فإنه من أسباب المتالف، واتخذوا الزهد جنة تسترح أبدانكم، وإياكم والفرقة فإنها ذلّ، ولا تكلفوا أنفسكم فوق طاقتها فتعجزوا، فلأن تلاموا وبكم قوة خير من أن تعانوا بالعجز، وعليك بالجد فإنّ به يمنع الضيم، وإياكم والتفريط فيه يكون الخلل، ولا أجدبتم أبدا، ولا غلبتم - أو - قال - ولا خذلتم[١٠٧].

(١٠٧) السابق نفسه.

وصية أوس بن حارثة لابنه مالك:

عاش الأوس بن حارثة دهرا وليس له ولد إلا مالك وكان لأخيه الخزرج خمسة عمرو وعوف وجشم والحرث وكعب فلما حضره الموت قال له قومه قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك فلم تزوج حتى حضرك الموت فقال الأوس لم يهلك هالك ترك مثل مالك وإن كان الخزرج ذا عدد وليس لمالك ولد فلعل الذي استخرج العذق من الجريمة والنار من الوثيمة أن يجعل لمالك نسلا ورجالا بسلا يا مالك المنية ولا الدنية والعتاب قبل العقاب والتجلد لا التبلد واعلم ان القبر خير من الفقر وشر شارب المشتف وأقبح طاعم المقتف وذهاب البصر خير من كثير من النظر ومن كرم الكريم الدفاع عن الحريم ومن قل ذل ومن أمر فل وخير الغنى القناعة وشر الفقر الضراعة والدهر يومان فيوم لك و يوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان عليك فاصبر فكلاهما سينحسر فإنما تعز من ترى ويعزك من لا ترى ولو كان الموت يشترى لسلم منه أهل الدنيا ولكن الناس فيه مستوون الشريف الأبلج واللئيم المعلهج والموت المفيت خير من أن يقال لك هبيت وكيف بالسلامة لمن ليست له إقامة وشر من المصيبة سوء الخلف وكل مجموع إلى تلف حياك إلهك[١٠٨].

وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد:

لما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيدا فقال له يا بني إن أباك قد فني وهو حي وعاش حتى سئم العيش وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته فاحفظ عني ألن جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك وابسط لهم وجهك يطيعوك ولا تستأثر عليهم بشئ يسودوك وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم واسمح بمالك واحم حريمك وأعزز جارك وأعن من استعان بك وأكرم ضيفك وأسرع النهضة في الصريخ فإن لك أجلا لا يعدوك وصن وجهك عن مسألة أحد شيئا فبذلك يتم سؤددك[١٠٩].

وصية عمرو بن كلثوم لبنيه:

أوصى عمرو بن كلثوم التغلبي فقال يا بني إني قد بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد من آبائي وأجدادي ولا بد من أمر مقتبل وأن ينزل بي ما نزل بالآباء والأجداد

---

(١٠٨) جمهرة خطب العرب (١/ ١٢٠).

(١٠٩) جمهرة خطب العرب (١/ ١٢٠).

والأمهات والأولاد فاحفظوا عنى ما أوصيكم به إنى والله ما عيرت رجلا قط أمرا إلا عير بى مثله إن حقا فحقا وإن باطلا فباطلا ومن سب سب فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأعراضكم وصلوا أرحامكم تعمر داركم وأكرموا جاركم يحسن ثناؤكم وزوجوا بنات العم بنى العم فإن تعديتم بهن إلى الغرباء فلا تألوا بهن الأكفاء وأبعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال فإنه أغض للبصر وأعف للذكر ومتى كانت المعاينة واللقاء ففي ذلك داء من الأدواء ولا خير فيمن لا يغار لغيره كما يغار لنفسه وقل لمن انتهك حرمة لغيره إلا انتهكت حرمته وامنعوا القريب من ظلم الغريب فإنك تذل على قريبك ولا يحل بك ذل غريبك وإذا تنازعتم فى الدماء فلا يكن حقكم للقاء فرب رجل خير من ألف وود خير من خلف وإذا حدثتم فعوا وإذا حدثتم فأوجزوا فإن مع الإكثار يكون الإهذار وموت عاجل خير من ضني آجل وما بكيت من زمان إلا دهانى بعده زمان وربما شجانى من لم يكن أمره عناني وما عجبت من أحدوثة إلا رأيت بعدها أعجوبة واعلموا أن أشجع القوم العطوف وخير الموت تحت ظلال السيوف ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب ولا فيمن إذا عوتب لم يعتب ومن الناس من لا يرجى خيره ولا يخاف شره فبكؤه خير من دره وعقوقه خير من بره ولا تبرحوا فى حبكم فإنه من برح فى حب آل ذلك إلى قبيح بغض وكم قد زارنى إنسان وزرته فانقلب الدهر بنا فبرته واعلموا أن الحكيم سليم وأن السيف كليم إنى لم أمت ولكن هرمت ودخلتنى ذلة فسكت وضعف قلبى فأهترت سلمكم ربكم وحياكم(١١٠).

وصية الحرث بن كعب لبنيه:

وأوصى الحرث بن كعب بنيه فقال: يا بنى قد أتت على مائة وستون سنة ما صافحت يمينى يمين غادر ولا قنعت لنفسى بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا بحت لصديق بسر ولا طرحت عن مومسة قناعا ولا بقى على دين عيسى بن مريم وروى على دين شعيب من العرب غيري وغير تميم بن مرة وأسد بن خزيمة فموتوا على شريعتى واحفظوا وصيتى وإلهكم فاتقوا يكفكم ما أهمكم ويصلح لكم حالكم وإياكم ومعصيته فيحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شيعا وبزوا قبل أن تبزوا فموت فى عز خير من حياة فى ذل وعجز وكل ما هو كائن كائن وكل جمع إلى تباين والدهر ضربان ضرب بلاء وضرب رخاء واليوم يومان يوم حبرة ويوم عبرة والناس

---

(١١٠) جمهرة خطب العرب (١/ ١٢٢).

رجلان رجل لك ورجل عليك زوجوا النساء الأكفاء وإلا فانتظروا بهن القضاء وليكن أطيب طيبهن الماء وإياكم والورهاء فإنها أدوأ الداء وإن ولدها إلى أفن يكون لا راحة لقاطع القرابة وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم وآفة العدو اختلاف الكلمة والتفضل بالحسنة يقي السيئة والمكافأة بالسيئة دخول فيها وعمل السوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويخرب البلد ويمحق العدد والإسراف فى النصيحة هو الفضيحة والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الرعة يقطع أسباب المنفعة والضغائن تدعو إلى التباين يا بنى إنى قد أكلت مع أقوام وشربت فذهبوا وغبرت وكأنى بهم قد لحقت ثم قال:

أكلت شبابى فأفنيته وأبليت بعد دهور دهورا
ثلاثة أهلين صاحبتهم فبادوا وأصبحت شيخا كبيرا
قليل الطعام عسير القيام قد ترك الدهر خطوى قصيرا
أبيت أراعي نجوم السماء أقلب أمرى بطونا ظهورا[١١١]

وصية دويد بن زيد لبنيه:

لما حضرت دويد بن زيد الوفاة قال لبنيه: أوصيكم بالناس شرا لا ترحموا لهم عبرة ولا تقيلوهم عثرة قصروا الأعنة وطولوا الأسنة واطعنوا شزرا واضربوا هبرا وإذا أردتم المحاجزة. فقبل المناجزة والمرء يعجز لا المحالة بالجد لا بالكد التجلد ولا التبلد والمنية ولا الدنية ولا تأسوا على فائت وإن عز فقده ولا تحنوا إلى ظاعن وإن ألف قربه ولا تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا فتخرعوا ولا يكونن لكم المثل السوء إن الموصين بنو سهوان إذا مت فأرحبوا خط مضجعي ولا تضنوا على برحب الأرض وما ذلك بمؤد إلى روحا ولكن حاجة نفس خامرها الإشفاق[١١٢].

وأوصى زهير بن جناب الكلبي بنيه:

فقال: يا بني قد كبرت سني وبلغت حرسا من دهري فأحكمتني التجارب والأمور تجربة واختبار فاحفظوا عنى ما أقول وعوه أياكم والخور عند المصائب والتواكل عند النوائب فإن ذلك داعية للغم وشماتة للعدو وسوء ظن بالرب

(١١١) جمهرة خطب العرب (١/ ١٢٣).
(١١٢) جمهرة خطب العرب (١/ ١٢٤).

وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ولها آمنين ومنها ساخرين فإنه ما سخر قوم قط إلا ابتلوا ولكن توقعوها فإنما الإنسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد أنه مصيبه[113].

وصية النعمان بن ثواب العبدي لبنيه:

كان للنعمان بن ثواب العبدي بنون ثلاثة سعد وسعيد وساعدة وكان أبوهم ذا شرف وحكمة وكان يوصي بنيه ويحملهم على أدبه أما ابنه سعد فكان شجاعا بطلا من شياطين العرب لا يقام لسبيله ولم تفته طلبته قط ولم يفر عن قرن وأما سعيد فكان يشبه أباه في شرفه وسودده وأما ساعدة فكان صاحب شراب وندامى وإخوان فلما رأى الشيخ حال بينه دعا سعدا وكان صاحب حرب فقال: يا بني إن الصارم ينبو والجواد يكبو والأثر يعفو فإذا شهدت حربا فرأيت نارها تستعر وبطلها يخطر وبحرها يزخر وضعيفها ينصر وجبانها يجسر فأقلل المكث والانتظار فإن الفرار غير عار إذا لم تكن طالب ثار فإنما ينصرون هم وإياك أن تكون صيد رماحها ونطيح نطاحها.وقال لابنه سعيد وكان جوادا يا بني لا يبخل الجواد فابذل الطارف والتلاد واقلل التلاح تذكر عند السماح وابل إخوانك فإن وفيهم قليل واصنع المعروف عند محتمله. وقال لابنه ساعدة وكان صاحب شراب يا بني إن كثرة الشراب تفسد القلب وتقلل الكسب وتجد اللعب فأبصر نديمك واحم حريمك وأعن غريمك واعلم أن الظمأ القامح خير من الري الفاضح وعليك بالقصد فإن فيه بلاغا[114].

وأوصى حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بني بدر:

فقال: اسمعوا مني ما أوصيكم به لا يتكل آخركم على أولكم فإنما يدرك الآخر ما أدركه الأول وأنكحوا الكفء الغريب فإنه عز حادث وإذا حضركم أمران فخذوا بخيرهما صدرا فإن كل مورد مغروف واصحبوا قومكم بأجمل أخلاقكم ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فإن الخلاف يزري بالرئيس المطاع وإذا حادثتم فاربعوا ثم قولوا الصدق فإنه لا خير في الكذب وصونوا الخيل فإنها حصون الرجال وأطيلوا الرماح فإنها قرون الخيل وأعزوا الكبير بالكبر فإني بذلك كنت أغلب الناس ولا تغزوا إلا بالعيون ولا تسرحوا حتى تأمنوا

---

(١١٣) المعمرون والوصايا (صـ٤٠).

(١١٤) جمهرة خطب العرب (١/ ١٢٧)، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (صـ٧٠).

الصباح واعطوا على حسب المال وأعجلوا الضيف بالقرى فإن خيره أعجله واتقوا فضيحات البغى وفلتات المزاح ولا تجيروا على الملوك فإن أيديهم أطول من أيديكم.

ولما احتضر المهلب بن أبي صفرة أوصى بنيه فقال: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، فإن تقوى الله تعقب الجنة، وإن صلة الرحم تنسىء في الأجل، وتثري المال، وتجمع الشمل وتكثر العدد، وتعمر الديار، وتعز الجانب. وأنهاكم عن معصية الله، فإنها تعقب النار، وإن قطيعة الرحم تورث القلة والذلة، وتفرق الجمع، وتذر الديار بلقعًا وتذهب المال، وتطمع العدو، وتبدي العورة. يا بني، قومكم قومكم ! إنه ليس لكم عليهم فضل بل هم أفضل منكم إذ فضلوكم وسودوكم ووطؤوا أعقابكم، وبلغوا حاجاتكم لما أردتم، وأعانوكم، فلهم بذلك حق عليكم، وبلاء عندكم لا تؤدون شكره ولا تقومون بحقه. فإن طلبوا فأطلبوهم، وإن سألوا فأعطوهم، وإن لم يسألوا فابتدئوهم، وإن شتموا فاحتملوهم، وإن غشوا أبوابكم فلتفتح لهم ولا تغلق دونهم. يا بني، إني أحب الرجل منكم أن يكون لفعله الفضل على لسانه، وأكره للرجل منكم أن يكون للسانه الفضل على فعله. يا بني، اتقوا الجواب وزلة اللسان، فإني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من زلته وينتعش منها، ويزل لسانه فيوبقه، وتكون فيه هلكته. يا بني، إذا غدا عليكم رجل أو راح فكفى بذلكم مسألةً وتذكرةً بنفسه. يا بني، ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم، ودوابكم تحت غيركم أحسن منها تحتكم. يا بني، أحبوا المعروف، واكرهوا المنكر واجتنبوه، وآثروا الجود على البخل، واصطنعوا العرب وأكرموهم، فإن العربي تعده العدة فيموت دونك ويشكر لك، فكيف بالصنيعة إذا وصلت إليه، في احتماله لها، وشكره والوفاء لصاحبها. يا بني، سودوا كباركم واعرفوا فضل ذوي أسنانكم تعظموا به، وارحموا صغيركم وقربوه وألطفوه واجبروا يتيمكم وعودوا عليه بما قدرتم، وخذوا على يدي سفهائكم، وتعاهدوا فقراءكم وجيرانكم بما قدرتم عليه، واصبروا للحقوق ونوائب الدهر. وعليكم في الحرب بالأناة، والتؤدة في اللقاء. وعليكم بالتماس الخديعة، في الحرب، لعدوكم، وإياكم والنزق والعجلة، فإن المكيدة والأناة والخديعة في الحرب أنفع من الشجاعة. واعلموا أن القتال والمكيدة مع الصبر، فإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن ظفر امرؤ وقد أخذ بالحزم قال القائل: قد أتى الأمر من وجهه، وإن لم يظفر قال: ما ضيع ولا فرط ولكن القضاء غالب. والزموا الحزم على أي الحالتين وقع

الأمر، والزموا الطاعة والجماعة، وإياكم والخلاف. تواصلوا وتآزروا وتعاطفوا، فإن ذلك يثبت المودة. وخذوا فيما أوصيكم به بالجد والقوة والقيام به تظفروا بدنياكم ما كنتم فيها، وبآخرتكم إذا صرتم إليها ولا قوة إلا بالله. وليكن أول ما تبدؤون به إذا أصبحتم تعليم القرآن والسنن والفرائض، وتأدبوا بآداب الصالحين من قبلكم من سلفكم، ولا تقاعدوا أهل الدعارة والريبة، ولا يطمع في ذلك منكم طامع. وإياكم والخفة في مجالسكم وكثرة الكلام، فإنه لا يسلم منه صاحبه، وأدوا حق الله عليكم، فإني قد أبلغت إليكم في وصيتي، واتخذت لله الحجة عليكم(١١٥).

وأخبر عبد الرحمن بن إسرائيل عن أشياخه قال: لما حضرت الوفاة سعيد ابن العاصي قال: يا بني، أيكم يكفل عني ديني ؟ قال عمرو بن سعيد: علي دينك يا أبه. كم هو ؟ قال: ثمانون ألف دينار. قال: وفيم استدنتها ؟ قال: في كريم سددت خلله، أو لئيم اشتريت عرضي منه، ثم قال سعيد: هذه خصلة وبقيت خصلتان. قال: ما هما يا أبه ؟ قال: يا بني لا تزوجن بناتي إلا من الأكفاء ولو بفلق خبز الشعير. قال: أفعل. قال: يا بني، ذهبت خصلتان وبقيت خصلة. قال: وما هي يا أبه ؟ قال: يا بني، إن فقد إخواني وجهي فلا يفقدوا معروفي. قال: أفعل يا أبه. قال: يا بني ما زلت أعرف الكرم في حماليق عينيك وأنت يحرك بك في مهدك حتى بلغت ما أرى. يا بني، ما شاتمت رجلاً مذ كنت رجلاً، ولا زاحمت ركبتاي ركبته ولا كلفت من يرتجيني أن يسألني فيبذل وجهه ويرشح جبينه رشح السقاء، إذن، والله، فما وصلته. يا بني، أخزى الله المعروف إذا لم يكن ابتداءً عن غير مسألة. فأما إذا أتاك تكاد ترى دمه في وجهه مخاطرًا، لا يدري أتعطيه أم تمنعه، فوالله لو خرجت له من جميع ما تملكه ما كافأته، ولا الذي بات يتململ على فراشه يعقب بين شفتيه أيجدني موضعًا لحاجته أم لا، لهو أعظم علي منةً مني عليه، إذا قضيتها له وفي هذا الحديث بغير هذا الإسناد، ولكن عن الزبير بن أبي بكر قال: كانت علته التي مات فيها في ضيعة له بقرب المدينة، فلما اشتدت علته قال لابنه عمرو: يا بني، قد ترى ما نزل بي، فقال له عمرو: يا أبه، لو حملت إلى المدينة. فقال: يا بني، إن الحركة تتعبني، وإن أهلي لا يبخلون علي بحملي على رقابهم ساعةً. يا بني، إن ضيعتي هذه مثريف وليست بمال غلة، فإذا أنا مت ففرغت من دفني، فوجه مطيتك نحو معاوية فانعني له،

---

(١١٥) التعازي والمراثي (صـ٦٨).

فإنه سيسألك عن ديني ويتضمنه، فأعلمه أني قد علمت ذلك وجزه خيرًا. ثم قل له: يا أمير المؤمنين، إن له ضيعةً أمر ببيعها للقضاء دينه، فإنه سيشتريها منك، فاسأله أن يكتب لك بمالها إلى المدينة فاقم بها ديني وعداتي. فلما دفن كانت مطايا عمرو موقوفةً فعزي عنه، وركب يريد معاوية من ساعته حتى ورد عليه فنعاه له فتفجع وقال: ما خلف من الدين فهو علي. فقال: يا أمير المؤمنين، قد علم ذاك فوصلتك رحم، ولكنه أمرني ببيع ضيعة له وهي الفلانية. قال: قد اشتريتها بدينه، وكتب له بالمال إلى المدينة، فجاءه صعلوك من صعاليك قريش بصك على أبيه بعشرين ألف درهم، فيه شهادة مولىً له، فقال له: يا هذا، إني أعرف الخط وإني أنكر أن يكون لمثلك مثل هذا المال عليه، فدعا مولاه فقال له: أتعرف هذا ؟ فشهد به؛ فقال له: ما سببه ؟ فقال: إن أباك في وقت عزله وكان معاوية يوليه المدينة سنةً ويولي مروان ابن الحكم سنةً رآه وحده وقد ركب لبعض حاجاته، فسار معه حتى بلغها ورجع. فلما انتهى قال له: يا فتى، ألك حاجة ؟ فقال: لا، ولكني رأيتك مفردًا فأحببت أن أصل جناحك، فالتمس مالاً يهبه له فلم يحضره فقال لي: عجل علي بصحيفة، فكتب له بهذا دينًا عليه حالاً. فقال عمرو: إذن والله لا يأخذها إلا معجلةً منتقدةً[116].

وقال الرشيد وقد سمع أولاده يتعاطون الغريب في محاورتهم، ويجنحون إلى الغليظ من الكلام: لا تحملوا ألسنتكم على وحشي الكلام، ولا تعودوها المستشنع ولا المتصنع، فإن العادة ألزم من الطبع. واعتمدوا سهولة الكلام من غير استكراه ولا مؤونة تكلف. سيد الكلام ما ارتفع عن طبقة العامة، وانخفض عن درجة المتشدقين، وخالف سبل المغرقين. فليكن كلامكم قصدًا وألفاظكم عددًا، فإن الإكثار يمحق البيان، ومن قبله تحدث الآفة على اللسان. وتحاموا الأنس بالسلطان، وكلما رفع دونكم سترًا من الحشمة فاحتجبوا عنه بستر من الإعظام، وكونوا أشد ما يكون لكم بسطًا أشد ما تكونون له هيبة ثم تمثل بأبيات الخطفي جد جرير: من الطويل

عجبت لازراء العيي بنفسه — وصمت الذي قد كان بالنطق
وفي الصمت ستر للغبي وإنما — صحيفة لب المرء أن يتكلما
ومن لا يصب قصد الكلام لسانه — وصاحبه الاكثار كان مذمما

---

(116) التعازي والمراثي (ص96).

إذا نلت إنسي المقالة فليكن ... به ظهر وحشي الكلام محرما
وإن اكثر السلطان أنسك فاحترز ... ولا تفغرن إلا بهيبته فما[117]

وقال عبدة بن الطبيب، وهو من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وهي من الوصايا المأثورة وفصيح الكلام: من الكامل

أبني إني قد كبرت ورابني ... بصري وفي لمصلح مستمتع
فلئن هلكت لقد بنيت مساعيًا ... يبقى لكم منها مناقب أربع
ذكر إذا ذكر الكلام يزينكم ... ووراثة الحسب المقدم تنفع
ومقام أيام لهن فضيلة ... عند الحفيظة والمجامع تجمع
ولهى من الكسب الذي يغنيكم ... يومًا إذا احتضر النفوس المطمع
أوصيكم بتقى الإله فإنه ... يعطي الرغائب من يشاء ويمنع
وببر والدكم وطاعة أمره ... إن الأبر من البنين الأطوع
ودعوا الضغينة لا تكن من شأنكم ... إن الضغائن للقرابة توضع
واعصوا الذي يسدي النميمة بينكم ... متنصحًا وهو السمام المنقع
يزجي عقاربه ليبعث بينكم ... حربًا كما بعث العروق الأخدع
حران لا يشفي غليل فؤاده ... عسل بماء في الإناء مشعشع
لا تأمنوا قومًا يشب صبيهم ... بين القوابل بالعداوة ينشع
فضلت عداوتهم على أحلامهم ... وأبت ضباب نفوسهم لا تنزع
قوم إذا دمس الظلام عليهم ... حدجوا قنافذ بالنميمة تمزع
أمثال زيد حين أفسد رهطه ... حتى تشتت أمرهم فتصدعوا
إن الذين ترونهم إخوانكم ... يشفي غليل نفوسهم أن تصرعوا
وثنية من أمر قوم عزة ... فرجت يداي وكان فيها المطلع
ومقام خصم قائم ظلفاته ... من زل طار له ثناء أشنع

ظلمات الرجل: ما وقع على الأرض من عيدانه فاستعاره للخصم

(١١٧) التذكرة الحمدونية (١/ ٣٨٩).

أصـــدرتهم فـــيه أقـــوم دراهـــم عـــض الـثقاف وهـــم ظمـــاء جـــوع
فـــرجعتهم شـــتى كـــأن عمـــيدهم في المهـــد يمـــرث ودعتـــيه مرضـــع
ولقـــد علمـــت بـــان قـــصري حفـــرة غـــبراء يحملـــني إلـــيها شـــرجع
فبكـــى بناتـــي شـــجوهن وزوجـــتي والأقـــربون إلـــي ثـــم تـــصدعوا
وتـــركت في غـــبراء يكـــره وردهـــا يـــسفى علـــي الـــترب حـــين أودع
فـــإذا مـــضيت إلى ســـبيلي فابعـــثوا رجـــلاً لـــه قلـــب حديـــد أصـــمع
إن الحـــوادث يخـــترمـــن وإنمـــا عمـــر الفتـــى في أهلـــه مـــستودع
يـــسعى ويجمـــع جاهـــدًا مـــستهترًا جـــدًا ولـــيس بآكـــل مـــا يجمـــع
حتـــى إذا وافـــى الحمـــام لوقـــته ولكـــل جـــنب لا محالـــة مـــصرع
نـــبذوا إلـــيه بالـــوداع فلـــم يجـــب أحـــدًا وصـــم عـــن النـــدا لا يـــسمع(118)

أوصى أسلم بن أقصى الخزاعي بنيه:

فقال: يا بني، اتقوا ربكم في الليل إذا دجا وفي النهار إذا اضا، يكفكم الله كلما يخاف ويتقي. وإياكم ومعصيته فإنه ليس لكم وراءه وزر، ولا لكم دونه معتصر. يا بني، جودوا بالنوال، وكفوا عن السؤال، .لا تمنهن سائلاً محقًا كان أو مبطلاً، فغن كان محقًا فلا تحرموه، وإن كان في حال علة فإنها تسد منه خلة، وإن كان مبطلاً فقد ذهب خفره وصرح الحياء عن بصره، فأعطوه. ولا تماروا عالمًا ولا جاهلاً، فإن العالم يحاججكم فيغلبكم، وإن الجاهل يلجكم فيغضبكم، فإذا جاء الغضب كان فيه العطب. وإياكم والفجور بحرم القوام، فإنه قل ما انتهك رجل حرمة إلا ابتلي في حرمته. وإياكم وشرب الخمر فإنها متلفة للمال، طلابة لما يلا نال، وإن كان فيها صلاح البدن فإن فيها مفسدة للعقل. وإياكم والاختلاف فإنه ليس معه ائتلاف. ولا يكونن جار السوء لكم جارًا، ولا خدين والاختلاف فإنه ليس معه ائتلاف. ولا يكونن جار السوء لكم جارًا، ولا خدين السوء لكم زوارًا. وعليكم بصلة الرحم تكثر أموالكم، ولا تقطعوها فتعفو من دياركم وآثاركم. وغياكم والعجز والتواني فإنهما يورثان الندامة ويكثران الملامة. يا بني، أنتم مثل شجرة ثابتى الأركان ملتفة الأغصان، فاجتمعوا ولا تفرقوا فيطمع الناس فيكم فتفرق الأغصان وتعجف الشجرة

(118) التذكرة الحمدونية (1/ 389).

وتكونوا مثلاً بكل مكان. يا بني، قد أتت علي مائتا سنة ما شتمت ولا شتمت، ولا قلت من لوم ماذا صنعت. خذوا بوصيتي تسلموا، ولا تخالفوا فتندموا[119].

أوصى يزيد بن المهلب ابنه مخلدا حين استخلفه على جرجان:

فقال: يا بني، إني قد استخلفتك فانظر هذا الحي من اليمن، فكن منهم كما قال الشاعر: من الطويل

إذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم فرش واصطنع عند الذين بهم ترمي

وانظر هذا الحي من ربيعة فأنهم شيعتك وأنصارك فاقض حقوقهم. وانظر هذا الحي من تميم فأمطر ولا ترهم، ولا تدنهم فيطمعوا، ولا تقصهم فينقطعوا عنك، ولكن بين المطيع والمدبر. وانظر هذا الحي من قريش فإنهم أكفاء قومك في الجاهلية ومناصفوهم في الإسلام، ورضاهم منك البشر. يا بني، إن لأبيك صنائع فلا تفسدها فإنه كفى بالمرء من النقص أن يهدم ما بناه أبوه. وإياك والدماء فإنه لا بقية بعدها. وإياك وشتم الأعراض فإن الحر لا يرضيه من عرضه عوض. وإياك وضرب الأبشار فإنه عار باق ووتر مطلوب. واستعمل عل النجدة والفضل دون الهوى، ولا تعزل إلا عن العجز والخيانة؛ ولا يمنعك من اصطناع رجل أن يكون غيرك قد سبقك إليه، فإنك إنما تصطنع الرجال لنفسك؛ ولتكن صنيعتك عند من كافيك عنه العشائر. واحمل الناس على حسن أدبك يكفوك أنفسهم. وإذا كتبت كتابًا فأكثر النظر، وليكن رسولك في ما بيني وبينك من يفقه عني وعنك، فإن كاتب الرجل موضع عقله، ورسوله موضع رأيه. أستودعك اله فإنه ينبغي للمودع أن يسكت وللمشيع أن ينصرف، وما خف من المنطق وقل من الخطبة أحب إلى أبيك[120].

أوصى قيس بن عاصم بنيه:

فقال: يا بني، خذوا عني فلا أحد أنصح لكم مني. إذا دفنتموني فانصرفوا إلى رحالكم فسودوا أكبركم فإن القوم إذا سودوا أكبرهم اخلفوا آباءهم، ولا تسودوا أصغركم فإن القوم إذا سودوا أصغرهم أزرى ذلك بهم في أكفائهم. وإياكم ومعصية الله تعالى وقطيعة الرحم. وتمسكوا بطاعة أمرائكم: فإنهم من رفعوا ارتفع، ومن وضعوا اتضع. وعليكم بهذا المال فأصلحوه، فإنه منبهة

---

(١١٩) التذكرة الحمدونية (١/ ٣٨٨).

(١٢٠) السابق نفسه.

للكريم واستغناء عن اللئيم. وإياكم والمسألة فإنها أخر كسب الرجل، وإن أحدًا لم يسأل إلا ترك كسبه. وإياكم والنياحة فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهي عنها وادفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم. ولا تعلم بكر بن وائل بمدفني فإني كنت أغتالهم في الجاهلية وبيننا وبينهم خماشات فأخاف أن يدخلوها عليكم فيعيبوا عليكم دينكم. وخذوا بثلاث خصال: إياكم وكل عرق لئيم أن تلابسوه، فإنه مهما يسركم يومًا فسوق يسوءكم يومًا، واكظموا الغيظ، واحذروا بني أعداء آبائكم فإنهم على منهاج آبائهم لآبائكم. وقال: من البسيط

أحيا الضغائن آباء لناهلكوا   فلن تبيد وللآباء أبناء[١٢١]

أوصى رجل من ربيعة ابنه:

فقال: يا بني، إذا حزيك أمر فحك ركبتيك بركبة شيخ من قومك وشاوره. قال: فأردت التزويج، فأتيت شيخًا من قومي في ناديه فجلست إليه حتى خف من عنده، فقال: يا ابن أخي، آلك حاجة؟ قلت: نعم، أردت التزيج فأتيت أشاورك، فقال: أقصيرة النسب أم طويلته؟ فما أجدت ولا أرديت أي لم أقل جيدًا ولا رديًا فقال: يا ابن أخي، إني لأعرف في العين إذا عرفت، وأعرف في العين إذا أنكرت، وأعرف في العين إذا لم تنكر ولم تعرف. فأما العين إذا عرفت فإنها تتخاوص للمعرفة، وإذا أنكرت نجحظ للإنكار، وإذا لم ترعف ولم تنكر فإنها تسجو سجوًا، يا ابن أخي، لا تتزوج إلى قوم أهل دناءة أصابوا من الدنيا عسرة فتشركهم في دناءتهم ولا يشركونك في أموالهم، قال: فقمت وقد اكتفيت[١٢٢].

أوصى الحارث بن كعب بنيه:

فقال: يا بني، قد أتت علي مائة وستون سنة ما صافحت يميني يمين غادر، ولا قنعت نفسي بخلة فاجر، ولا بحت لصديق بسر، ولا طرحت عندي مومسة قناعًا، ولا بقي على دين عيسى ابن مريم أحد م العرب غيري وغير تميم بن مر وأسد بن خزيمة. فموتوا على شريعتي، واحفظوا وصيتي، وإلهكم فاتقوا يكفكم المهم من أمركم ويصلح لكم أعمالكم، وإياكم ومعصيته لا يحل بكم الدماء وتوحش منكم الديار.

---

(١٢١) جمهرة خطب العرب (١/ ١٧٢).

(١٢٢) التذكرة الحمدونية (١/ ٣٨٧).

في بعض الروايات: شعيب النبي ﷺ وهو الأولى، فإن النصارى في العرب كثير، وبنو الحارث بن كعب كلهم نصارى.

يا بني: كونوا جميعًا ولاتفرقوا فتكونوا شيعًا، وإن موتًا في عز خير من حياة في ذل وعجز. وكلما هو كائن كائن. وكل جمع إلى تباب. الدهر ضربان: فضرب رخاء وضرب بلاء. واليوم يومان: فيوم حبرة ويوم عبرة، والناس رجلان: فرجل لك ورجل عليك. زوجوا النساء من الأكفاء، وليستعملن في طيبه الماء، وتجنبوا الحمقاء فإن ولدها إلى أفن ما يكون؛ ألا إنه لا راحة لقاطع القرابة. وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم؛ وآفة العدد اختلاف الكلمة، والتفضل بالحسنة يقي السيئة، والمكافأة بالسيئة الدخول فيها، والعمل بالسوء يزيل النعماء، وقطيعة الرحم تورث الهم، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة، وعقوق الوالدين يعقب النكد، ويمحق العدد، ويخرب البلد، والنصيحة تجر الفضيحة، والحقد يمنع الرفد، ولزوم الخطية يعقب البلية، وسوء الرعة يقطع أسباب المنفعة، والضغائن تدعو إلى التباين. ثم أنشأ يقول: من المتقارب

أكلت شبابي فأفنيته ... وأنضيت بعد دهور دهورا
ثلاثة أهلين صاحبتهم ... فبادوا واصبحت شيخًا كبيرا
قليل الطعام حسير القيام ... قد ترك الدهر خطوي قصيرا[123]

أوصى سعد العشيرة بنيه عند موته:

فقال: إياكم وما يدعو إلى الاعتذار، ودعوا قذف المحصنات لتسلم لكم الأمهات. وإياكم والبغي، ودعوا المراء والخصام تهبكم العشائر، وجودوا بالأموال تنم أموالكم، وإياكم ونكاح الورهاء فإنها أدوى الداء. وأبعدوا من جاء السوء داركم. ودعوا الضغائن فإنها تدعو إلى التقاطع.

أوصى أبو الأسود ابنه:

فقال: يا بني، إذا جلست إلى قوم فلا تتكلم بما هو فوقك فيمقتوك، ولا بما هو دونك فيزدروك. وإذا وسع الله عليك فابسط يديك، وإذا أمسك عليك فأمسك. ولا تجاود الله تعالى فإن الله أجود منك[124].

---

(١٢٣) جمهرة خطب العرب (١/ ١٢٣)، التذكرة الحمدونية(١/ ٣٨٦).
(١٢٤) التذكرة الحمدونية (١/ ٣٨٧).

وقال بعض الحكماء لابنه:

يا بني، اقبل وصيتي وعهدي، فإن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار كسرعة ائتلاف قطر المطر بماء الأنهار، وبعد الفجار من الائتلاف كبعد البهائم من التعاطف، وإن طال اعتلافها على آري واحد. كن يا بني بصالح الوزراء أعني منك بكثرة عددهم، فإن اللؤلؤة خفيف محملها كثير ثمنها، والحجر فادح حمله قليل غناؤه[١٢٥].

زوج أسماء بن خارجة الفزاري ابنته هند من الحجاج بن يوسف. فلما كانت ليلة أراد البناء بها قال لها أسماء: يا بنية، إن الأمهات يؤدب البنات، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة، فعليك بأطيب الطيب الماء، وأحسن الحسن الكحل. وإياك وكثرة المعاتبة فإنها مقطعة للود، وإياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق. وكوني لزوجك أمة يكن لك عبدًا، واعلمي أني القائل لأمك حيث أول: الطويل

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تغضبي في سورتي حين أغضب

ولا تنقريني نقرك مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيب

فإني وجدت الحب في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب[١٢٦]

العتبي عن أبيه عمرو بن عتبة، قال: كان أبونا لا يرفع المواعظ عن أسماعنا، فأراد سفرًا فقال: يا بني، تألفوا النعم بحسن مجاورتها، والتمسوا المزيد بالشكر عليها، واعلموا أن النفوس أقبل شيء لما أعطيت، وأعطى شيء لما سئلت، فاحملوها على مطية لا تبطئ إذا ركبت، ولا تسبق إذا تقدمت. عليا نجا من هرب من النار، وأدرك من سابق إلى الجنة. فقال الأصاغر من ولده: يا أبانا، ما هذه المطية؟ قال: التوبة[١٢٧].

قال عبد الملك بن مروان للشعبي وهو يعلم أولاده:

علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس رعية، وأقلهم أدبًا، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة. وأحف شعورهم تغلظ رقابهم، وأطعمهم اللحم تصح عقولهم وتشتد قلوبهم، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا،

---

(١٢٥) السابق (١/ ٣٨٥).

(١٢٦) جمهرة خطب العرب (٢/ ٥٠٧)، الأغاني (٢٠/ ٣٧٧).

(١٢٧) تاريخ دمشق (٣٨/ ٢٧١).

ومرهم أن يستاكوا عرضًا، ويمصوا الماء مصًا ولا يعبوه عبًا. وإذا احتجت إلى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في سر ولا يعلمه أحد من الحاشية فيهونوا عليهم(١٢٨).

وصية عبد الملك بن صالح العباسي لابنه:

قال ابو الحسن أوصى عبد الملك بن صالح ابنا له فقال اي بني إحلم فان من حلم ساد ومن تفهم ازداد والق أهل الخير فان لقاءهم عمارة للقلوب ولا تجمح بك مطية اللجاج وفيك من أعتبك والصاحب المناسب لك والصبر على المكروه يعصم القلوب والمزاح يورث الضغائن وحسن التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الاسراف والاقتصاد يثمر القليل والاسراف يبير الكثير ونعم الحظ القناعة وشر ما صحب المرء الحسد وما كل عورة تصان وربما أبصر العمي رشده وأخطأ البصير قصده واليأس خير من الطلب الى الناس والعفة مع الحرفة خير من الغنى مع الفجور أرفق في الطلب وأجمل في المكسب فانه رب طلب قد جر الى حرب ليس كل طالب بمنجح ولا كل ملح بمحتاج والمغبون من غبن نصيبه من الله عاتب من رجوت عتباه وفاكه من أمنت بلواه لا تكن مضحاكا من غير عجب ولا مشاء الى غير أرب ومن نأى عن الحق أضاق مذهبه ومن اقتصر على حاله كان أنعم لباله لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه أنما سعى في مضرته ونفعك وعود نفسك السماح وتخير لها من كل خلق أحسنه فان الخير عادة والشر لجاجة والصدود آية المقت والتعلل آية البخل ومن الثقة كتمان السر ولقاح المعرفة دراسة العلم وطول التجارب زيادة في العقل والقناعة راحة الابدان والشرف التقوى والبلاغة معرفة رتق الكلام وفتقه بالعقل تستخرج الحكمة وبالحلم يستخرج غور العقل ومن شمر في الامور ركب البحور شر القول ما نقض بعضه بعضا ومن سعى بالنميمة حذره البعيد ومقته القريب من أطال النظر بإرادة تامة أدرك الغاية ومن توانى في نفسه ضاع من أسرف في الامور انتشرت عليه ومن اقتصد اجتمعت له واللجاجة تورث الضياع للأمور غب الادب احمد من ابتدائه مبادرة الفهم تورث النسيان سوء الاستماع يعقب العي لا تحدث من لا يقبل بوجهه عليك ولا تنصت لمن لا ينمى بحديثه اليك البلادة للرجل هجنة قل مالك إلا استأثر وقل عاجز إلا تأخر الاحجام عن الامور يورث العجز والاقدام عليها يورث اجتلاب الحظ سوء الطعمة يفسد العرض ويخلق الوجه ويمحق الدين الهيبة قرين الحرمان والجسارة قرين الظفر وفيك من أنصفك وأخوك من عاتبك وشريكك من وفى لك وصفيك من

---

(١٢٨) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤٨).

آثـرك اعـدى الاعـداء العقـوق إتـباع الـشهوة يـورث الـندامة وفـوت الفرصـة يـؤرث الحسـرة جماع أركـان الأدب التـأني للرفق اكـرم نفسك عن كـل دنية وان سـاقتك الى الـرغائب فانـك لا تجـد بمـا تـبذل مـن دينك ونفـسك عوضـا لا تـباعد النـساء فيمللنك واسـتبق من نفسك بقية فانهن ان يرين انك ذر اقتدار خير من ان يطلعن منك على انكسار لا تملك المرأة الشفاعة لغيرها فتميل من شفعت لها عليك معها.

أي بني اني قد اخترت لك الوصية ومحضتك النصيحة وأديت الحق الى الله في تأديبك فلا تغفلن الأخذ بأحسنها والعمل بها والله موفقك[١٢٩].

وصية المهلب لبنيه:

وقال المهلب يا بني تباذلوا تحابوا وان بني الأم يختلفون فكيف بنو العلات ان البر ينسأ في الاجل ويزيد في العدد وان القطيعة تورث القلة وتعقب النار بعد الذل واتقوا زلـة اللسـان فان الرجل تزل رجله فينتعش ويزل لسانه فيهلك وعليكم في الحـرب بالمكيدة فانها أبلغ من النجدة فان القتال اذا وقع وقع القضاء فان ظفر فقد سعد وان ظفر به لم يقولوا فرط[١٣٠].

(١٢٩) جمهرة خطب العرب (٣/ ٩٨)، البيان والتبيين (١/ ٦٠٥).
(١٣٠) البيان والتبيين (١/ ٣٠٨).

وصايا النساء

وصايا النساء

نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدها الربيع بن زياد:

كان قيس بن زهير العبسي قد اشترى من مكة درعا حسنة تسمى ذات الفضول وورد بها إلى قومه فرآها عمه الربيع بن زياد وكان سيد بني عبس فأخذها منه غصبا فقالت الجمانة بنت قيس لأبيها دعني أناظر جدي فإن صلح الأمر بينكما وإلا كنت من وراء رأيك فأذن لها فأتت الربيع فقالت: إذا كان قيس أبي فإنك يا ربيع جدي وما يجب له من حق الأبوة على إلا كالذي يجب عليك من حق البنوة لي والرأي الصحيح تبعثه العناية وتجلى عن محضه النصيحة إنك قد ظلمت قيسا بأخذ درعه وأجد مكافأته إياك سوء عزمه والمعارض منتصر والبادي أظلم وليس قيس ممن يخوف بالوعيد ولا يردعه التهديد فلا تركنن إلى منابذته فالحزم في متاركته والحرب متلفة للعباد ذهابه بالطارف والتلاد والسلم أرخى للبال وأبقى لأنفس الرجال وبحق أقول لقد صدعت بحكم وما يدفع قولي إلا غير ذي فهم ثم أنشأت تقول

أبي لا يرى أن يترك الدهر درعه ... وجدي يرى أن يأخذ الدرع من أبي

فرأى أبي رأى البخيل بماله ... وشيمة جدي شيمة الخائف الأبي[131]

وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني.

لما بلغ الحارث بن عمرو ملك كندة جمال أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني وكمالها وقوة عقلها أراد أن يتزوجها فدعا امرأة من كندة يقال لها عصام ذات عقل ولسان وأدب وبيان وقال لها اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف فمضت حتى انتهت إلى أمها أمامة بنت الحارث فأعلمتها ما قدمت له فأرسلت أمامة إلى ابنتها وقالت أي بنية هذه خالتك أتت إليك لتنظر إلى بعض شأنك فلا تستري عنها شيئا أرادت النظر إليه من وجه وخلق وناطقيها فيما استنطقتك فيه فدخلت عصام عليها فنظرت إلى مالم تر عينها مثله قط بهجة وحسنا وجمالا فإذا هي أكمل الناس عقلا وأفصحهم لسانا فخرجت من عندها وهي تقول ترك الخداع من كشف القناع فذهبت مثلا ثم أقبلت إلى الحارث فقال لها ما وراءك يا

(١٣١) جمهرة خطب العرب (١/ ١٤٢).

عصام فأرسلها مثلا قالت صرح المخض عن الزبد فذهبت مثلا قال أخبريني قالت أخبرك صدقا وحقا.

رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة يزينها شعر حالك كأذناب الخيل المضفورة إن أرسلته خلته السلاسل وإن مشطته قلت عناقيد كرم جلاها الوابل وحاجبين كأنهما خطا بقلم أو سودا بحمم قد تقوسا على عيني الظبية العبهرة التي لم يرعها قانص ولم يذعرها قسورة بينهما أنف كحد السيف المصقول لم يخنس به قصر ولم يمض به طول حفت به وجنتان كالأرجوان في بياض محض كالجمان شق فيه فم كالخاتم لذيذ المبتسم فيه ثنايا غر ذوات أشر وأسنان تبدو كالدرر وريق كالخمر له نشر الروض بالسحر يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان يحركه عقل وافر وجواب حاضر تلتقي دونه شفتان حمراوان كالورد يجلبان ريقا كالشهد تحت ذلك عنق كإبريق الفضة ركب في صدر كصدر تمثال دمية يتصل بها عضدان ممتلئان لحما مكتنزان شحما وذراعان ليس فيهما عظم يحس ولا عرق يجس ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما لين عصبهما تعقد إن شئت منهما الأنامل وتركب الفصوص في حفر المفاصل وقد تربع في صدرها حقان كأنهما رمانتان يخرقان عليها ثيابها تحت ذلك بطن طوى كطي القباطي المدمجة كسى عكنا كالقراطيس المدرجة تحيط تلك العكن بسرة كمدهن العاج المجلو خلف ذلك ظهر كالجدول ينتهي إلى خصر لولا رحمة الله لانبتر تحته كفل يقعدها إذا نهضت وينهضها إذا قعدت كأنه دعص رمل لبده سقوط الطل يحمله فخذان لفاوان كأنهما نضيد الجمان تحتهما ساقان خدلتان كالبردى وشيتا بشعر أسود كأنه حلق الزرد يحمل ذلك قدمان كحذو اللسان فتبارك الله مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما فأما ما سوى ذلك فتركت أن أصفه غير أنه أحسن ما وصفه واصف بنظم أو نثر فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها فزوجه إياها[١٣٢].

أوصت أعرابية ابنتها وقد زوجتها فقال: لو تركت الوصية لحسن أدب أو لكرم نسب لتركتها لك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونى للعاقل. يا بنية، إنك قد خلفت العش الذي فيه درجت، والموضع الذي منه خرجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه. كوني لزوجك أمة يكن لك عبدًا. واحفظي عني خصالاً عشرًا، تكن لك دركا وذكرًا: أما الأولى والثانية فحسن الصحابة

(١٣٢) جمهرة خطب العرب (١/ ١٤٢، ١٤٣).

بالقناعة، وجميل المعاشرة بالسمع والطاعة، ففي حسن الصحابة راحة القلب، وفي جميل المعاشرة رضى الرب. والثالثة والرابعة: التفقد لموضع عينه، والتعاهد الموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يجد أنفه منك خبيث ريح. واعلمي أن الكحل أحسن الحسن الموجود، وأن الماء أطيب الطيب الموجود. والخامسة والسادسة: فالحفظ لماله والإرعاء على حشمه وعياله، واعلمي أن أصل الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والارعاء على الحشم والعيال حسن التدبير. والسابعة والثامنة: التعاهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فحرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة. والتاسعة والعاشرة: لا تفشين له سرًا، ولا تعصين له أمرًا، فإنك إذا أفشيت له سرًا لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره(١٣٣).

قال مهدي بن أبان: قلت لولادة العبدية، وكانت أعقل النساء: أريد الحج فأوصيني، فقالت: أوجز فأبلغ أم أطيل فأحكم؟ قلت: ما شئت قالت: جد تسد، واصبر تفز. قلت: أيضًا. قالت: لا يبعد غضبك حلمك، ولا هواك علمك، وق دينك بدنياك، وفر عرضك بعرضك، وتفضل تخدم، واحلم تقدم. قلت: فمن أستعين؟ قالت: الله ﷻ. قلت: فمن الناس؟ قالت: الجلد النشيط والناصح الأمين. قلت: فمن أستشير؟ قالت: المجرب الكبير أو الأدي الصغير. قلت: فمن أصحب؟ قالت: الصديق المسلم أو الراجي المتكرم. ثم قالت: يا أبتاه، إنك تفد إلى ملك الملوك فانظر كيف يكون مقامك بين يديه(١٣٤).

وصية اعرابية لولدها:

قال الأصمعي عن أبان بن ثعلبة مررت بامرأة بأعلى الأرض وبين يديها ابن لها يريد سفرا وهي توصيه فقالت إجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك وقليل إجدائه عليك أنفع من كثير عقلك إياك والنمائم فانها تزرع الضغائن ولا تجعل نفسك غرضا للرماة فان الهدف اذا رمي لم يلبث ان ينثلم ومثل نفسك مثالا فما استحسنته من غيرك فاعمل به وما كرهته منه فدعه واجتنبه.

ومن كانت مودته بشره كان كالريح في تصرفها ثم نظرت في فقالت كأنك يا عراقي أعجبت بكلام أهل البدر ثم قالت لابنها اذا هززت فهز كريما فان الكريم يهتز لهزتك وإياك واللئيم فانه صخرة لا ينفجر ماؤها وإياك والعذر

---

(١٣٣) جمهرة خطب العرب (١/ ١٤٥).

(١٣٤) نهاية الأرب في فنون الأدب (٢/ ٤٢٢).

فانه أقبح ما تعومل به وعليك بالوفاء ففيه النماء وكن بمالك جوادا وبدينك شحيحا ومن أعطى السخاء والحلم فقد استجاد الحلة ريطتها وسربالها إنهض على اسم الله[١٣٥].

وفي رواية أخرى في التذكرة الحمدونية:

قال أبان بن تغلب، وكان عابدًا من عباد البصرة: شهدت أعرابية وهي توصي ولدًا لها يريد سفرًا وهي تقول: أي بني، اجلس أمنحك وصيتي، وبالله توفيقك، فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك. قال أبان: فوقفت مستمعًا لكلامها، مستحسنًا لوصيتها، فإذا هي تقول: يا بني، إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة، وتفرق بين المحبين. وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضًا، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضًا إلا كلمته حتى يهي ما اشتد من قوته. وإياك والجود بدينك والبخل بمالك. وإذا هززت فاهزز كريمًا يلين لمهزتك، ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها. ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحته من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه. ومن كانت مودته في بشره وخالف ذلك منه فعله كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها.

ثم أمسكت، فدنوت منها فقلت: بالله عليك يا أعرابية إلا مازدته في الوصية. قالت: أوقد أعجبك كلام العرب يا عراقي؟ قلت: نعم. قالت: والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم. ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة: ريطها وسربالها[١٣٦].

(١٣٥) جمهرة خطب العرب (٣/ ٢٤٥).
(١٣٦) التذكرة الحمدونية (١/ ٣٨٥).

متفرقات

متفرقات

قال أبو الحسن علي بن محمد الصغاني في كتاب " الفرائد والقلائد " في الاستعانة على حسن السياسة: آفة الملوك سوء السيرة. وآفة الوزراء خبث السريرة. وآفة الجند مخالفة القادة. وآفة الرعية مخالفة الطاعة. وآفة الزعماء ضعف السياسة. وآفة العلماء حب الرياسة. وآفة القضاة شدة الطمع. وآفة العدول قلة الورع. وآفة العدل ميل الولاة. وآفة الملك تضادد الحماة. وآفة الحرب إضاعة الحزم. وآفة القوي استضعاف الخصم.

وقال: الحزم أسد الآراء، والغفلة أضر الأعداء. ومن قعد عن حيلته أقامته الشدائد، ومن نام عن عدوه أنبهته المكائد. ومن سالم الناس سلم، ومن قدّم الحزم غنم. ومن لزم الحلم لم يعدم السلم. ومن ضعف رأيه قوي ضده، ومن ساء تدبيره أهلكه جده. والغرة ثمرة الجهل، والتجربة مرآة العقل. والصبر على الغُصَّة، يؤدي إلى الفرصة. ومن استرشد غويًا ضل، ومن استنجد ضعيفًا ذل. ومن ضل مشيره قلَّ نصيره. والأناة حسنٌ، والتودد يمن.

من نام عن نصرة وليه، انتبه بوطأة عدوه. ومن دام كسله، خاب أمله. والعجول مخطئ وإن ملك، والمتئد مصيب وإن هلك. ومن بان عجزه، زال عزه. ومن استبد برأيه، خفت وطأته على أعدائه. وعلّة الأمن، سوء الظن.

ومن أمارة الخذلان، معاداة الإخوان. ومن علامات الإقبال، اصطناع الرجال. ومن كثرت مخافته، قلّت آفته. ومن طلب الرياسة، أحسن السياسة. واستفساد الصديق، من عدم التوفيق. والرفق مفتاح الرزق. ومن نظر في العواقب، سلم من النوائب. وفضيلة السلطان، عمارة البلدان .

من استحلى معاداة الرجال، استمر ملاقاة القتال. ومن فعل ما شاء، لقي ما ساء. من خانه الوزير، فاته التدبير. من كتم سره، أحكم أمره. ومن كثر اعتباره، قلَّ عثاره، ومن عمل بالرأي اعتلى مناره. ومن أحكم التجارب، أحمد العواقب. ومن أمارات الجد حسن الجدّ. وزوال الدول، باصطناع السُفّل. القليل مع التدبير، أبقى من الكثير مع التبذير. عزيمة الصبر، تطفئ نار الشر، فإن الصبر على ما تكرهه وتجتويه، يؤديك إلى ما تحبه وتشتهيه. من وثق بإحسانك، أشفق على سلطانك .

إذا استشرت الجاهل، اختارَ لك الباطل. ومن اغتر بحاله، قصَّر في احتياله. ومن اغتر بمسالمة الزمن، عثر بمصادمة المحن. ومن اقتحم الأمور، لقي المحذور. ومن ترك ما يعنيه، امتُحِن بما لا يعنيه. ومن استعان بذوي العقول، فاز بدرك المأمول. ومن استشار ذوي الألباب، سلك سبيل الصواب. ومن ضيَّع أمره ضيَّع كل أمر، ومن جهل قدره جهل كل قدر.

والحازم من حفظ ما في يده، ولم يؤخر شغل يومه إلى غده. ومن طلب مالا يكون طال به تعبه، ومن فعل مالا يجوز كان فيه عطبه. لا تثق بالصديق قبل الخبرة، ولا توقع بالعدو قبل القدرة. وإذا أشكلت عليك الأمور، وتغير عليك الجمهور - : فارجع إلى رأي العقلاء، وافزع إلى استشارة النصحاء، ولا تأنف من الاسترشاد، ولا تستنكف من الاستمداد، فلأن تسأل وتسلم، خيرٌ من أن تستبد وتندم. ومن نصحك فلا تستبدل به، ومن وعظك فلا تستوحش منه، فمن نصحك أحسن إليك، ومن وعظك أشفق عليك .

واعلم أن الأيدي بأصابعها، والملوك بصنائعها، فلا يغرنك كبر الجسم، ممن صغر في المعرفة والعلم، ولا طول القامة، ممن قصَّر في الكفاية والاستقامة، فأن الدرة على صغرها - : أعود من الصخرة على كبرها .

واعلم أن سبب هلاك الملوك والممالك اطراح ذوي الفضائل، واصطناع ذوي الوسائل، والاستخفاف بعظة الناصح، والاغترار بتزكية المادح .

واعلم أن عمال الولاة بمنزلة سلاحهم في القتال، وسهامهم في النضال. ومن ولي الملك بلا كفاة، كمن لقي الحرب بلا حماة. ومما يديم لك نصحهم ووفاءهم، ويحفظ عليك ودهم وولاءهم - : قلة الطمع فيهم، وحسن المقابلة لمساعيهم.

واعلم أنك إن طمعت منهم في ذرة، طمعوا منك في بُدْرة، وإن ارتجعت من رفقهم دينارًا، اقتطعوا من ملكك قنطارًا، ثم أساءوا القول فيك، وأنكروا بيض صنائعك وأياديك. وإذا اصطنعت فاصطنع من ينزع إلى أصل وأبوة. ويرجع إلى عقل ومروءة، فإن الأصل والأبوَّة تمنعانه من الغدر والخيانة، والعقل والمروءة يبعثانه على الوفاء والأمانة، فإن كل فرع يرجع إلى أصله، وكل شيء يعود إلى طبعه .

وقال بعض العلماء: صُنْ عفتك بالحلم، ومروءتك بالعفاف، ونجدتك بمجانبة الخيلاء، وجهدك بالإجمال في الطلب .

كتب حكيم إلى حكيم: من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن لم يحلم ندم، ومن صبر غنِم، ومن خاف رحِم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهِم، ومن فهم علِم .

قال أنوشروان لابنه: يا بني، إن من أخلاق الملوك العز والأنفة. وإنك ستُبلى بمداراة أقوام، وإن سَفَهَ السفيه ربما تُطلّعُ منه فإن كافأته بالسفه فكأنك رضيت بما أتى. فاجتنب أن تحتذي على مثاله، فإن كان سفهه عندك مذمومًا فحقق ذمّك إياه بترك معارضته بمثله .

وقال بعض العلماء: صُنْ عفتك بالحلم، ومروءتك بالعفاف، ونجدتك بمجانبة الخيلاء، وجهدك بالإجمال في الطلب .

كتب حكيم إلى حكيم: من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن لم يحلم ندم، ومن صبر غنِم، ومن خاف رحِم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهِم، ومن فهم علِم .

كتب بعض الحكماء إلى أخ له: أما بعد، فاجعل القنوع ذخرًا تبلغ به إلى أن يفتح باب يحسن بك الدخول فيه؛ فإن الثقة من القانع لن تخذل، وعون الله سبحانه مع ذي الأناة. وما أقرب الصنع من الملهوف ! وربما كان الفقر نوعًا من آداب الله عز وجل، وخيرةً في العواقب. والحظوظ مراتب. فلا تعجل على ثمرة لم تُدرك، فإنك تدركها في أوانها عذبة. والمدبر لك أعلم بالوقت الذي تصلح فيه لما توصل به؛ فثق بخيرته لك في الأمور كلها .

قال أبو حازم رحمه الله: رأيت الدنيا شيئين: لي ولغيري: فما كان لغيري فلا سبيل إليه، وما كان لي فلو جهدت لم أقدر عليه قبل وقته. ففيم أتعب نفسي ؟

قال المدائني: لقي رجل راهبًا فقال له: يا راهب، كيف ترى الدهر ؟ قال: يُخلِق الأبدان، ويُجدِّد الآمال، ويُقرِّب المَنيّة. قال: فما حال أهله ؟ قال: من ظفر به تعب، ومن فاته نصب. قال: فما المغني ؟ قال: قطع الرجاء. قال: فأي الأصحاب آثر وأوفى ؟ قال: العمل الصالح والتقوى. قال: فأيهم أضرُّ وأردى ؟ قال: النفس والهوى. قال: فأين المخرج ؟ قال: سلوك المنهج. قال: وما هو ؟ قال: ترك الراحة

وبذل المجهود. قال: أوصني، قال: قد فعلت عن الشعبي قال: قلت لابن هبيرة: عليك بالتُّؤَدة فإنك على رد ما لم تفعل أقدر منك على رد ما فعلتَ .

قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: " من عرّض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن؛ ومن كتم سره كانت الخيرة بيده. وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك عليه. ولا تظنَّنَّ بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًا وأنت تجد لها في الخير مخرجًا؛ وعليك بإخوان الصدق فَكِسْ في اكتسابهم، فإنهم زينة في الرخاء، عدة في البلاء. ولا تهاون في الحلف بالله فيهينك. وعليك بالصدق ولو قتلك، ولا تعتز إلى من لا يغنيك؛ واعتزل عدوك؛ واحذر صديقك إلا الأمين: والأمين من خشي الله تعالى. ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك فيفضحك. وتخشَّع عند القبور؛ وآخ الإخوان على قدر التقوى؛ ولا تستعن على حاجتك من لا يحب نجاحها لك؛ وشاور في أمرك الذين يخافون الله ﷻ.

وقال بعض الحكماء: يجب على السلطان أن يلتزم العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه، وفي باطن ضميره لإقامة أمر دينه، فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان؛ ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف، فلا يقوم السلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما، ولا يدور إلا عليهما.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: كلكم يترشح لهذا الأمر، ولا يصلح له منكم إلا من له سيفٌ مسلول، ومالٌ مبذول؛ وعدلٌ تطمئن إليه القلوب.

وخطب سعيد بن سويد بحمص، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن للإسلام حائطًا منيعًا وبابًا وثيقًا؛ فحائط الإسلام الحق وبابه العدل؛ ولا يزال الإسلام منيعًا ما اشتد السلطان؛ وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاءً بالحق وأخذٌ بالعدل.

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينة، فكتب إليه: حصّنها بالعدل ونقِّ طريقها من الظلم.

وقال معاوية: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرًا إلا الله.

وقال المهدي للربيع بن جهم وهو والٍ على أرض فارس: يا ربيع، انشر الحق والزم القصد وابسط العدل وارفق بالرعية، واعلم أن أعدل الناس من أنصف من نفسه، وأجورهم من ظلم الناس لغيره.

وقال جعفر بن يحيى: الخراج عمود الملك، وما استغزر بمثل العدل، ولا استنزر بمثل الظلم.

وقال عمرو بن العاص: لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل.

وقيل: سأل الإسكندر حكماء بابل، فقال: أيما أبلغ عندكم، الشجاعة أم العدل؟ فقالوا إذا استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة.

ولما جيء بالهرمزان ملك خوزستان أسيرًا إلى عمر بن الخطاب ﷺ، لم يزل الموكّل به يقتفي أثر عمر بن الخطاب ﷺ حتى وجده بالمسجد نائمًا متوسدًا درته، فلما رآه الهرمزان قال: هذا هو الملك؟ قيل نعم، فقال له: عدلت فأمنت فنمت، والله إني قد خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة أصحاب التيجان فما هبت أحدًا منهم هيبتي لصاحب هذه الدرة.

وقالوا: إذا عدل الإمام خصب الزمان.

وقال ابن عباس ﷺ: إن الأرض لتزين في أعين الناس إذا كان عليها إمامٌ عادل، وتقبح إذا كان عليها إمام جائر.

وحكي أن كسرى أبرويز نزل متنكرًا بامرأة، فحلبت له بقرة فرآها حلبت لبنًا كثيرًا، فقال لها: كم يلزمك في السنة على هذه البقرة للسلطان؟ فقالت: درهم واحد؛ فقال: أين ترتع وبكم منها ينتفع؟ فقالت: ترتع في أراضي السلطان، ولي منها قوتي وقوت عيالي؛ فقال في نفسه: إن الواجب أن أجعل إتاوة على البقور فلأصحابها نفعٌ عظيم؛ فما لبث أن قالت المرأة: أوّه، إن سلطاننا همّ يجور، فقال أبرويز: لمه؟ فقالت: لأن درّ البقرة انقطع، وإن جور السلطان مقتضٍ لجدب الزمان؛ فأقلع عما كان همّ به. وكان يقول بعد ذلك: إذا همّ الإمام بجور ارتفعت البركة.

وقال سقراط: ينبوع فرح العالم الملك العادل، وينبوع حزنهم الملك الجائر.

وقال الفضل: لو كان عندي دعوةٌ مستجابة لم أجعلها إلا في الإمام. فإنه إذا صلح أخصبت البلاد وأمنت العباد؛ فقبّل ابن المبارك رأسه وقال: لا يحسبنّ هذا غيرك.

وقال قدامة: حسبكم دلالةً على فضيلة العدل أن الجور الذي هو ضدّه لا يقوم إلا به؛ وذلك أن اللصوص إذا أخذوا الأموال واقتسموها بينهم احتاجوا إلى استعمال العدل في اقتسامهم وإلا أضر ذلك بهم.

قالت الحكماء: إذا نزلت من الملك بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق، ولا تكثر من الدعاء له في كل كلمة، فإن ذلك يشبه حال الوحشة والغربة، إلا أن تكلمه على رؤوس الناس فلا تأل عما وقره وعظمه.

وإذا أردت أن يقبل قولك فصحح رأيك ولا تشوبنه بشيء من الهوى، فإن الرأي يقبله منك العدو، والهوى يرده عليك الصديق.

وتبصر ما في الملك من الأخلاق التي يحب ويكره، ثم لا تكابره بالتحويل له عما يحب ويكره إلى ما تحب وتكره، فإنها رياضة صعبة قد تحمل على التنائي والقلى.

فقلما تقدر على رد رجلٍ عن المكابرة والمناقضة وإن لم يكن جمع به عز السلطان، فكيف إذا جمع به! ولكن تعينه على أحسن رأيه وتزينه له وتقويه عليه؛ فإذا قويت المحاسن كانت هي التي تكفيك المساوي.

وإذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يبصره مواقع الخطأ بألطف من تبصيرك وأعدل من حكمك في نفسه؛ فإن الصواب يؤيد بعضه بعضًا ويدعو بعضه إلى بعض.

وإذا كنت له مكابرًا لحقك الخطر ولم تبلغ ما تريد.

ولا يكوننّ طلبك ما عند السلطان بالمسألة! ولا تستبطئه وإن أبطأ، ولكن اطلب ما عنده بالاستحقاق له والاستيناء به وإن طالت الأناة، فإنك إذا استحققته أتاك من غير طلب، وإذا لم تستبطئه كان أعجل له.

ولا تخبرنّ الملك أن لك عليه حقًا، وأنك تعتد عليه بلاء.

وإن استطعت ألا ينسى حقك وبلاءك فافعل.

وليكن ما تذكره به تجديدك له النصيحة والاجتهاد، وألا يزال ينظر منك إلى آخر يذكره الأول؛ فإن السلطان إذا انقطع عنه الآخر نسي الأول؛ فإن أرحامهم منقطعة وحبالهم منصرمة إلا عمن رضوا عنه في يومهم وساعتهم.

واعلم أن أكثر الناس عدو لصاحب السلطان ووزيره وذوي المكانة عنده، لأنه منفوس عليه مكانه كما ينفس على الملك ملكه، وحسود كما يحسد عليه؛ غير أنه يجترأ عليه ولا يجترأ على الملك، لأن حساده أحباء الملك الذين يشاركونه في المنزلة والدخول، وهم حضور، وليسوا كعدو الملك النائي عنه الكاتم لعداوته؛ فهم لا يغفلون عن نصب الحبائل له.

فالبس لهؤلاء الأعداء كلهم سلاح الصحة والاستقامة ولزوم المحجة فيما تسر وتعلن.

ثم روح عن قلبك حتى كأنك لا عدو لك ولا حاسد.

جانب المسخوط عليه والمظنون به عند السلطان ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل، ولا تظهرن له عذرًا ولا تثنين عليه خيرًا. فإذا رأيته قد بلغ في الإعتاب مما سخط عليه فيه ما ترجو أن يلين له الملك، واستيقنت أن الملك قد تحقق مباعدتك إياه وشدتك عليه، فضع عند ذلك عذره عند الملك، واعمل في إرضائه بالرفق واللطف.

وإذا أصبت الجاه عند الملك وكانت لك خاصة منزلةٍ، فلا يحدثن لك ذلك تغيرًا على أهله وأعوانه واستغناءً عنهم، فإنك لا تدري متى ترى أدنى جفوةٍ فتذل لهم.

وإن استطعت أن يعرف صاحبك أنك تنحله صواب رأيك فضلاً عن صوابه فتسند ذلك إليه وتزينه به، فإن الذي أنت بذلك آخذٌ أفضل من الذي أنت به معطٍ.

واعلم أن السلطان يقبل من الوزراء التبخيل ويعده منهم شفقة ونظرًا ويحمدهم عليه وإن كان جوادًا.

فإن كنت مبخلاً فقد غششت صاحبك بفساد مروءته، وإن كنت مسخيًا لم تأمن إضرار ذلك بمنزلتك.

أوصى هشام بن عبد الملك سليمان الكلبي لما اتخذه مؤدبًا: إن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني وقد وليتك تأديبه، فعليك بتقوى الله وأداء الأمانة فيه بخلال: أولها أنك مؤتمن عليه، والثانية أنا إمام ترجوني وتخافني، والثالثة كلما ارتقى الغلام في الأمور درجة ارتقيت معه، وفي هذه الخلال ما يرغبك في ما أوصيك به،

أن أول ما آمرك به أن تأخذه بكتاب الله وتقرئه في كل يوم عشرًا يحفظه حفظ رجل يريد التكسب به، ثم روّه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في إحياء العرب فخذ من صالح شعرهم هجاءً ومديحًا، وبصره طرفًا من الحلال والحرام والخطب والمغازي، ثم أجلسه كل يوم للناس ليتذكر.

وقال عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاح نفسك فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنته، والقبيح ما استقبحته. علمهم كتاب الله، وروهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه، ولا تكرههم على علم فيملوه ولا تدعهم فيهجروه، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فازدحام العلم في السمع مضلة للفهم. وعلمهم سير الحكماء وهددهم وأدبهم دوني، ولا تتكل على كفاية منك واستزدني بتأثيرك أزدك إنشاء الله تعالى. وضرب أبو مريم مؤدب الأمين والمأمون الأمين بعود فخدش ذراعه. فدعاه الرشيد إلى الطعام فتعمد أن حسر عن ذراعه، فرآه الرشيد، فسأله فقال: ضربني أبو مريم، فبعث إليه ودعاه قال فخفت، فلما حضرت قال: يا غلام وضئه. فسكنت وجلست آكل فقال: ما بال محمد يشكوك؟ فقلت: قد غلبني خبثًا وعرامة! قال: أقتله فلأن يموت خير من أن يموق.

قال ابن المقفع: عوّد نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة، والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم، ولا تسهلنّ سبيل ذلك إلا لأهل الفضل والعقل والسن والمروءة في ستر، لئلا ينتشر من ذلك ما يجترىء به سفيه أو يستخف به شانئ. واعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه لمهم ما يعنيك، وأن مالك لا يتسع للناس فاخصص به أهل الحق، وأن كرامتك لا تطيق العامة فتوخَّ بها أهل الفضل، وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك وإن دأبت فيهما، فأحسن قسمتهما بين عملك ودعتك. واعلم أن ما شغلت من رأيك بغير المهم أزرى بك، وما صرفت من مالك في الباطل فقدته حين تريده للحق، وما عدلت به من كرامتك إلى أهل النقص أضرّ بك في العجز عن أهل الفضل.

وكتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن عليّ لما ولاّه الناس أمرهم بعد عليّ ﷺ: أن شمر للحرب، وجاهد عدوّك، واشتر من الضنين دينه بما لا يثلم دينك، ووال أهل البيوتات تستصلح به عشائرهم.

وقال عليّ بن أبي طالب ﷺ: يجب على الوالي أن يتعهد أموره ويتفقد أعوانه حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء، ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء، فإنه إذا ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء، وفسد الأمر وضاع العمل.

وقال بعض الحكماء: الملك المنعم إذا أفاض المكارم واغتفر الجرائم ارتبط بذلك خلوص نية من قرب منه وهم الأقل، وانفساح الأمل ممن بعد عنه وهم الأكثر، فيستخلص حينئذ ضمائر الكل من حيث لم يصل معروفه إلا إلى البعض.

وصية عالم لابنه:

أوصى بعض العلماء ابنه فقال أوصيك بتقوى الله وليسعك بيتك واملك عليك لسانك وابك على خطيئتك

وصية يزيد بن هاشم:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن ذا الكلاع واسمه يزيد بن هاشم أقبل على بني عمه وإخوته وولده فقال لهم: معشر الجماعة من ولدي وإخوتي وبني عمي، لو كان الملك يدوم لأحد لدام لأسلافكم الذين ملكوا البلاد، فأحسنوا السيرة في أهلها وأخذوا للضعيف من القوي وأمنوا السبل وأذلوا الجبابرة، وأبادوا المفسدين، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وعمروا الأرض شرقها وغربها، وعندكم مما أنا باثٌّ لكم شارح عليكم من أخبارهم ومآثرهم ومفاخرهم مما تجتزئون به عما بعده. ثم أنشأ يقول: " من المتقارب "

شهدتُ الملوكَ وعاشرتهمْ ... وكنتُ وزيرًا لَهُم وابن عمْ

فحازُوا البلادَ ومن حلّها ... منَ النَّاسِ من عربيٍ أو عجمْ

وقد أخذُوا الخَرجَ في شرقها ... وفي غربها من جميعِ الأممْ

ودانتْ لهم سُوقةُ العالمين ... وأهلُ العُلا والملوكُ القِدمْ

بنيَّ وإخوتي الأقربين ... ومن بينكُمْ لِيَ من ذي رحمْ

عليكم ... من المجدِ ما استطعتُمُ والكرمْ

فإنَّ النَّوالَ يُعزُّ الرِّجالَ ... وينزِلُهُم في الذُّرى والقِممْ

بهِ فَضّلَ الأجودونَ الكرامْ ... على كلِّ من حملتهُ القدمْ

بهِ كملَ المالكُ المالكينَ ... من أبناءِ قحطانَ قدمًا وتمْ

وصاتي ها، فبها فاعملُوا ... وصونُوا بها المُلكَ بعدَ النعمْ

وإنَّ يزيدًا لكمْ ذا الكلاعِ ... لفي النُّصحِ والوُدِ لا يُتَّهمْ

ومهما قضى ربُّكم كائنٌ من الأمرِ فيهِ وجفَّ القَلَمْ

وصية أعمى من الأزد لشاب يقوده:

عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه قال رأيت ببيشة رجلا من أزد السراة أعمى يقوده شاب جميل وهو يقول له يا سمى لا يغرنك أن فسح الشباب خطوك وخلى سربك وأرفه وردك فكأنك بالكبر قد أرب ظوفك وأثقل أوقك وأوهن طوقك وأتعب سوقك فهدجت بعد الهملجة ودججت بعد الدعلجة فخذ من أيام الترفيه لأيام الانزعاج ومن ساعات المهملة لساعة الإعجال يابن أخي إن اغترارك بالشباب كالتذاذك بسمادير الأحلام ثم تتقشع فلا تتمسك منها إلا بالحسرة عليها ثم تعرى راحلة الصبا وتشرب سلوة عن الهوي واعلم أن أغني الناس يوم الفقر من قدم ذخيرة وأشدهم اغتباطا يوم الحسرة من أحسن سريرة.

وصية رجل لآخر وقد أراد سفرا:

عن عبد الرحمن عن عمه قال سمعت رجلا يوصي آخر وأراد سفرا فقال: آثر بعملك معادك ولا تدع لشهوتك رشادك وليكن عقلك وزيرك الذى يدعوك إلى الهدى ويعصمك من الردى الجم هواك عن الفواحش وأطلقه في المكارم فإنك تبر بذلك سلفك وتشيد شرفك.

وصية رجل لابنه وقد أراد التزوج:

وقال بعضهم لولده وقد أراد التزوج: يا بني لا تتخذها حنانة ولا أنانة ولا منانة ولا عشبة الدار ولا كبة القفا.

وصية بعض العلماء لابنه:

وأوصى بعض العلماء ابنه فقال: أوصيك بتقوى الله وليسعك بيتك واملك عليك لسانك وابك على خطيئتك.

وصية لبعض الحكماء:

وقال بعض الحكماء: لا يكونن منكم المحدث ولا ينصت له والداخل في سر اثنين لم يدخلاه ولا آتى الدعوة لم يدع إليها ولا الجالس المجلس لا يستحقه ولا الطالب الفضل من أيدى اللئام ولا المتعرض للخير من عند عدوه ولا المتحمق في الدالة.

وصية أخرى:

وقال بعض الحكماء: إياك والعجلة فإن العرب كانت تكنيها أم الندامة لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويقطع قبل أن يقدر ويحمد قبل أن يجرب ويذم قبل أن يخبر ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة واعتزل السلامة.

وصية أخرى:

وقال ابن دريد أوصى بعض الحكماء رجلا فقال: أمرك بمجاهدة هواك فإنه يقال إن الهوى مفتاح السيئات وخصيم الحسنات وكل أهوائك لك عدو وأهواها هوى يكتمك في نفسه وأعداها هوى يمثل لك الإثم في صورة التقوى ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يشوبه وهن وصدق لا يطمع فيه تكذيب ومضاء لا يقاربه التثبط وصبر لا يغتاله جزع ونية لا يتقسمها التضييع.

لقي رجل حكيمًا فقال: كيف تَرَى الدهر؟ قال: يُخْلِقُ الأبدان، ويجدِّدُ الآمال، ويقرِّبُ المنيّة، ويباعِدُ الأمْنِيّة. قال: فما حالُ أهله؟ قال: من ظفر به منهم تعب، ومن فاته نَصِب. قال: فما الغنى عنه؟ قال: قَطعُ الرجاء منه، قال: فأيّ الأصحاب أبرّ وأَوْفى؟ قال: العمل الصالح والتقوى. قال: أيهم أضرّ وأَرْدَى؟ قال: النفس والهوى، قال فأين المخرج؟ قال: سلوكُ المَنهَج. قال: وما هو؟ قال: بَذْل المجهود، وترك الراحة، ومداومة الفكرة. قال: أَوْصني. قال: قد فعلت.

وقال بعض الملوك لحكيم من حكمائه: عِظْني بعِظَة تنفي عني الْخُيَلاء، وتزهّدني في الدنيا. قال: فكِّر في خَلْقك، واذْكُر مبدأك ومصيرك، فإذا فعلت ذلك صَغُرَتْ عندك نفسُك، وعَظُم بصغرها عندك عَقْلُك؛ فإن العقلَ أنفعهُما لك عِظَمًا، والنفس أَزْينهُما لك صِغَرًا؛ قال الملك: فإن كان شيء يُعِينُ على الأخلاق المحمودة فصفتك هذه. قال: صفتي دليل، وفَهْمُك محجَّة، والعلم عليّة، والعمل مَطيّة، والإخلاص زمامها، فخُذْ لعقلك بما يزيِّنه من العلم، وللعلم بما يَصُونُه من العمل، وللعمل بما يحقّقه من الإخلاص، وأنت أنت! قال: صدقت.

مَرّ بشرُ بن المُعتمر بإبراهيم بن جبلة بن مَخْرمة السَّكوني الخَطيب، وهو يعلّم فتيانهم الخَطابة، فوقف بشرٌ يستمع، فظنّ إبراهيم أنه إنما وَقف ليَستفيد، أو يكون رجلاً من النظّارة. فقال بشر: اضربوا عمّا قال صفحًا، واطووا عنه كَشْحًا، ثم دفع إليهم صَحيفة من تَنْميقه وتَحْبيره، فيها: خُذْ من نفسك ساعة

نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك، فإنّ قليل تلك الساعة أكرمُ جوهرًا، وأشرفُ حَسبًا، وأحسن في الأسماع، وأحْلى في الصُّدور، وأسلم من فاحش الخَطأ، وأجلبُ لكُلّ عين وغرّة، من لفظ شريف، ومَعنى بديع، واعلم أنّ ذلك أجدى عليك مما يُعطيك يومُك الأطول بالكدّ والمُطاولة، والمُجاهدة بالتّكليف والمُعاودة، ومهما أخطاك لم يُخطئك أن يكون مقبولاً قصدًا، وخفيفًا على اللسان سَهْلاً، كما خرج من يَنبوعه، ونجم من مَعدنه؛ وإياك والتوعّر، فإن التوعّر يُسلمك إلى التّعقيد، والتّعقيد هو الذي يَستهلك مَعانيك، ويَشين ألفاظك. ومَن أراد معنًى كريمًا فَلْيَلْتمس له لفظًا كريمًا، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف؛ ومن حقهما أن تَصونهما عما يُفسدهما ويهجّنهما، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تَلتمس إظهارهما، وتَرتهن نفسك بمُلابستهما وقضاء حقهما.

وكن في ثلاث منازل: وإن أوْلَى الثلاث أن يكون لفظك رشيقًا عَذْبًا، وفخمًا سهلاً، ويكون معناك ظاهرًا مكشوفًا، وقريبًا معروفًا، إمّا عند الخاصة، إن كنت للخاصة قصدت، وإمّا عند العامة، إن كنت للعامة أردت، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من مَعاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من مَعاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المَنفعة مع مُوافقة الحال، وما يَجب لكل مَقام من المقال، وكذلك اللفظ العاميّ والخاصيّ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولُطف مَداخلك، واقتدارك على نفسك، على أن تُفهم العامة معاني الخاصة، وتَكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تَلطف عن الدهماء، ولا تَجفو عن الأكفاء، فأنت البليغُ التام. فقال له إبراهيم بن جبلة: جُعلت فداك، أنا أحوجُ إلى تعلّمي هذا الكلام من هؤلاء الغِلْمة.

لما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا: يا أبا مليكة أوص، قال: ويل للشعر من رواة السوء. قالوا: أوص يرحمك الله يا حطيء. قال: من الذي يقول: من الطويل

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ... ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

قالوا: الشماخ. قال: أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب. قالوا: ويحك أهذه وصية؟! أوص بما ينفعك. قال: ابلغوا أهل ضابئ أنه شاعر حيث يقول: من الطويل

لكل جديد لذة غير أنني ... وجدت جديد الموت غير لذيذ

قالوا: اتق الله ودع عنك هذا. أوص بما ينفعك. قال: أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعر العرب حيث يقول: من الطويل

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

قالوا اتق الله ودع عنك هذا. قال: أبلغوا الأنصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول: من الكامل

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

قالوا: إن هذا لا يغني عنك من الله شيئًا فقل غير ما أنت فيه، فقال: من الرجز

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه يريد أن يعربه فيعجمه

قالوا: هذا مثل الذي كنت فيه. فقال: من الرجز

قد كنت أحيانًا شديد المعتمد وكنت ذا خصم على الناس ألد

فوردت نفسي وما كادت ترد

قالوا: يا أبا مليكة، أحاجة؟ قال: لا والله، ولكن أجزع للمديح الجيد يمدح به من ليس له أهلاً. قالوا: فمن أشعر الناس؟ فأومى بيده إلى فيه وقال: هذا الجحير إذا طمع في خير. واستعبر باكيًا فقالوا له: قل لا إله إلا الله، فقال: من الرجز

قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر

فقيل له: ما تقول في عبيدك وإمائك؟ قال: هم عبيد قن ما عاقب الليل النهار. قالوا: فأوص للفقراء بشيء. قال: أوصيهم بالإلحاح في المسألة فإنها تجارة لا تبور، واست المسؤول أضيق. قالوا: فما تقول في مالك؟ قال: للأنثى من ولدي مثل حظ الذكرين. قالوا: ليس هكذا قضى الله، قال: لكني هكذا قضيت. قالوا: فما توصي لليتامى؟ قال: كلوا أموالهم ونيكوا أمهاتهم. قالوا: فهل شيء تعهد به غير هذا؟ قال: نعم، تحملوني على أتان وتتركوني راكبها حتى أموت، فإن الكريم لا يموت على فراشه، والأتان مركب لم يمت عليه كريم قط. فجعلوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول: من الرجز

لا أحد الأم من حطية هجا بنيه وهجا المريه

خطب الحجاج لما أراد الحج فقال: أيها الناس، إني أريد الحج، وقد استخلفت عليكم ابني هذا، وأوصيته بخلاف وصية النبي ﷺ في الأنصار، فإنه أمر أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم. ألا وإني قد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ألا وإنكم ستقولون بعدي: لا أحسن الله له الصحابة، ألا وإني معجل لكم الجواب: لا أحسن الله عليكم الخلافة.

كتب أبو العيناء إلى صديق له تولى ناحية: أما بعد فأني لا أعظك موعظة الله تعالى لأنك غني عنها ولأنك أعلم مني بها، ولا أرغبك في الاخرة لمعرفتي بزهدك فيها، ولكني أقول كما قال الشاعر وهي أبيات لأبي الأسود الدؤلي يقولها لحارثة بن بدر لما ولي رامهرمز: من الطويل

أحار بن بدر قد وليت ولاية ... فكن جرذًا فيها تخون وتسرق

وكاثر تميمًا بالغنى إن في الغنى ... لسانًا به المرء الهيوبة ينطق

واعلم أن الخيانة فطنة، والأمانة خرق، والجمع كيس، والمنع صرامة، وليست كل يوم ولاية. فاذكر أيام العطلة، ولا تحقرن صغيرًا، فمن الذود إلى الذود إبل، والولاية رقدة فتنبه قبل أن تنبه: من الرمل المجزوء

وأخو السلطان أعمى ... عن قليل سوف يبصر

وما هذه الوصية التي أوصى بها يعقوب بنيه، ولكني رأيت الحزم أخذ العاجل وترك الآجل.

احتضر بعض المجان فقالت له زوجته: أوص، قال: وتقبلين مني؟ قالت: نعم. قال: إذا أنا مت فادفني معي زنبيل الدقيق ودبة البزر حتى تلحقهما ضغطة القبر فانهما أكلا كبدي في الدنيا.

بلغ أبا الأغر أن أصحابه بالبادية قد وقعبينهم شر، فأرسل ابنه الأغر وقال: يا بني، كن يدًا لأصحابك على من قاتلهم، وإياك والسيف فإنه ظل الموت، واتق الرمح فإنه رشاء المنية، ولا تقرب السهام فإنها رسل لا تؤامر مرسلها. قال: فبماذا أقاتل؟ قال: بما قال الشاعر: من الطويل.

جلاميد أملاء الأكف كأنها ... رؤوس رجال حلقت في المواسم

أوصت أعرابية ابنتها عند إهدائها فقالت: اقلعي زج رمحه، فإن أقر فاقلعي سنانه، فإن أقر فاكسري العظام بسيفه، فغ، أقر فاقطعي اللحم على ترسه، فإن أقر فضعي الإكاف على ظهره فإنه حمار.

ومما ينسب إلى تميم بن مر أنه وصى بنيه فقال: يا بني عليكم بلا فإنها ترفع اللحيين، وإياكم ونعم فإنها ترخي اللحيين، وعليكم بالمسألة فإن است المسؤول أضيق، ولا تحقروا اليسير أن تأخذوه فإن اليسير إلى اليسير كثير. واستعيروا ولا تعيروا، وأظهروا للناس الحاجة لكي لا تسألوا فتمنعوا فتكون أستاهكم في الضيقة. وإن وعدتم الناس شيئًا فاكذبوهم وامطلوهم، فإن الذي يصدق في الوعد وأن مطل، وهو مقل، يكون حريًا بالنجح في الموعد إذا أمكنته المقدرة. وابدأوا الناس بالشر يردد عنكم الشر، وإياكم والوهن فيجترأ عليكم. ولا تشتطوا في مهور النساء فإن ذلك آكد لأياماكم، جمع الله أمركم.

أوصى وكيع بن حسان بن سود فقال: يا بني، إن أبي والله ما ورثني إلا درعًا سحقًا ورمحًا خطلاً، وما ورثني دينارًا ولا درهما. وقد جمعت لكم هذا المال الذي ترون من حله وحرامه؛ فإياكم إذا أنا مت أن تأتيكم هذه الباعة من أهل لأسواق فيقولون: لنا على أبيكم دين. يا بني، إن كان الله تعالى يريد أن يغفر لي فوالله ما ديني في ذنوبي إلا كشعره بيضاء في ثور أسود، وإن كان لا يريد أن يغفر لي، فوالله ما ديني في ذنوبي إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، وإن كان لا يريد أن يغفر لي، فوالله ما ديني في تلك الذنوب إلا كحصاة رمي بها في بحر. شدوا أيديكم على مالكم واحفظوه ولا تقضوا عني شيئًا. ثم مات.

وروي أن أبا النجم العجلي أنشد هشامًا:

والشمس قد صارت كعين الأحول

لما ذهب به الروي عن الفكر في عين هشام فأغضبه فأمر به فطرد، فأمل أبو النجم رجعته، فكان يأوي إلى المسجد. فأرق هشام ذات ليلة فقال لحاجبه: لبغني رجلاً عربيًا فصيحًا يحادثني وينشدني، فطلب له ما طلب فوقف على أبي النجم فأتى به، فلما دخل عليه قال: أين تكون منذ أقصيناك؟ قال: بحيث ألفتني رسلك. قال: فمن كان أبا مثواك؟ قال: رجلين: كلبيًا وتغلبيًا أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر. فقال له: ما لك من الولد؟ قال: ابنتان. فقال: أزوجتهما؟ قال: لا، زوجت إحداهما. قال: فبم أوصيتها. قال: قلت لها ليلة أهديتها: من الرجز

سبي الحماة وابهتيعليها وإن نأت فازدلفي إليها

ثم اقرعي بالود مرفقيها وركبتيها واقرعي كعبيها

وجـدي الحلـف بهعلـيها لا تخبري الدهر بذاك ابنيها

قال: أفأوصيتها بغير هذا؟ نعم، قلت: من الرجز

وصيت من برة قلبًا حرا بالكلب خيرًا والحماة شرا

لا تسأمي نهكًا لها وضرا والحي عميهم بشر طرا

وإن كسوك ذهبًا ودرا حتى يروا حلو الحياة مرا

قال هشام: ما هكذا أوصى يعقوب ولده. قال أبو النجم: ولا أنا كيعقوب، ولا بني كولده. قال: فما حال الأخرى؟ قال قد درجت بين بيوت الحي ونفعتنا في الرسالة والحاجة. قال: فما قلت فيها؟ قال: قلت من الرجز.

كأن ظلامة أخت شيبان يتيمة والداها حيان

الرأس قمل كله وصئبان وليس في الرجلين إلا خيطان

فهي التي بذعر منها الشيطان

قال: فقال هشام: يا غلام ما فعلت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها؟ قال: هي عندي، وزنها خمسمائة. قال: فادفعها إلى أبي النجم ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين. وزيد في رواية أخرى: من الرجز

أوصيك يا بنتي فإني ذاهب أوصيك أن يحمدك الأقارب

والجار والضيف الكريم الساغب لا يرجع المسكين وهو خائب

ولا تني أظفارك السلاهب لهنفي وجه الحماة كاتب

والزوج إن الزوج بئس الصاحب

قال لبطة بن الفرزدق: لما احتضر أبي قال: ابغني كتابًا أكتب فهي وصيتي، فأتيته فكتب وصيته: من الوافر

أروني من يقوم لكم مقامي إذا ما الأمر جل عن الخطاب

إلى من ترجعون إذا حثوتم بأيديكم علي من التراب

فقالت مولاة قد كان أوصى لها بوصية: إلى الله ﷻ. فقال: يا لبطة، امحها من الوصية.

أوصى بدوي ابنه فقال: يا بني، كن سبعًا خالسًا، أو ذئبًا خانسًا، أو كلبًا حارسًا، ولا تكن إنسانًا ناقصًا.

كتب علي بن نصر الكاتب عل بعض الطفيليين عهدًا يوصي فيه بالنهم والأكل: هذا كتاب من فلان في صحة من فهمه، وسقم من جسمه، وضعف من عزمه، وأسف على هضمه، واستكلاب من شهوته، وانتكاس من علته، عند آخر ساعة من ساعات دنياه، وأول وقت من أوقات أخراه، ومن النصحية والصدق، والفيئة من الباطل إلى الحق إلى جماعة الأكلة المتصوفين، وذوي النهم المتطفلين، وأولي الطواحين الدائرة، والشهوات الثائرة، والأشداق الفسيحة، والمبالع الصحيحة: سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا غله إلا هو، خالق الأنياب الحداد، والأضراس الشداد، والله الواسعة، والحلاقم البالعة، وأسأله الصلاة على رسوله المبعوث بالإسلام، والآمر بإفشاء السلام، وصلات الأرحام، وبذل الطعام، صلى الله عليه وعلى آله وشرف وكرم.

أما بعد: فإني رأيت أهل هذه الصناعة قد قلوا، ومحصوا حتى ذلوا، فلم يبق لهم ذكر إلا خمل، ولا نجم إلا أفل، ولا علم إلا فقد، ولا نهم إلا أتخم واستشهد، فصار لا يوجد منهم في البلد العظيم، والإقليم بعد الإقليم، أحد مقيم بحقوقها، ومستقل بأعباء علومها، ويعرف ما يعترضها من العلل، ويخبر ما فيها من المكر والحيل، وكيف التوصل إلى الولائم المشهودة، والهجوم على الموائد المنصوبة. وإنما قصار الواحد منهم أن يأنس ببعض كرماء دهرنا بواسطة الاتفاق، وحسبك ضيق المذاق والأخلاق، فيحضر طبقه إما مستأذنًا في الوصول، أو متسببًا في الحصول.

فإذا جلس شمر عن ساعده تنظفًا، ورفع أذيال ثوبه تظرفا، وأظهر أن الطعام بأنملته، لا يلتصق بحافة من حافات شفته، مقتصرًا من آلة حرفته وأداة صناعته على تجريد اللحم، وتجويد اللقم، حتى إذا أكل المختار الطيب، وتناول المقدار المستقرب، زعم الانتهاء، وادعى الشبع والاكتفاء، وجعل ما يستمده من بعد على وجه التملح والتعجيب، وطريق التنادر والتقريب. وعساه لا يبلغ في الاستزادة والاكثار، فأقصى مدى تلك السادة الأبرار.

وهذا أيدكم الله الذي أبطل صناعتكم وعفى آثارها، وأفسد نظامها وأطفأ أنوارها. فصار الناشئ فيها غير عارف بقوانينها، ولا واجد بصيرًا بأفانينها، فهو يخبط العشواء منقبضًا تارة ومنبسطًا، ويخلط ما جاء صوابًا مرة وغلطا، لا يعرف فضل المستكره على المختار، ولا ميزة الهاجم على المستزار، ولا يعلم أن المفاوضة والمغالبة، والمجاحشة والمواثبة، مذاهب الأشياخ القدماء،

وعادات أهل الصنعة الألباء، إلى غير ذلك من شرائط هذا العمل الجليل، وسنن كل وقاح أكيل.

ونحن ننطق في كتابنا هذا إليكم بلسان الشره المليم، ونستمد لكم التوفيق من شيطان المعدة الرجيم. فأول منا أفهمكم إياه، وأنفعكم معناه، معاشر الإخوان، ورفقاء المائدة والخوان، أن تعلموا أن من صفق وجهه رق عيشه، ومن سعت قدمه طاب مطعمه، ومن أساء أدبه بلغ أربه، ومن قل حياؤه ساعدته أهواؤه. وهذه وصية نبذت إليكم حكمها، وفرضت عليكم تعلمها.

وأن تديموا دخول الحمام، في صبيحة كل يوم من الأيام، فتمزخوا المعدة، وتطلبوا التقلب والتمدد، ففي ذلك راحة من كد السهر، وحدر لبقايا الطعام المعتكر. وتعقبوه بتناول الجوارشنات، والسفوفات الفاتقة للشهوات، ثم تطرحوا أفكاركم يمنة ويسرة، وعيونكم خفية وجهرة، فتوكدوا الوصاة سفينة ولا موضعًا موسومًا بكراء الحمير، ولا صقعًا معروفًا بالخانات والمواخير، إلا اخترقتموه مساء وصباحًا، وطرحتموه غدوة ورواحًا. وتتبعوا ولائم الإعذار، ودور الوارث والقمار، وحمالي الفرض، وشواني الريض، وحلق المخرقين، ومقامات المثاقفين، ومظان مناطح الكباش، ومواطن التنازق والهراش، وتسترشدوا قوام المشاهد، وصالحي المساجد، وعجائز العكاكيز، وروائح الدهاليز.

ولا يجوز أن يخفى عليكم حينئذ خافية، ولاتستر دونكم عورة دانية ولا قاصية، فإذا عادوا بالنبأ الواضح، وفازوا بالخبر الصالح، استخرتم الله عز وجل مفكرين في بعد الطريق أو قربها، فإنها إن دنت أدنت البغية، وإن نأت هيجت الشهوة، وأن لا تخففوا الأكل مما حضر، طمعا في ما يأتي ينتظر، وإن كنتم له محققين، ومن ووده على يقين، فللطعام اغتنامات، وللتأخير آفات، وربما أفسد الطباخ ما تراعون، وطرقت صاحب المنزل نائبة في عرض ما تأكلون، وأخطأتم في الحساب، وحصلتم على تجويع الارتقاب. وهذا سفة في العقل، وركوب غرر في فوت الأكل.

وأن تتخيروا من المواضع أفسحها، ومن المجالس أفيحها، لتكون معدكم مطمئنة هادية، وأيديكم ذاهبة جائية، فلا يتعذر عليكم، تناول ما قرب من الأطعمة إليكم. وإن كان لأحدكم قريب، وولد أو نسيب، قرب منه أو بعد، فلا يتنغص له، ويتمنى أن يشاركه في ما أكله، فإن ذلك مشغلة عن الاستكثار، ومقطعة عن الاحتكار، ودلالة على وهي العزم وضعفه، وإظهار

لقلة الرأي وسخفه، بل يستجد لذاكره أكلة مفردة، ويستأنف من جراه شهوة مجددة، فإن ذلك أدخل في باب التطفيل، وأولى بذوي الرأي الأصيل.

وأن تجعلوا السكباج مفتاح الفم، وتعظموها تعظيم الأب والأم، فإنها القدر المحبوبة، والشهوة المطلوبة، والعلق الصبور، واللون الذي لا يبور. وأن تبالغوا في الإمعان، عند حضور لفرصة والإمكان، في أفخاذ الفراريج ولصقيها، وصدور الدراريج بعد تعليقها، فإنها المنظر الأنيق لذي عين، واللذة القصوى لصاحب ماضغين. وأن تعتمدوا أكل الهرائس، عاريات من الملابس، خاليات من الجزمازج والجرادق، منقولات بالأصابع والملاعق، فإن فيها معنى الخبز، من لباب البر والأرز، ولا فائدة في هذا التكرار، العائد بالتملي والاستضرار.

واستوصوا بالصاعديات خيرًا، وغلائها المصبوغة حمرا، فأكبوا على فروجها وعصفورها، واستكثروا من كبابها ومضفورها، وواظبوا على قرنائها وأخواتها، وبنات عمها وعماتها، من الاسفيذباجات والنرجسيات والمحرقات. فكلوا أكل الأيامى فقدوا الصاحب، واليتامى عدموا الكسب، وواصلوا المضاير إذا بدت إلية الحمل، واستدارت هامة البصل، فإنها طعام السلف الماضين، وأهل السنة المتزهدين، وبها باع الناس قديمًا صلاتهم وصيامهم، ولها فارقوا خليفتهم وإمامهم، ومن أجلها دفعوا عن المحال وذبوا، وأجابوا داعي الضلال ولبوا.

وكونوا لذوات المرق إخوانًا، فإن لها أنواعًا من الطعوم وألوانًا، وفضلاً على غيرها ورجحانًا، فثردها قوام الظرف وكماله، وسنان العرف وجماله، وهي عزاء الصدور، ودواء المخمور. ولا تهملوا الحرص على لحمها المجزع، من البشمازج والأضلع. ولفوا لقلاياها لفا، واستفوا لحمها سفا، استراحة من ناشفها إلى ممرقها، ومراوحة من محمضها إلى محرقها، فإنها قراضة الإبريز، وطراز المأكل الوجيز.

ولا تحقروا الانتفاع بالأصباغ فنعم ظهير الأكل ومعينه، ونصيح المستكثر وأمينه. وبادروا الحلواء ساعة طلوعها في جاماتها، كالبدور في هالاتها، غير محفلين بما يقطر من أدهانها على العنافق، ويجري من مرقها على المرافق. فكل ذلك هين في جنب الظفر بمنية النفس، وبلغ شهوة الضرس، ولا تستكثروا من الأنبذة فإنها تضعف الشهوة، ولذلك سميت الخمرة قهوة، ومن أصغر تأثيرها التملي المانع، والخمار القاطع. وعليكم منها بما يمين المعدة على غذائها،

ويكون سببًا لسرعة نقائها. ولا تصغوا إلى عاذل مقبح، ولائم متنصح، فما ذاك إلا حسد على ما أنالكم الله من فضله: القدرة على كشف أغراضكم، ولا تستقلوا في نيل إرادتكم ،كل كلح الحجاب، أو ردة البواب، ولا تستبعدوا فتح الباب وإن أبهمت أعلاقه، وتسلق بنيان وإن أحكم وثاقة، فطال ما خاصمت وخوصمت، وزاحمت وزوحمت، وصادمت وصودمت، ولا كمت ولو كمت، فما ترى بي أثرًا، إلا أنبأتك عنه خبرًا، حتى صلع رأسي فما ينبت شعرة، وعمشت عيني فما تدرك نظرة، وكسر فكي فما آكل إلا استراطًا، واسترخى جانبي فما أتمالك ضراطًا، وكل هذا قد يستهسل، في بلوغ لذة المآكل. وبه أوصيكم جماعة الأوداء والأخوان، وبحفظ ما رويته لكم عن المشاهدة والعيان، والله خليفتي على فكوككم القوية، ومعدكم النارية.

وكتب يوم عيد النحر ساعة توزيع لحم الأضحيات، ووقت إدراك الهرائس والوديات، وهو حسبي ونعم الوكيل.

أوصى العباس بن محمد معلم ولده فقال: قد كفيتك أعراقهم فاكفني آدابهم. لا أوتين فيهم منك فإنك لم تؤت فيهم مني: أغذهم بالحكمة فإنها ربيع القلوب، وعلمهم النسب والخبر فإنه علم الملوك، وأيدهم بكتاب الله تعالى فإنه قد خصهم ذكره، وعمهم رشده. وكفى بالمرء جهلاً أن يجهل فضلاً عنه أخذ. وخذهم بالإعراب فإنه مدرجة البيان، وفقههم في الحلال والحرام فإنه حارس من أن يظلموا ومانع من أن يظلموا.

وقال بختيشوع للمأمون: أوصيك يا أمير المؤمنين بأربعة أشياء: لا تأكل طعامًا بين نبيذين، ولا تجامع على شبع، ولا تبت أو تخلي جوفك من الرياح والنجو، ولا تأكل لحم البقر، فوالله إني أمر به في الطريق فأغطي عيني وعين برذون من شدة مضرته.

المُحتَوَيات

المحتويات